ISSN: 2617-3158

أبحاث

مجلة علمية محكّمة دورية ربع سنوية - تصدرها كلية التربية بالحديدة - جامعة الحديدة

صورة المرأة في الأحاديث الموضوعة	د. إبراهيم عبدالله جابر محمد
الطبيعة القانونية لحق المؤلف "دراسة مقارنة في القانونين اليمني والمصري)"	أ.م.د. علوي صالح محمد العلوي د. حمود محمد إسماعيل الشاحذي
أحكام الأب مع ولده في النكاح والطلاق والخلع "دراسة فقهية مقارنة"	د. عبد الحكيم بن عبد الله المطوع
مكانة المرأة ومشاركتها في المجال الاجتماعي في العهد النبوي	سمية ياسين جعفر السقاف
بناء بنك أسئلة في مادة الرياضيات للصف التاسع الأساسي في ضوء نظرية استجابة الفقرة والتحقق من جودة توظيف برنامج حاسوبي لإدارته	أ.م.د/ توفيق علي عالم أ/ سوسن حسن أبوهادي
فاعلية تدريس الجغرافية باستراتيجية هرم الأفضلية في التحصيل وتنمية مهارات التفكير ما وراء المعرفة لدى طلاب الصف الرابع الأدبي	م.د/ الحارث شاكر عبد مرزوك
شعرية التناص في اعتذاريات النابغة الذبياني	أ/ محمد علي صالح قايد القبلاني

العدد الخامس عشر المجلد (١) (يوليو - سبتمبر ٢٠١٩م)

Designed by Dr. Mehdhar Al-shahari

أبحاث العدد (١٥) المجلد (١) (يوليو - سبتمبر ٢٠١٩م)

Refereed, quarterly Journal

ABHATH

ISSN: 2617-3158

Issued by the Faculty of Education, Hodiedah

Issue (15) volume (1) July - September 2019

الحكيمي للطباعة والنشر
Tel. : 777479596 -264608

Designed by Dr. Mehdhar Al-shahari

أبحـــاث

مجلة علمية محكمة دورية ربع سنوية

تصدرها كلية التربية بالحديدة – جامعة الحديدة

ISSN: 2617-3158

العدد الخامس عشر [المجلد الأول] (يوليو – سبتمبر ٢٠١٩م)

أبحـــــاث

مجلة علمية محكمة دورية ربع سنوية تصدرها كلية التربية بالحديدة – جامعة الحديدة.

تهدف إلى نشر الأبحاث الإنسانية والتطبيقية المحكمة للباحثين من جميع بلدان العالم، باللغتين العربية والإنجليزية، وملخصات رسائل الماجستير والدكتوراه المجازة من الجامعات باللغتين العربية والإنجليزية التي لم يسبق نشرها أو تقديمها للنشر.

ما ينشر في المجلة يعبر عن آراء الباحثين، ولا يعبر عن رأي المجلة أو هيئة التحرير

حقوق الطبع محفوظة لكلية التربية بالحديدة – جامعة الحديدة
ولا يجوز نسخ المجلة لأغراض تجارية

رقم الإيداع بدار الكتب في صنعاء ٢٠١٤/٢٠١م

توجه المراسلات باسم سكرتير التحرير

العنوان : مجلة أبحـــــــاث
الجمهورية اليمنية – جامعة الحديدة – كلية التربية
ص.ب (٣١١٤)
الموقع الإلكتروني:www.abhath-ye.com
البريد الإلكتروني: info@abhath-ye.com

تمت الطباعة والإخراج بواسطة / الحكيمي للطباعة والنشر
الحديدة - شارع زايد
تلفون: ٩٦٧ ٧٧٧٤٧٩٥٩٦+

أبحـــــــاث

مجلة علمية محكمة دورية ربع سنوية
تصدرها كلية التربية بالحديدة – جامعة الحديدة

المشرف العام

أ.د. محمد الأهدل

رئيس الجامعة

رئيس التحرير

أ.د. يوسف العجيلي

عميد الكلية

سكرتير التحرير

أ.د. أحمد محمد مذكور

هيئة التحرير

أ.د. عز الدين معاد
أ.د. مفيد عبادي
أ.د. غيث المهداوي
أ.د. سالم الوصابي
أ.د. أحمد يابس
د. عبد الله راجحي غانم
د. خالد الدروبي
د. عبد الرحمن الأهدل

استشارية التحرير

أ.د. عبدالعزيز المقالح — **أ.د. قاسم بريه**
أ.د. إبراهيم عمر حجري — **أ.د. حسن المطري**
أ. د. محمد حمد بلغيث — **أ.د. إبراهيم القريبي**
أ.د. بدر إسماعيل — **أ.د. فيصل صيفان**

التصميم

أ.د. محضار أحمد حسن الشهاري

- **تهدف المجلة إلى نشر الأبحاث العلمية في المجالات الآتية:**

١- مجال العلوم الإنسانية والتطبيقية باللغتين العربية والإنجليزية .
٢- عرض الكتب ومراجعتها.
٣- نشر ملخصات الرسائل الجامعية.
٤- ملخصات أبحاث المؤتمرات العلمية.

قواعد النشر في المجلة:

- أن يكون البحث جديداً، ولم يسبق نشره.
- أن يمثل إضافة علمية.
- الجودة في الفكرة والأسلوب والمنهج والتوثيق العلمي، والخلو من الأخطاء العلمية واللغوية.
- يقدم الباحث نسخة إلكترونية ترسل عبر البريد الإلكتروني للمجلة info@abhath-ye.com في برنامج (Word) مدون عليه: عنوان البحث، والملخص باللغتين العربية والإنجليزية، واسم الباحث (أو الباحثين) كاملاً، مع الرتبة العلمية، والوظيفة الحالية، والعنوان، والتلفون، والبريد الإلكتروني.
- أن يتبع الباحث آليات وأساليب البحث العلمي المعتبرة.
- أن يكتب البحث بخط Times New Roman، ومقاس الصفحة: (١٧x٢٥سم) مع ترك هامش ١,٥ سم من جميع الجهات ما عدا الجهة اليمين ٢ سم، ومسافة ١,١٥ بين الأسطر، وتكون العناوين الجانبية بخط بارز .
- مقاس الخط في الأبحاث التي باللغة العربية ١٤ في المتن، و١١ في الحاشية، ومقاس الخط في الأبحاث التي باللغة الإنجليزية ١١ في المتن، و٩ في الحاشية.
- أن تكون الرسومات والجداول والأشكال والصور والحواشي (إن وجدت) معده بطريقة جيدة.
- أن لا يتجاوز البحث (٣٠) صفحة، وما زاد عن ذلك تدفع رسوم إضافية (٥٠٠) ريال يمني عن كل صفحة.
- يقدم الباحث ملخصًا باللغتين العربية والإنجليزية لا يزيد عن (١٥٠) كلمة.
- يقدم الباحث تعهدًا بعدم نشر البحث في مجلة أخرى.
- يقدم الباحث سيرته الذاتية.
- يحصل الباحث على نسختين من العدد الذي نشر فيه بحثه.
- الباحث مسؤول عن صحة النتائج والبيانات والاستنتاجات الواردة في البحث ودقتها.
- تخضع البحوث المقدمة للتحكيم العلمي بطريقة سرية.
- الأبحاث لا تعاد لأصحابها سواءً أقبلت للنشر أو لم تقبل.

التبادل والإهداءات: توجه الطلبات باسم سكرتير التحرير.

محتويات مجلة أبحاث – العدد الخامس عشر [المجلد الأول] (يوليو – سبتمبر ٢٠١٩م)

عنوان البحث	اسم الباحث	رقم الصفحة
صـــورة المـــرأة في الأحـــاديث الموضـــوعـــة	د. إبراهيم عبدالله جابر محمد	١
الطبيعـة القانونيـة لحـق المؤلـف "دراسـة مقارنـة فـي القانونين اليمني والمصري)"	أ.م.د. علوي صالح محمد العلوي د. حمود محمد إسماعيل الشاحذي	٦٠
أحكام الأب مع ولده في النكاح والطلاق والخلع "دراسة فقهية مقارنة"	د. عبد الحكيم بن عبد الله المطوع	٩٢
مكانة المرأة ومشاركتها في المجال الاجتماعي في العهد النبوي	سمية ياسين جعفر السقاف	١٣٦
بناء بنك أسئلة في مادة الرياضيات للصف التاسع الأساسي في ضوء نظرية استجابة الفقرة والتحقق من جودة توظيف برنامج حاسوبي لإدارته	أ.م.د/ توفيق علي عالم أ/ سوسن حسن أبوهادي	١٦٠
فاعلية تدريس الجغرافية باستراتيجية هرم الأفضلية في التحصيل وتنمية مهارات التفكير ما وراء المعرفة لدى طلاب الصف الرابع الأدبي	م.د/ الحارث شاكر عبد مرزوك	١٩٨
شعرية التناص في اعتذاريات النابغة الذبياني	أ/ محمد علي صالح قايد القبلاني	٢٣٠

صـــورة المـــرأة
في الأحـــاديث الموضـــوعـــة

د. إبراهيم عبدالله جابر محمد

أستاذ الحديث وعلومه المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية – جامعة الحديدة

ملخص البحث

هذا البحث يناقش مشكلة ثقافة المجتمع الدينية تجاه المرأة والتي تحتاج إلى إعادة نظر، كما تحتاج إلى عملية تصحيح شاملة للعقيدة والفكر وللسلوك والممارسة.

ويهدف إلى بيان الصورة الحقيقية للمرأة في المجتمع المسلم وموقف الإسلام في التعامل مع المرأة، وذلك من خلال دراسة مجموعة من الأحاديث الموضوعية الخاصة بالمرأة، ودراسة أسانيدها ومتنها والتي اخترعها الرواة المتعصبون ونسبوها إلى الرسول ﷺ كذباً وزوراً بسبب الأهواء المختلفة والاتجاهات المذهبية والسياسة المتباينة والتي خلفت بلا ريب فتنة في فكر الأمة.

وهذه الأحاديث الموضوعة المتعلقة بالمرأة ساهمت في تشويه المرأة وقدمتها على غير ما أراد الإسلام لها؛ حيث تصور المرأة بأنها ضعيفة، مهانة، جاهلة، سفيهة، والمرأة شيطانة، فتنة وغواية وشهوانية، وأصل الشر والبلاء ...الخ.

وبعد جمع ما يتعلق بالمرأة من أحاديث موضوعة متفرقة في بعض كتب الحديث والتفسير والسير والتأريخ شرعت في تصنيف وتقسيم تلك الأحاديث إلى مجموعات رئيسية حسب مواضيعها العامة، وحاولت دراستها دراسة حديثية موضوعية من خلال دراسة أسانيدها ومتنها والتأكد من مصدر الحديث ومتنه في كتب الموضوعات والحكم عليه بالوضع.

وحاولت كذلك الاجتهاد في مناقشتها والرد بما أمكن على تلك الأحاديث التي تحمل شتى التصورات الخاطئة والأفكار المنحرفة التي تحاول تشويه صورة المرأة وبيان الآثار التي تركتها تلك الموضوعات عن صورة المرأة في المجتمعات العربية والإسلامية.

وقد جاء هذا البحث مشتملاً على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

تضمنت المقدمة فكرة الموضع وأهميته وسبب اختياره والمنهج المتبع في بحثه.

أما المبحث الأول خصص للتعريف بالحديث الموضوع، وحكمه، وابتداء الوضع، وأسبابه، وعلاماته، وجهود العلماء في رده ومقاومته وجاء في ستة مطالب.

وخصص المبحث الثاني لدراسة مجموعة من الأحاديث الموضوعة الخاصة بالمرأة ودراستها سنداً ومتناً، ثم تقسيمها حسب مضامينها، ومناقشتها والرد عليها بما تيسر وجاء في تسعة مطالب.

والمبحث الثالث خصص لدراسة الآثار التي تركتها هه الموضوعات عن صورة المرأة في المجتمعات العربية والإسلامية، وجاء في أربعة مطالب.

وأما الخاتمة: فاشتملت على خلاصة بأهم نتائج البحث وتوصياته، كما وضح الباحث قائمة بالمصار والمراجع التي اعتمد عليها في البحث مرتبة على حروف الهجاء.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن من رحمة الله بهذه الأمة أن شرع لها هذا الدين العظيم، وكان من ما اعتنى به الإسلام، هو ما يخص المرأة فكرمها، وأعلى من شأنها، وصانها أماً وزوجة وابنة وأختاً، وأكد على إنسانيتها وأهليتها للتكاليف والمسؤولية، واعتبرها إنساناً كريماً له من الحقوق والواجبات مثل ما للرجل من حيث الخصائص الإنسانية العامة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾[الحُجُرات:١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾[البقرة:٢٢٨]، في حين كان وضع المرأة في ظل ظروف القهر والاستعباد والمهانة والاحتقار التي كانت تعيشها المرأة في ظل مجتمع الجاهلية وما سبقه من المجتمعات البشرية قبل الإسلام ليعطي المرأة حقوقها كاملة، وليعلي من شأنها ومكانتها بما رفعه عنها من وزر الإهانات، وعبث الشهوات التي تحملتها عبر التاريخ، حيث كانت تمتهن إنسانية المرأة وكرامتها، وتعامل بكل احتقار ومهانة، وتعتبر سلعة رخيصة تباع وتشترى، ومخلوق لا قيمة له في المجتمع، وليس له حق في الحياة.

ولكن لما جاء الإسلام رفع من مكانة المرأة وأعزها، وأعلن حريتها وكرامتها وإنسانيتها في كل أحوالها ومراحل عمرها، وبين حقوق المرأة كاملة في كل الميادين بما لا يدع مجالاً للشك في أنه دين العدل والرحمة، وأكد الإسلام كذلك على دورها وريادتها في جميع النواحي، وجعلها صاحبة شأن في بيتها وأسرتها ومجتمعها الذي تعيش فيه، وعاملاً فعالاً في رفعة المجتمعات وتقدمها، وجعل لها المكانة السامية في المجتمع، فأصبحت هي كل المجتمع، مقابل تلك المكانة الوضيعة المرذولة والاستغلال الرخيص التي أوصلت المرأة إليها الأديان والحضارات السابقة.

والمتأمل في كل ما كتب عن المرأة سواء من قبل القدامى أو المحدثين، يجد تضارب الآراء وصراع المواقف منذ زمن بعيد، بين من يدعو إلى تحريرها وهم على مذاهب شتى لا تكاد تتفق، وبين من يدعو إلى حبسها في البيت ومنعها من مخالطة الرجال في المجتمع وحجبها عن الأعين، وهم أيضاً مذاهب تتفاوت تشدداً وتطرفاً.

ولما كانت الكتب القديمة قد شحنت بالروايات الضعيفة، بل والموضوعة، نظراً للظروف التي كانت تمر بها الأمة الإسلامية، والتي اخترعها الرواة المتعصبون ونسبوها

إلى الرسول ﷺ كذباً وزوراً بسبب الأهواء الدينية والعنصرية، أو بسبب الأهواء المختلفة، والاتجاهات المذهبية والسياسية المتباينة التي طبعت رواياتهم.

فقد أثار انتباهي أثناء مطالعاتي لبعض كتب الحديث والتفسير والسير والتأريخ والفكر الاسلامي موضوع (المرأة في الأحاديث الموضوعة) أن ما يحمله المجتمع العربي المسلم اليوم في خياله وفكره عن المرأة في بعض جوانبه يرجع إلى أثر بعض الأحاديث الموضوعة التي لا أصل لها، والتي ما تزال ينقلها الناس وتتداول في مجالس الوعظ وعلى المنابر، بل والبعض يوظفها لتسويغ موقفه السلبي من المرأة من غير تمحيص ولا تثبت من مدى صحة هذه الأحاديث وموافقتها لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وهذه الأحاديث الموضوعة الخاصة بالمرأة ساهمت في تشويه صورة المرأة وقدمتها على غير ما أراد الإسلام لها حيث تتصور في المرأة شتى التصورات السخيفة وتراها: (ضعيفة، مهانة، جاهلة، سفيهة، شيطانة، داعرة، فتنة وغواية وشهوانية، منبع الرجس والنجاسة، وأصل الشر والبلاء ...الخ).

في حين كانت صورة المرأة في مجتمعات المسلمين وقيمتها في المجتمع في مساحته المخالفة للإسلام، وليدة تصورات ومفاهيم نشأت عن أعراف وتقاليد وممارسات اجتماعية لا تمثل الإسلام، لا سيما الموقف العلمي والثقافي والاجتماعي والسياسي وعلاقتها بالرجل.

وانطلاقاً مما سبق، ونظراً لما يكتسبه موضوع المرأة من أهمية بالغة في حياة الأفراد والمجتمعات كونها تشكل نصف المجتمع فقد ارتأيت أن أكتب في موضوع: (صورة المرأة في الأحاديث الموضوعة) وأردت من خلال موضوع هذا البحث بيان الصورة الحقيقية للمرأة في المجتمع المسلم، وموقف الإسلام في التعامل مع المرأة.

وقد جمعت فيه ما يتعلق بالمرأة من أحاديث موضوعة متفرقة في بعض كتب الحديث والتفسير والسير والتاريخ، وشرعت في تصنيفها وتقسيمها إلى مجموعات رئيسية حسب مواضيعها العامة، ووضع عنوان مناسب لكل مجموعة كما جاء في مضامين هذا البحث، وحاولت دراستها دراسة حديثية موضوعية، من خلال دراسة أسانيدها ومتنها، بالاعتماد على أقوال المحدثين النقاد الذين نقدوا هذه الأحاديث الباطلة سنداً ومتناً، وبينوا رجال النقل بدرجاتهم، ومازوا الخبيث من الطيب، وبينوا الأصيل من الدخيل، والصحيح من الفاسد.

مع العلم أن مصادر الحديث قد تختلف في إجماعها كلها على وضع حديث معين مما يجعل الأمر يتطلب ما أمكن، وذلك باستقراء كل حديث على حدة في كتب الموضوعات.

ثم إن عبارة المحدثين للدلالة على الأحاديث الموضوعة، لا تكاد تتفق في الحكم بالوضع كقولهم: (هذا حديث موضوع)، (غير مقبول)، أو (كذب) أو (باطل) أو (لا أصل

له) أو (فلان كذاب)، وكذلك قول أحد الأئمة النقاد: (لا أعرفه)، مما استدعى الوقوف ملياً عند هذه الأحاديث للتأكد من الحكم عليها بالوضع.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى: مقدمة، وثلاثة مباحث وخاتمه.

المقدمة: تضمنت فكرة الموضوع وأهميته، وسبب اختياره والمنهج المتبع في بحثه.

– أما المبحث الأول: فقد خصص للتعريف بالحديث الموضوع، وحكمه، وابتداء الوضع، وأسبابه، وعلاماته، وجهود العلماء في رده ومقاومته، وجاء في ستة مطالب.

– والمبحث الثاني: فقد تضمن دراسة مجموعة من الأحاديث الموضوعة الخاصة بالمرأة، ودراستها سنداً ومتناً، ثم تقسيمها حسب مضامينها، ومناقشتها والرد على تلك التصورات الخاطئة والأفكار المنحرفة التي تحملها تلك الأحاديث لتشويه صورة المرأة وبيان موقف الإسلام في التعامل مع المرأة، وجاء في تسعة مطالب.

– والمبحث الثالث: فقد أفردته لدراسة الآثار التي تركتها هذه الأحاديث الموضوعة على نفسية المرأة في المجتمعات العربية والإسلامية، وجاء في أربعة مطالب.

– وأما الخاتمة: فاشتملت على خلاصة بأهم نتائج البحث وتوصياته.

– كما وضع الباحث قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها في البحث مرتبة على حروف الهجاء.

وأخيراً: فإن صفحات معدودة في هذا البحث لتعجز أن تحيط بالموضوع بحثاً ودراسة واستقصاء لما في ذلك من دلالات عميقة، ولا ندعي أن هذا البحث قد أصاب الكمال وخلا من كل عيب، وسلم من كل نقص؛ لأن غير المعصوم أهل للخطأ والنسيان، راجياً من المولى سبحانه أن ينفع بهذا الجهد المتواضع ويجعله خالصاً لوجه الكريم.

المبحث الأول
الحديث الموضوع، وحكمه وعلاماته، وأسبابه، وموقف العلماء منه

المطلب الأول
تعريف الحديث الموضوع

- الموضوع في اللغة:

الموضوع لغة: اسم مفعول، ويستعمل بمعان متعددة منها: وضع بمعنى أسرع في مشيته، ووضعت الحامل ولدها وضعاً: ولدته، فهي واضع، ووضع فلان عن غريمه كذا، أي أنقص مما يليه شيئاً، ووضع فلان في تجارة خسر فيها، وانحط من رأس مالها، ووضع الشيء ألقاه من يده وحطه، ووضع الرجل الحديث: افتراه وكذبه واختلقه(١).

- أما في الاصطلاح:

فالحديث الموضوع هو: "الحديث الذي اخترعه راويه واختلقه وافتراه على رسول اللهﷺ"(٢).

وأكثر ما يكون هذا الاختلاق من تلقاء نفس الواضع، بألفاظ من صياغته، واسناد من نسجه، وقد يلجأ بعض المفترين إلى اصطناع اسناد مكذوب ينتهون به إلى النبي ﷺ واضعين فيه حكمة رائعة، او كلمة جامعة، او مثلاً موجزاً(٣).

وقد زاد محمد أبو شيبة أن الوضع قد يكون على الصحابة والتابعين من بعده ﷺ يقول مبيناً ذلك: "ولكنه إذا أطلق ينصرف إلى الموضوع إلى النبي ﷺ، أما الموضوع على غيره فيقيد، فيقال: موضوع على ابن عباس أو على مجاهد مثلاً"(٤).

ويرى ابن الصلاح أن الحديث الموضوع هو شر الأحاديث الضعيفة(٥).

يقول زين الدين العراقي في منظومته:

شَرَّ الضَّعِيفِ الخَبَر المَوْضُوع الكَذِبُ المُخْتَلَق المَصْنُوع(٦)

(١) انظر: لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط: ١، ١٩٧٤م، مادة وضع ٣٩٦/٨- ٤٠٠، القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، مادة وضع ٩٤/٣، ٩٥.

(٢) الألفية في مصطلح الحديث: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، منشورات دار السلام، ط: ١، ٢٠٠١م، ص١٢٩.

(٣) انظر: علوم الحديث ومصطلحه: د.صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط: ١٧، ١٩٨٨م، ص٢٦٣.

(٤) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: محمد بن محمد أبو شيبة، دار الجيل، بيروت، ص١٤.

(٥) انظر: المقدمة في علوم الحديث: ابن الصلاح: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزودي (ت ٦٤٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص٤٧.

(٦) فتح الغيث بشرح ألفية الحديث: زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ)، تحقيق: محمود ربيع، مؤسسة الكتب الثقافية، ط: ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ص ١١٩.

وأشار علي بن سلطان الهروي في كتابه (المصنوع في معرفة الحديث الموضوع) إلى أنه يحتمل ان يكون الحديث موضوعاً من طريق، صحيحاً من آخر، لأن هذا كله عنده بحسب ما ظهر لأهل صناعة الحديث من حيث نظرهم إلى الاسناد(٧).

المطلب الثاني
حكم الوضع ورواية الحديث الموضوع

أولاً: حكم الوضع والواضع:

أجمع أئمة المسلمين الذين يُعتد بهم في الإجماع على أن وضع الحديث حرام، وأنه كبيرة من الكبائر ولا فرق في تحريم الكذب عليه ﷺ وبين ما كان في الأحكام، ومما لا حكم فيه، كالترغيب والترهيب، والمواعظ وغير ذلك(٨).

وقد خالفت فرقة الكرامية(٩) ذلك "وجوزت الوضع في الترغيب والترهيب دون ما يتعلق به حكم من الثواب والعقاب، ترغيباً للناس في الطاعة، وترهيباً لهم من المعصية"(١٠).

وبالغ الإمام الجويني حين اعتبر أن واضع الحديث كافر، فقال: "يكفر من تعمد الكذب عن رسول الله ﷺ"(١١)، وقال الخطيب: "والكذب على رسول الله ﷺ أعظم من الكذب على غيره، والفسق به، والوزر به أكبر"(١٢)؛ لأن قوله ﷺ مشرع، وكلامه وحي، والكذب عليه كذب على الله تعالى(١٣).

(٧) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع: علي القاري الهروي (ت ١٠٢٤هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مؤسسة الرسالة، ط: ٣، ١٣٩٨هـ، ص٤٤.

(٨) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي: أبو زكريا يحيى بن شرف محي الدين النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: ٢، ١٩٧٢م، ٧٠/١، أصول الحديث علومه ومصطلحه: د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر الحديث، بيروت، لبنان، ط: ٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ص٤٢٥.

(٩) الكرامية: نسبة إلى ابن كرام (محمد بن عبدالله) من المجسمة، اشتهر بالزهد والتقشف، وقد حدث عن ابن حجر المروزي، وعن ابن إسحاق الحنظلي، وعتيق بن محمد الحرسي وغيرهم، اعتنق مذهبه كثير من أهل الشام، وقد أحرقت كل كتبه بعد تصريحه بأن الإيمان قول فقط. انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين: أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٣٠هـ)، عنى بتصحيحه: هلموت ريتز، ط: ٣، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص١٤١، الملل والنحل: أبي الفتح محمد بن أبي بكر الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، ط: ٨، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص١٢٤، معجم الفرق المذاهب الإسلامية: إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط: ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص٣١٣، ٣٠٩.

(١٠) أصول الحديث علومه ومصطلحه، ص٤٢٥.

(١١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص١٥.

(١٢) الكفاية في علم الرواية: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تقديم: محمد الحافظ التيجاني، مطبعة السعادة، مصر، ص١٧٠.

(١٣) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي، ٧٠/١.

وقد وردت أحاديث تحذر الوضاعين منها: ما روي عن علي ﷺ قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: (لا تكذبوا عليَّ، فإنه من كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار)[١٤].

ثانياً: حكم رواية الحديث الموضوع:

وكما أجمع العلماء على حرمة الوضع في الحديث، فإنهم اتفقوا على حرمة رواية الأحاديث الموضوعة سواء أكانت في الأحكام أم القصص أم الترغيب أم الترهيب، أم الفضائل، أو غير ذلك.

يقول ابن الصلاح: "ولا تحل روايته لأحد علم حاله في أي معنى كان إلا مقروناً ببيان"[١٥].

أما من كان يجهل أنه موضوع فلا إثم عليه، وإن كان مقصراً في البحث عنه[١٦].

ويستدلون على ذلك بحديث سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ قال: (من حدث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين)[١٧].

أما روايته مع بيان حاله فلا بأس بذلك؛ لأن في هذا البيان تمييز الموضوع وبيان بطلانه[١٨].

قال النووي: "وتحرم رواية الحديث الموضوع مع العلم به في أي معنى كان إلا مبيناً"[١٩].

ويؤكد الإمام مسلم في مقدمة صحيحه على أن كل من عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها، وثقاة الناقلين لها، وجب عليه أن لا يروى منها إلا ما عرف صحته، وتيقى منها ما كان مروياً عن أهل البدع والأهواء والتهم[٢٠]، فلا تروى عنهم إلا بعد التبيين.

ويمكن أن يستدل على تحريم روايته بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝٦﴾[٢١].

(١٤) صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، دار الفكر للطباعة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، المقدمة باب في التحذير عن الكذب على رسول الله ع، ٦/١.

(١٥) المقدمة في علوم الحديث، ص٤٧.

(١٦) انظر: الألفية في مصطلح الحديث للسيوطي، ص١٢٩، ١٣٠.

(١٧) صحيح مسلم، المقدمة: باب وجوب الرواية عن الثقات، ٨/١.

(١٨) انظر: المقترح في علم المصطلح: د. إبراهيم بن إبراهيم القريبي، دار القدس للطباعة والنشر، صنعاء، ط: ٢، ١٤١٣هـ - ٢٠١٠م، ص٣٦٠.

(١٩) تقريب النواوي مع شرحه تدريب الراوي للسيوطي: أبو زكريا محيي الدين النووي (ت ٦٧٦هـ)، ص١٧٨.

(٢٠) صحيح مسلم، المقدمة، ٦/١.

(٢١) الحجرات: ٦.

وقوله تعالى أيضاً: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[٢٢].

المطلب الثالث
ابتداء الوضع في الحديث

إن ظاهرة الوضع في الحديث لم تبلغ ذروتها في القرن الأول والثاني على الرغم من أن نشأتها كانت قبيل القرن منتصف الهجري الأول؛ لأن الأسباب والدوافع لم تكن قوية، فقد كانت الحالة السياسية خلال عهد الخلفاء الراشدين تعرف استقراراً لم يصاحبه أي تحريف أو تلفيق أو ابتداع في الحديث النبوي، ولكن كلما ابتعدنا عن عهد الخلفاء الراشدين والتابعين، إلا وازدادت هذه الظاهرة انتشارا بازدياد الفتن والبدع، ولكن الخلاف الذي شبَّ بين الخليفة علي بن أبي طالب، وأمير الشام معاوية بن أبي سفيان كان له أثر بليغ في تفجير هذه الظاهرة.

ولذلك فقد اشتهر بين الكتاب المسلمين أن بدء الوضع في الحديث كان في سنة الأربعين من الهجرة، بعد أن استحكم الخلاف بين علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان ب وتنازع المسلمون شيعاً وأحزاباً، وانقسموا إلى جمهور وخوارج وشيعة، وظهرت الخلافات والصراعات في المجتمع الإسلامي، وحاول بعض الأفراد المتعصبين لأحزابهم أن يؤيد موقفه ويعزز جانبه بوضع أحاديث على رسول الله ﷺ زوراً وبهتاناً يؤيد بها مذهبه ويقوي اتجاهه[٢٣].

وقد ذكر الباحثون أراء كثيرة حددوا فيها بداية الوضع في الحديث أشهرها وأرجحها منها:

- رأي الشيخ أبو زهرة: "أن تحديد ظهور الوضع في الحديث كان سنة إحدى وأربعين هجرية"[٢٤].
- رأي عمر بن حسن عثمان فلانة: "أن الوضع بمعنى الكذب على رسول الله ﷺ وقد بدأ في الثلث الأخير من القرن الأول، وهذا نص قوله: "إن الوضع في الحديث بدأ

(٢٢) الزمر: ٣٢.
(٢٣) انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، دمشق، سوريا، ط: ٤، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص٧٥، علوم الحديث ومصطلحه: د. صبحي الصالح، ص٢٦٦، تأريخ التشريع الإسلامي: مناع القطان، مكتبة المعارف، الرياض، ط: ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص٢٨٠.
(٢٤) الحديث والمحدثون: محمد أبو زهرة، ص٤٨٠.

متأخراً عن هذه الفترة، ويمكن تحديده بالثلث الأخير من القرن الأول، حيث الأدلة قامت على وجود محاولات الكذب على رسول الله ﷺ في تلك الحقبة ..."[٢٥].

وقد خلص عمر فلانة إلى هذا الرأي بعد أن دحض الآراء الأخرى كلها[٢٦]، وهو الرأي الراجح.

المطلب الرابع
علامات الحديث الموضوع

يذهب الدكتور صبحي الصالح إلى أنه من العسير جداً الحكم بالوضع على حديث معين؛ لأن التسرع لا يصدر في الواقع إلا عن باحث متساهل يلقي الكلام على عواهنه[٢٧].

غير أنه لا ينبغي أن يفهم من ذلك غياب ضوابط أو أمارات تسعف في الحكم على الحديث بالوضع يكاد يجمع عليها أهل صناعة الحديث منها:

١- الاعتراف:

وإليه أشار السيوطي بقوله في الألفية: "إما بالإقرار وما يحكيه"[٢٨]، ويكون بإقرار واضعه وشهادته على نفسه بالكذب، كحديث فضائل القرآن الذي اعترف ميسرة بن عبد ربه بوضعه، قال الكناني: "واستفيد من جعلنا هذا أمارة أنَّا لا نقطع على حديثه ذلك بالوضع لاحتمال كذبه في إقراره، نعم إذا انضم إلى إقراره قرائن تقتضي صدقه فيه قطعنا به ولا سيما إذا كان اخباره لنا بذلك بعد توبته"[٢٩].

وكما أقر عبدالكريم بن أبي العوجاء الذي قتله محمد بن سليمان بن علي العباسي أمير البصرة لزندقته لما أخذ للقتل قال: "لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال، وأحل الحرام"[٣٠]، وهذا من أقوى الأدلة على الوضع.

٢- اللحن:

وذلك بأن يكون في لغة الحديث المروي خروج عن سَنَن العرب في كلامها وبلاغتها ونظمها، أو ركاكة لفظية أو معنوية، فإن ذلك مما لا يصح وروده عن النبي ﷺ لأنه أفصح من نطق بالضاد "ونقاد الحديث يولون عنايتهم ركة المعنى قبل ركة اللفظ؛ لأن فساد المعنى أوضع دليلاً على الوضع"[٣١].

---

(٢٥) الوضع في الحديث: عمر بن حسن عثمان فلانة، مكتبة الغزالي، دمشق، ٢٠٢/١.
(٢٦) المصدر نفسه.
(٢٧) انظر: علوم الحديث ومصطلحه: د. صبحي الصالح، ص٢٧٣.
(٢٨) الألفية في مصطلح الحديث، ص١٣٠.
(٢٩) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة: أبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني (ت ٩٦٣هـ)، مطبعة القاهرة، مصر، ط: ١، ص٥.
(٣٠) ميزان الاعتدال في نقد الرجال: أبو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٩٩٥م، ٦٤٤/٢.
(٣١) علوم الحديث ومصطلحه: د. صبحي الصالح، ص٢٦٤.

ومن أمثلة ذلك: حديث: "أربع لا يشبعن من أربع، أنثى من ذكر، وأرض من مطر، وعين من نظر، وأذن من خبر"(٣٢).

فهذا الحديث وامثاله من الأحاديث ركيكة الألفاظ والمعاني، وهي أشبه بسجع الكهان الذي نهى عنه رسول الله ﷺ.

٣- المخالفة:

ويقصد بها: مخالفة الحديث الموضوع لمقتضيات العقل أو الحس أو المشاهدة، يقول ابن الجوزي ما أحسن قول القائل: "إذا رأيت الحديث يباين المعقول، أو يخالف المنقول، أو يناقض الأصول فأعلم أنه موضوع، قال: ومعنى مناقضته للأصول: أن يكون خارجاً عن دواوين الإسلام من المسانيد والكتب المشهورة"(٣٣).

فالحديث من الدين ولا ينبغي أن يتناقض الدين مع العقل؛ لأنه من شرائط التكليف، والله تعالى لا يخاطب إلا ذوي العقول، فكيف يأتي الخطاب بما يرفضه المخاطب وهو العقل أو قوانينه التي أجمع عليها الناس في كل زمان ومكان.

ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن الجوزي من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده مرفوعاً: "أن سفينة نوح طافت بالبيت سبعاً، وصلت خلف المقام ركعتين"(٣٤).

فهذا من السخافات التي لا يمكن أن يقولها عاقل؛ فكيف صدوره عن النبي ﷺ ، وهو ركيك اللفظ والمعنى مخالف للحس والمشاهدة.

٤- المبالغة:

وذلك بأن يتضمن الحديث الموضوع وعداً عظيماً على عمل يسير أو وعيداً شديداً على عمل صغير كالخلود في جنات عدن رفقة آلاف الحور العين، لفعل عمل مندوب، أو ترك مكروه، أول الخلود في جهنم لترك مندوب أو فعل مكروه، كمن قال: "من صام يوماً كان له كأجر ألف حاج أو ألف معتمر، وكان له ثواب أيوب"(٣٥).

وكمن قال: "من قال لا إله إلا الله خلق الله من تلك الكلمة طائراً له سبعون ألف لسان، لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون له".

---

(٣٢) انظر: المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة: محمد بن عبدالرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، طبعة الخانجي، القاهرة، بغداد، ١٣٧٥هـ، ص٤٧، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب: محمد بن السيد درويش الحوت (ت ١٢٧٦هـ)، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، ص٤٢، والمتهم به محمد بن الفضل بن عطية.

(٣٣) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية للنمنكاني، المدينة المنورة، ط: ١، ١٣٧٩هـ، ص١٧٩، ١٨٠، علوم الحديث ومصطلحه: د. صبحي الصالح، ص٢٧٤.

(٣٤) انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ص١٨١، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ٥٦٤/٢، ٥٦٥، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث: أحمد محمد شاكر (ت١٣٧٧هـ)، ص٢٠،دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط:٢، ١٣٧٠هـ، ١٩٥١م ص٦٥، ٧١.

(٣٥) منهج النقد في علوم الحديث: نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط: ٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص٣١٢.

وأمثال هذه المبالغات التي لا يخلو واضعها، إما أن يكون في غاية الجهل والحمق، وإما أن يكون زنديقاً قصد تشويه محاسن الإسلام والتنقيص من رسول الله ﷺ بإضافة مثل هذه الحكايات إليه(٣٦).

٥- الاشتهار بالكذب:

وذلك بأن يكون واضع الحديث معروفاً بالكذب ضعيف الدين لا يتورع عن اختلاق الأحاديث والأسانيد؛ فإذا جرح علماء الحديث واحداً من هؤلاء في أي حديث واتهموه في عدالته سقطت الرواية عنه، وحكم على الحديث بكونه موضوعاً لا يقبل أبداً، وهؤلاء الوضاعون معروفة أخبارهم وسيرهم وأوصافهم في المجروحين(٣٧).

٦- التفرد بالكذب:

وذلك أن ينفرد راوٍ معروف بالكذب برواية حديث لا يرويه ثقة غيره ولا يوجد إلا عنده فيحكم على روايته بالوضع(٣٨).

ومعنى ذلك: أن ينقب عنه من يطلبه في مجاميع السنة ومسانيدها وكتبها المعروفة، وبأن يسأل عنه أهل الخبرة من الحفاظ الضابطين فلا يجده عند واحد منهم.

ليس ما ذكرناه مما نص عليه أهل صناعة الحديث كل الأمارات والعلامات على وجه الاستقراء والاستقصاء بل بقي منها أجزاء كثيرة منثورة في كتبهم، اختلفوا في بعضها، واتفقوا في بعضها الآخر، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

المطلب الخامس
أسباب الوضع في الحديث

اهتم علماء الإسلام منذ القدم بدراسة أسباب الوضع ودواعيه والألفاظ الدالة عليه والظروف المحيطة به كل ذلك كي يتمكنوا من محاربته وحصر موضوعاته لتخليص الدين من شوائبه، وتتلخص أسباب الوضع عند الدارسين فيما يلي:

١- الخلافات السياسية:

تعد الخلافات السياسية أهم الأسباب وأخطرها في وضع الحديث على الرسول ﷺ وعلى الأمة الإسلامية إذ انقسم المسلمون بعد الفتنة الكبرى إلى فرق وأحزاب ومذاهب، الأمر الذي جعل كل فرقة يضعون الأحاديث لنصرة مذهبهم وتأكيد مشروعيتهم خاصة ما قيل في ذم الرافضة(٣٩) يقول شريك بن عبدالله القاضي: "احمل عن كل من لقيت، إلا الرافضة فإنهم يضعون الحديث، ويتخذونه ديناً"(٤٠).

(٣٦) انظر: المنار المنيف في الصحيح والضعيف: أبي عبدالله محمد ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٣٩٠هـ، ص٥٠، ٥١، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، محمد بن محمد أبو شهبة، عالم المعرفة للنشر، جدة، د.ت، ص٣٣٧، ٣٣٨.

(٣٧) انظر: علوم الحديث ومصطلحه: د. صبحي الصالح، ص٢٦٦.

(٣٨) انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص١١٤، ١١٥، المقترح في علم المصطلح، ص٣٤٣.

(٣٩) الرافضة: سموا بالرافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، ويعتبرهم البعض من الشيعة، وذلك لأنه لما خرج زيد بن علي بن الحسن سئل عن رأيه في أبي بكر وعمر فأحسن فيهما وترحم عليهما، فرفضه قوم من

وقال الشافعي: "ما رأيت في أهل الأهواء قوماً أشهر بالزور من الرافضة"[٤١]، وقد سئل الإمام مالك عنهم –يعني الرافضة- فقال: لا تكلمهم ولا ترو عنهم فإنهم يكذبون [٤٢].

ومن أمثلة ما وضعته الروافض في فضل علي: "من لم يقل علي خير الناس فقد كفر"[٤٣] رواه الخطيب عن علي مرفوعاً، وهو موضوع، اتهم به محمد بن كثير الكوفي.

قال الإمام السيوطي: "ولخطورة الوضع من الروافض فإن علماء الحديث جعلوا من قرائن الوضع أن يكون الراوي رافضياً، والحديث في فضائل أهل البيت"[٤٤].

وقد ذكر العلماء أن أقل الفرق الإسلامية كذباً هي فرق الخوارج، نقل القرطبي في تفسيره عن شيخ من شيوخ الخوارج بعد أن تاب قوله: "إن هذه الأحاديث دين فانظروا ممن تأخذون دينكم، فإنا كنا إذا هوينا أمراً صيرناه حديثاً"[٤٥].

ويقول أبو داود: ليس في أهل الأهواء أصدق ولا أعدل من الخوارج، أما المتعصبون من جهلة أهل السنة فقد قلَّ ما أثر عنهم من الدس في الأخبار"[٤٦]، وذلك مثل: "الأمناء عند الله ثلاثة أنا وجبريل ومعاوية"[٤٧].

الشيعة من أجل توليه لهما، فسميت رافضة. انظر: مقالات الإسلاميين، ص٣٠، ٣١، الملل والنحل، ص٢١٩، معجم الفرق والمذاهب أسلامية، ص١٧٨، ١٨٠.

(٤٠)نقلاً عن تأريخ التشريع الإسلامي: مناع القطان، ص٢٨٠.

(٤١) نقلاً عن الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، القاهرة، ط:١، ١٣٨٠هـ، ص٣٤٨.

(٤٢) انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص٧٩.

(٤٣) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني، ص٣٤٧.

(٤٤)الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث: أحمد محمد شاكر (ت١٣٧٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:٢، ١٣٧٠هـ، ١٩٥١م ص٨٣.

(٤٥)الجامع لأحكام القرآن: أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط: ٢، ١٣٧٢هـ، ٧٨/١.

(٤٦)تأريخ التشريع الإسلامي، ص٢٨١.

(٤٧)الفوائد المجموعة للشوكاني، ص٣٤٢، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء، قال الذهبي بعد ذكره هذا الحديث وغيره: (فهذه الأحاديث ظاهرة الوضع والله أعلم)، سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٩، ١٤١٣هـ، ١٣٠/٣، الكشف الحثيث: أبو الوفاء الحلبي، تحقيق: صبحي السامرائي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط: ١، ١٩٨٧م، ص١٨٨.

٢-الوضع بسبب الزندقة[٤٨]:

بعد أن فشل الجاحدون والمغرضون في النيل من القرآن الكريم، وبقاء العقيدة الإسلامية صافية لا يشوبها شائب، عمدوا إلى الدس في السنة بوضع أحاديث على الرسول الكريم ﷺ وفي ذلك يقول ابن الجوزي: "ولما لم يمكن أحداً أن يدخل في القرآن شيئاً ليس منه، أخذ أقوام يزيدون في حديث رسول الله ﷺ وينقصون ويبدلون ويضعون عليه ما لم يقل، فأنشأ الله عز وجل علماء يذبون عن النقل، ويوضحون الصحيح ويفضحون القبيح وما يخلي الله منهم عز وجل عصراً من العصور"[٤٩].

ومن هؤلاء الأقوام الذين ذكرهم ابن الجوزي الزنادقة، جاء في الباعث الحثيث عن حماد بن زيد قال: "وضعت الزنادقة على رسول الله ﷺ أربعة عشر ألف حديث"[٥٠].

ومن هؤلاء الزنادقة: "عبدالكريم بن أبي العوجاء[٥١] الذي أمر بقتله محمد بن سليمان والي البصرة، وعندما أخذ ليضرب عنقه اعترف بأنه وضع أربعة آلاف حديث يحلل فيها الحرام، ويحلل فيها الحلال، وبيان ابن سمعان[٥٢] الذي قتله خالد بن عبدالله القري، ومحمد بن سعيد المصلوب[٥٣] الذي قتله أبو جعفر المنصور"[٥٤].

٣- الترغيب والترهيب:

قام بعض الجهلة من المسلمين الذين ينتسبون إلى الزهد بوضع أحاديث لترغيب الناس في أفعال الخير وترهيبيهم من الوقوع في الشر وارتكاب المعصية، ويزعمون أن فعلهم هذا حسبة، وهذا الصنف من الوضاعين هم أشد وأعظم ضرراً على الإسلام لتقبل الناس ما يضعونه ثقة بهم، وركوناً إليهم؛ لأنهم يحتسبون بذلك ويرونه قربة.

---

(٤٨) الزندقة: ليست كلمة عربية وإنما هي تعريب لمصطلح إيراني، كما يطلقه الفرس على صنيع من يؤولون (الأفتا) كتاب داعيتهم زرادشت، تأويلاً ينحرف عن ظاهر نصوصه، ومن أجل ذلك نعتوا به (ماني) ومن فتنوا بها من الفرس، وأخذ مدلول الكلمة يتسع في العصر العباسي ليشمل كل من استظهر نحله من نحل المجوس، واتسعت اكثر من ذلك فشملت كل الحاد بالدين الحنيف. انظر: الفهرست: أبو الفرج النديم بن إسحاق، دار المعرفة، بيروت، ص٤٥٦، الملل والنحل، ص١٨٨.

(٤٩) الموضوعات: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط: ١، ١٣٨٦هـ، ٣١/١.

(٥٠) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، ص٨٤.

(٥١) قال عنه أبو بكر البغدادي في كتابه تكملة الاكمال: "انه زنديق له ذكر في الموفقيات للزبير بن بكار"، تكملة الاكمال: محمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر، تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط: ١، ١٤١٠هـ، ٢١٢/٤.

(٥٢) سئل مالك عن ابن سمعان فقال: كذاب. انظر: الضعفاء والمتروكين: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤٠٦هـ، ١٢٣/٢، ٢١١، ميزان الاعتدال في نقد الرجال: أبو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٩٩٥م،١٠١/٤.

(٥٣) قال النسائي: الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله ﷺ أربعة: إبراهيم بن أبي يحيى بالمدينة، ومقاتل بخرسان، ومحمد بن سعيد المصلوب بالشام، والواقدي ببغداد، تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دار الفكر، بيروت، ط: ١، ١٩٨٤م، ٢٥٣/١٠، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ٢٨٧/١.

(٥٤) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ٦٤٤/٢، تأريخ التشريع الإسلامي، ص٢٨٢.

ولاغترار العامة بهم وتصديقهم أخرج مسلم في مقدمة صحيحه عن يحيى بن سعيد القطان قال: "لم تر أهل الخير في شيء أكذب منهم في الحديث"(٥٥).

لقد قسم ابن رجب الحنبلي في شرح علل الترمذي العباد الذين تُرك حديثهم إلى قسمين: "منهم من شغلته العبادة عن الحفظ فكثر وهمه في الحديث حتى رفع الموقوف ووصل المرسل مثل أبان بن أبي عياش وعبدالله بن محرر(٥٦)، ومنهم من كان يتعمد الوضع ويتعبد ويتزهد وقصده من ذلك ترقيق قلوب العامة وتقريبهم إلى الله"(٥٧).

ومن أمثلة ما وضع حسبة وتقرباً إلى الله في فضائل السور حديث لأبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي: "من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة، وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ قال: إني رأيت الناس أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة"(٥٨).

٤-التعصب للجنس أو البلد أو القبيلة أو المذهب:

اندفع بعض المتعصبين لأجناسهم أو بلدانهم أو قبائلهم أو مذاهبهم إلى وضع أحاديث تضفي الشرعية على صنيعهم وترفع مكانتهم.

ومن أمثلة ما وضع بدافع التعصب للجنس ما روي كذباً في مدح الفرس واللغة الفارسية: "إن الله عز وجل إذا غضب أنزل الوحي بالعربية وإذا رضي أنزل الوحي بالفارسية"(٥٩).

ومما وضع بدافع التعصيب المذهبي: "يكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمتي من إبليس، وسيكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة النعمان هو سراج أمتي"(٦٠).

ومما وضع في فضائل البلدان حديث: "أربع مدائن من مدن الجنة في الدنيا، مكة المكرمة، والمدينة، وبيت المقدس، ودمشق"(٦١).

٥- قصد التكسب والارتزاق:

ممن عرف بالوضع بعض القصاصين الذين كان لهم دور كبير في وضع الأحاديث وجعلها مصدراً من مصادر رزقهم وأمور تجارتهم، ولا يهمهم إلا أن يجتمع الناس عليهم فينسجون من خيالهم قصصاً موضوعة؛ إما يخوفونهم فيها من عذاب الله، أو يذكرونهم

(٥٥) صحيح مسلم المقدمة، ١٨/١.

(٥٦) قال عنه عمرو بن علي الصيرفي: متروك الحديث، وقال عنه غيره: ضعيف ومنكر الحديث. انظر: الجرح والتعديل: أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١، ١٩٥٢م، ١٧٦/٥.

(٥٧) شرح علل الترمذي: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٣٢هـ)، تحقيق: صبحي السامرائي، عالم الكتب، بيروت، ط: ٢، ١٤٠٥هـ - ١٨٨٥م، ص٨٧.

(٥٨) الموضوعات: لابن الجوزي، ٤١/١.

(٥٩) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، المكتبة الحسينية المصرية، ١١/١.

(٦٠) التحديث بما قيل لا يصح فيه حديث: بكر أبو زيد، دار الهجرة، الرياض، ط: ١، ١٤١٢هـ، ص٢٥٥.

(٦١) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة، ٤٨/٢.

بأمجاد العرب، وغرضهم من ذلك ترقيق قلوب العامة من الناس بالمواعظ الرقيقة والقصص الشيقة وكسب المال الوفير.

ومن أطرف ما يروى من كذب القصاص ما رواه ابن الجوزي بإسناده إلى أبي جعفر محمد الطيالسي قال: "صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة، فقام بين أيديهم قاص، فقال: حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا: حدثنا عبدالرزاق عن معمر عن قتادة عن أنيس قال: قال رسول الله ﷺ "من قال لا إله لا الله خلق الله من كل كلمة طيراً منقاره من ذهب، وريشه من مرجان ..." وأخذ في قصة نحواً من عشرين ورقة؛ فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين، وجعل يحيى ينظر إلى أحمد، فقال له: حدثته بهذا؟ فيقول: والله ما سمعت هذا إلا الساعة؛ فلما فرغ من قصصه وأخذ العطيات ثم قعد ينتظر بقيتها، قال له يحيى بن معين بيده تعال فجاء متوهماً لنوال، فقال له يحيى: من حدث بهذا الحديث؟ فقال: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، فقال: أنا يحيى بن معين وهذا أحمد بن حنبل ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله ﷺ فقال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق، ما تحققت هذا إلا الساعة، كأن ليس فيها يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما؟ وقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، فوضع أحمد كمه على وجهه، وقال: دعه يقوم فقام كالمستهزئ بهما"[٦٢].

للأسف أن اكثر هؤلاء القصاص من الجهال الذين نسبوا أنفسهم للعلم والعلماء فأفسدوا كثيراً من عقول العامة.

٦- التقرب للحكام:

من اجل التقرب والتزلف لحكام عصرهم، لجأ كثير من المنافقين والوصوليين إلى اختلاق أحاديث رغبة في نيل العطايا، والفوز بالمناصب، وأيضاً اتقاء شر أصحاب السلطان وغصبهم، فباعوا أنفسهم ودينهم بثمن قليل وفضلوا الدنيا على الآخرة.

ومن ذلك ما فلعه غياث بن إبراهيم إذ دخل على المهدي وهو يلعب بالحمام، فقيل له حدث أمير المؤمنين، فروى له الحديث المشهور: أن النبي ﷺ قال: "لا سبق إلا في خف أو نصل أو حافر"[٦٣]، وزاد فيه (أو جناح) إرضاء للمهدي، فمنحه المهدي عشرة آلاف درهم.

(٦٢) الموضوعات: لابن الجوزي، ١٠٧/١، وانظر: اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع: محمد بن خليل بن إبراهيم المشيشي، تحقيق: فواز أحمد، دار البشائر الإسلامية، ط: ١، ١٤١٥هـ، ص٦٠٤.

(٦٣) الفردوس بمأثور الخطاب: أبو شجاع شيرويه الديلمي، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٩٨٦م، ١٨٢/٥، والحديث رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة بلفظ: "لا سبق إلا في خف أو نصل أو حافر"، والحديث صحيح بدون لفظه "أو جناح"، أنظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير)، محمد بن ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢هـ)، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، رقم (٧٣٧٤).

ثم قال بعد أن ولى: أشهد أن قفاك قفا كذاب على رسول الله ﷺ وأمر بذبح الحمام"[٦٤].

وما فعله المهدي رحمه الله من ذبح الحمام وقوله بعد أن ولى غياث: "أشهد بأن قفاك قفا كذاب ..." لا يكفي هذا بل كان الواجب عليه أن لا يعطي هذا الكذاب هذا المبلغ من المال تشجيعاً له على كذبه وباطله، بل كان عليه أن يأخذ على يديه جزاء ما افترى على رسول الله ﷺ[٦٥].

وفعل أيضاً أبو البحتري مع الرشيد نحواً من ذلك حيث قال له: "إن النبي ﷺ كان يطير الحمام، فقال هارون: أخرج عني"[٦٦].

يقول مصطفى السباعي: "إن هذه المواقف مما يحاسب الله عليها هؤلاء الخلفاء إن صحت عنهم تلك الروايات، وإذا كنا نذكر لهم فضل تعقبهم للزنادقة الذين أفسدوا دين الإسلام، فإننا لا ننكر أن الدوافع التي حملتهم على تعقبهم بالقتل هو أنهم كانوا خارجين على حكمهم، بدليل أننا لم نرهم فعلوا بالكذابين والوضاعين الذين تقربوا إليهم بالكذب على رسول الله ﷺ إرضاء لأهوائهم، عشر ما فعلوه مع الخارجين على حكمهم"[٦٧].

إضافة إلى هذه الأسباب الأساسية هناك أسباب ثانوية وغير مقصودة في وضع الحديث، من ذلك: ما يصدر عن ثقاة اختلطت عقولهم في أواخر أعمارهم، ومنهم من روى الخطأ سهواً فلما رأى الصواب وأيقن به لم يرجع أنفة من أن ينسب إلى الغلط، وهناك من ضاعت كتبه فحدث من حفظه فغلط، ومنهم من كان يروج لبعض المأكولات والحلويات ...[٦٨].

ويبقى غرض بعض هؤلاء الوضاعين وهدفهم من الوضع هو الكيد للإسلام بإحلال القشور في مواضع اللباب، والشرك في مواضع التوحيد، والخرافات والترهات بدلاً من الحقائق والبديهيات لبلبلة الأفكار وافساد عقائد المسلمين؛ لأن حركة الوضع في الحديث لم تكن حركة ارتجالية عفوية في كل الأحيان، وإنما تحولت إلى حركة مدروسة هادفة وخطة شاملة لها خطرها وآثارها[٦٩].

---

(٦٤) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ٢٣٢/٢، وانظر: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، ١٥/٢.

(٦٥) انظر: أصول الحديث علومه ومصطلحه: د. محمد عجاج الخطيب، ص٤٢٧، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، ص٣٣٢.

(٦٦) تأريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٤٠٦/١٣، نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: السماعي سويدان، دار القادري، بيروت، ط: ١، ١٩٩٠م، ص٩٥.

(٦٧) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص٨٩.

(٦٨) انظر: المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، ص٦.

(٦٩) انظر: الموضوعات: لابن الجوزي، ص٦، ٩.

المطلب السادس
موقف العلماء من الحديث الموضوع

من حفظ الله لدينه من عبث العابثين أن قيض رجالاً أمناء مخلصين قاموا بجهود كبيرة بينوا الحق وميزوا الخبيث من الطيب، واجتهدوا في فضح الوضاعين وكشفهم ونقد أحاديثهم الباطلة بعد أن وضعوا ضوابط ومعايير وسنوا قواعد والفوا الكتب في الموضوعات كل ذلك من اجل تمييز الصحيح من الفاسد، ويمكن إجمال موقف العلماء من الوضاعين وأحاديثهم الموضوعة فيما يلي:

١- التزام الاسناد:

وذلك بأن رفضوا رواية الحديث من غير ذكر رجاله الذين رووه؛ لأنه السند للخبر كالنسب للمرء، قال عبدالله ابن المبارك: " الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء"(٧٠).

٢- نقد الرواة:

وهو ما عرف بعلم الجرح والتعديل؛ حيث يبحث فيه عن أحوال الرواة، وامانتهم، وعدالتهم، وضبطهم، وثقتهم لمعرفة حالهم من صدق أو كذب، وقد وضعوا لذلك قواعد ساروا عليها لبيان من يؤخذ منه ومن لا يؤخذ، قال الشافعي: " إذا علم رجل من محدث الكذب ما يسعه السكوت عنه، ولا يكون ذلك غيبة؛ لأن العلماء كالنقاد ولا يسع الناقد في دينه ان لا يبين الزيوف وغيرها"(٧١).

٣- تسطير ضوابط:

وهذه الضوابط تبين الحديث الموضوع بعضها في السند، والأخرى في المتن " كل هذا يبين الحيوية العلمية في صدر الإسلام، ونشاط أهل العلم في سبيل حفظ الحديث ونشره، وبيان المردود من المقبول والدخيل من الأصيل"(٧٢).

أخيراً:

إذا علم أن الحديث الموضوع هو ما كان منسوباً للنبي ﷺ على جهة الكذب والتلفيق لأسباب تنوعت واختلفت وخلفت –بلا ريب- فتنة في فكر الأمة؛ فإن المبحث التالي سنفرده للحديث عن هذه الموضوعات الخاصة بالمرأة والتي ساهمت في تشويه صورتها، وقدمتها على غير ما أراده الإسلام لها، ضعيفة، مهانة، جاهلة، سفيهة، داعرة، شيطانة ...الخ.

ولن نكتفي في عرضنا ذلك بترتيب هذه الموضوعات وحصرها بل سنجتهد في الرد عليها ومناقشتها بما تيسر وبما أمكن.

(٧٠) أصول الحديث وعلومه ومصطلحه، ص٤٢٦.
(٧١) الموضوعات: لابن الجوزي، ٥٠/١.
(٧٢) أصول الحديث وعلومه ومصطلحه، ص٤٢٨.

المبحث الثاني
المرأة والحديث الموضوع

المطلب الأول: المرأة نقص وضعف

١- حديث: (زينوا مجالس نسائكم بالمغزل)

هذا حديث موضوع فيه محمد بن زياد، قال أحمد ويحيى: "كان محمد بن زياد كذاباً خبيثاً يضع الحديث"(٧٣).

٢- حديث: (لا تسكنوهن الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن المغزل وسورة النور).

هذا الحديث لا يصح، وقد ذكره أبو عبدالله الحاكم النيسابوري في مستدركه والعجب كيف خفي عليه أمره، قال أبو حاتم بن حيان: "كان محمد بن إبراهيم الشامي يضع الحديث على الشاميين لا يحل الرواية عنه، إلا عند الاعتبار، روى أحاديث لا أصول لها من كلام رسول الله ﷺ لا يحل الاحتجاج به"(٧٤).

٣- حديث: (النساء مصابيح البيوت ولكن لا تعلموهن).

هذا الحديث يجري على ألسنة بعض الناس ولا أصل له(٧٥).

٤- حديث: (عقولهن في فروجهن، يعني النساء).

قال في المقاصد: لا أصل له، ولكن حكى القرطبي في التذكرة عن علي أنه قال: "أيها الناس لا تطيعوا النساء ولا تدعوهن يدبرن أمراً يسيراً"(٧٦).

٥- حديث: (تمكث أحداكن شطر عمرها لا تصلي).

هذا الحديث لا أصل له، قال السخاوي في المقاصد: لا أصل له بهذا اللفظ، وقال النووي: باطلاً لا أصل له.

ويقرب من معناه ما في الصحيح وهو ما اتفق عليه الشيخان من حديث أبي سعيد مرفوعاً: "أليس إذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم فذاك من نقصان دينها"(٧٧).

٦- حديث: (خير لهو المؤمن السباحة، وخير لهو المرأة المغزل).

---

(٧٣) الموضوعات: لابن الجوزي، ٢٧٧/٢، وانظر: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، ٢١٥/٢، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: محمد بن ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، مطابع دار الفكر، دمشق، ط: ١، ١٩٧٩م – ١٩٥٩م، ص٢٤.

(٧٤) الموضوعات: لابن الجوزي، ٢٦٩/٢، وانظر: اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ١٦٨/٢، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، ٢٠٨/٢، ٢٠٩.

(٧٥) كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: إسماعيل بن محمد العجلوني (ت ١١٦٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ٣، ١٣٥١هـ، ٣١٦/٢.

(٧٦) كشف الخفاء ومزيل الالباس، ٦٢/٢-٦٣، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، ص ١٥١.

(٧٧)كشف الخفاء ومزيل الالباس، ٣١٨/١، وانظر: تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث: عبد الرحمن بن علي محمد الزبيدي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سيناء، مصر، ص١٠٥، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، ص٩٧.

هذا حديث لا يصح، قال ابن حبان: جعفر بن حفص كان يحدث عن الثقاة بما لم يحدثوا به، وقال ابن عدي: يحدث عن الثقاة بالبواطيل، وله أحاديث موضوعات عليهم(٧٨).

٧- حديث: (إذا كان في آخر الزمان، واختلفت الأهواء فعليكم بدين البادية والنساء).

هذا حديث موضوع فيه محمد بن عبد الرحمن البيلماني، منكر الحديث، قال ابن الطاهر: وابن البيلماني "يعني الذي في سنده" له عن أبيه عن ابن عمر نسخة كان يتهم بوصفها، وقال العراقي: وهذا اللفظ من هذا الوجه رواه ابن حبان في (الضعفاء) في ترجمة ابن البيلماني(٧٩).

مما لا شك فيه أن مجموعة هذه الأحاديث موضوعة، وتنبئ ألفاظها ومعانيها على وضعها وعدم صحتها، وأن واضعيها من الجاهلين أو المتجاهلين لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

فالإسلام دين العلم، وأول آية نزلت على الرسول ﷺ هي: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾(٨٠) وفيها دعوة إلى القراءة والكتابة؛ لأن العلم هو شعار الإسلام والمسلمين، وهو الذي ينقل الإنسان من ظلمات الجهل إلى نور العلم.

وليس العلم في الإسلام حكراً على الرجال وحدهم، بل هو عام بين الرجل والمرأة، ويؤكد هذا ما جاء على لسان النبي ﷺ في الحديث: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)(٨١) دون زيادة لفظ "مسلمة"، وقد نص العلماء على أن المرأة داخلة في عموم هذا الحديث؛ فمسلم لفظ عام تشترك فيه المرأة والرجل معاً.

والدليل على ذلك ما سنورده من نصوص وأحاديث تؤكد على حق المرأة في التربية والتعليم، فعن أبي بردة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: (أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحس تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها، ثم اعتقها وتزوجها فله أجران)(٨٢).

(٧٨) الموضوعات: لابن الجوزي، ٢٦٨/٢، وانظر: اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ١٦٨/٢، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، ٢٠٩/٢.

(٧٩)أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، ص٣٨، وانظر: اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ١٣١/١، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ص٦٤.

(٨٠) العلق: ١.

(٨١) سنن ابن ماجه: أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ٨١/١، رقم (٢٢٤)، قال الألباني في صحيح الجامع، انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ٧٢٧/٢.

(٨٢) صحيح البخاري بحاشية السندي: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، طبعة دار الفكر، د.ت، كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته واهله، ٢٩/١، وكتاب النكاح، باب تعليم الرجل أمته وأهله، ٢٤٠/٣.

فإذا كان المسلم مدعو لتعليم وليدته أحسن تعليم وتأديبها أحسن تأديب؛ فابنته الحرة أولى وأوجب، وخير ما تزود به خلق قويم وعلم نافع، وإذا كان الخلق القويم ثابتاً فالعلم النافع يختلف نوعه وقدره من عصر إلى عصر(٨٣).

ولم يكتف ﷺ في الحض على تعليم النساء وترغيبهن فيه، بل خصص لهن يوماً يجمعهن فيه معه، ويتلقين عنه تعاليم الإسلام، ويسألنه فيما استُشْكِل عليهن فلبى دعوتهن.

فقد جاء نسوة فقلن: "يا رسول الله ﷺ ما نقدر عليك في مجلسك من الرجال، فواعدنا منك يوماً نأتيك فيه، قال: (موعدكن بيت فلان، وأتاهن في ذلك اليوم وذلك الموعد وعلمهن)(٨٤).

ولم يكن يتحرجن من سؤاله ولا سيما نساء الأنصار، فعن السيدة عائشة ل قالت: (نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين)(٨٥)؛ فكانت المرأة تقصد رسول الله ﷺ لتسأله عما يعرض لها من أمور الدين، ولا تستحي أن تسأله لعلمها أنه لا حياء في التعليم. فالمسلم مسؤول عن تعليم بناته ونسائه وأخواته في ظل الشريعة الإسلامية سيراً على نهج كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ؛ فالمرأة كما هو معلوم تمثل نصف المجتمع وهي المسؤولة عن تربية نصفه الآخر إذ كيف يعقل أن ينفي عليها هؤلاء الوضاعون حقها، وانظر إلى هؤلاء الجهلاء كيف يستغلون ضعف الأمة وجهلها بدينها بوضع مثل هذه النصوص وليس في الشريعة الإسلامية ما يمنعها من بذل الجهد وإعمال النظر، بل على العكس نجد الرسول ﷺ كان حريصاً أشد الحرص على تعليمهن، ويظهر لنا ذلك في طلبه من الشفاء العدوية أن تعلم حفصة بنت عمر ب القراءة والكتابة.

فعن الشفاء بنت عبدالله قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة فقال لي: (ألا تُعلمين هذه رُقْيةَ النملة كما عَلَّمتيها الكتابة)(٨٦).

قال الخطابي رحمه الله: "في الحديث دليل على أن تعليم الكتابة للنساء غير مكروه"(٨٧).

(٨٣) انظر: تحرير المرأة في عصر الرسالة: عبد الحليم محمد أبو شقة، الكويت، ط: ٤، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ١١٧/١.

(٨٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم، ٣٠/١، مسند الإمام أحمد: أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر، ٨٥/٣.

(٨٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، ٣٧/١.

(٨٦) سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقي، ١١/٤، رقم (٣٨٨٧)، مسند احمد، ٣٧٢/٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، رقم (٣٨٨٧).

(٨٧) معالم السنن مع سنن أبي داود: أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي (ت ٣٨٨هـ)، إعداد: عزت عبيد الدعاس، ط: ١، ١٣٨٨هـ، ٢١٠/٤.

ما أجهل هؤلاء الوضاعون الذين يقولون إثماً ويدعون باطلاً وينسبون إلى الإسلام ما هو منزه عنه، زاعمين أنه يحول بين المرأة وبين العلم، ولا يجعل لها نصيباً من العلوم الدينية والدنيوية، ويحرم عليها القراءة والكتابة: ﴿**يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩**﴾[٨٨] فيروون كذباً على رسول الله ﷺ أنه قال: "لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة"، وهو منكر كما سبق، ويستدلون بقول الجاهل الماجن:

مـــــا للنســـــاء وللعمالـــــة والخطابـــــــة والكتابـــــــة
هـــــذا لنـــــا ولهـــــن منـــــا أن يبـــــتن علـــــى جنابـــــة

وربما كان هذا من فقيه ديني حسن النية يصدق ما قيل له، ويُعد ذلك حماية للفضيلة من عبث المرأة لا يفرق بين صالحة وطالحة، وشرب الدواء النافع عنده مثل شرب السم الناقع، وأين هذا من النصوص والأحاديث التي تحث وترغب في تعليم المرأة، وكانت في أمهات المؤمنين من تقرأ وتكتب وتروي الشعر والتأريخ وتحفظ من القرآن والأحاديث ما يرجع إليه كبار الصحابة في التشريع من الأمور التي ما كان يطلع عليها من النبي ﷺ غيرهن، كشؤون البيت، ومعاملة الأهل والزوجات، وما هو خاص بالنساء من سائل الطهارة والصلاة والحيض والنفاس والحمل والرضاعة ونحو ذلك[٨٩].

وللنساء في أمهات المؤمنين أسوة حسنة، وأنموذج كامل للمرأة المتعلمة والمجاهدة والصابرة والمحتسبة وأدائها لوظيفتها الطبيعية التي خلقها الله من اجلها بل ويكفي النساء فخراً أن أمهم عائشة ل من مجتهدات الصحابة.

فطلب العلم تتساوى فيه الأنثى والذكر، وهو عندها لا يقتصر على العلم الديني فحسب، بل يشمل علوم الدنيا أيضاً حسب مقتضيات وضرورات العصر، والتأريخ الإسلامي حافل بشخصيات نسائية تركت بصماتها جلية: (كأسماء بنت شكل التي تُغالب الحياء لتتفقه في الدين، وعاتكة بنت زيد زوج عمر بن الخطاب تتمسك بحقها في شهود الجماعة، وسبيعة بنت الحارث التي تعرف كيف تتحرى لتصل إلى اليقين، وغيرهن كثيرات)[٩٠].

(٨٨) البقرة: ٩.
(٨٩) انظر: استاذ المرأة: محمد بن سالم بن حسين الكوادي البيحاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: ١، ٢٠٠٢م، ص٤٠، ٤١.
(٩٠) انظر: تحرير المرأة في عصر الرسالة، ١٧١/١ وما بعدها.

وفي عصرنا الحاضر حققت المرأة ألواناً من النجاح في مختلف مجالات الحياة، كما يُسرت لها السبل وفتحت أمامها دور العلم وأبواب الجامعات ومعامل الأبحاث، وأحرزت في كثير من هذه المجالات الفوز والنبوغ.

المطلب الثاني
المرأة لعبة

٨- حديث: (المرأة لعبة زوجها فإن استطاع أن يحسن لعبته فليفعل).

هذا حديث لا يصح فيه عيسى بن عبدالله العلوي (تعقب) بأن لأوله شاهد عند الحاكم في تأريخه بسند ضعيف، من حديث عمرو بن العاص بلفظ: (النساء لعب فتخيروا)[٩١].

لا ريب أن من الاشتهاء الخاطئ من الرجل للمرأة نظره إليها على انها لعبة بما يفهم من لفظ اللعبة من إلغاء لشعورها وإحساسها وجميع عواطفها؛ فاللعبة: "اسم لكل ما يلعب به واللَّعْبَةُ تقال للمرة الواحدة من اللعب"[٩٢].

وحين توصف المرأة باللعبة فهو وصف يستلزم شيئاً جامداً لا عقل له يباع ويشترى من أجل اللهو والعبث به لمدة طالت أم قصرت ثم رميه او طرحه أو اهماله، وحاشا رسول الله ﷺ أن يكون ممن ينظر إلى هذا الكيان الذي كرمه الله وشرفه على أنه لعبة للرجل.

يقول تعالى منصفاً المرأة أمام هذا الجور: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ ١٩**﴾[٩٣]، والعشرة هنا: هي الكلمة الطيبة والمشاعر الصادقة والمعاملة الكريمة، فهي أولى الناس بهذا؛ لأن التضييق عليهن واللعب بمشاعرهن واهمالهن، فيه امتهان لمنزلتهن ويحط من قيمتهن، والمعروف كذلك كلمة جامعة لكل فعل وقول وخلق نبيل.

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "أي طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ ﴿٢٢٨﴾**﴾[٩٤]، وقال رسول الله ﷺ: (خيركم خيركم لأهله، وانا

(٩١) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، ٢٢٦/٢.
(٩٢) لسان العرب، ٧٤١/١.
(٩٣) النساء: ١٩.
(٩٤) البقرة: ٢٢٨.

خيركم لأهلي)[٩٥]؛ فكان من اخلاقه ﷺ انه جميل العشرة، دائم البشرى، يداعب أهله ويتلطف بهم ويوسعهم نفقته ويضاحك نساءه ...[٩٦].

لئن كانت المرأة تدخل السرور على الزوج بما شرعه الشارع في الزواج من جواز الملاعبة والملاطفة واللهو الزوجي المباح؛ فإنه مطلوب من الطرفين على جهة التشارك والتعاون في إنجازه وانجاحه، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ في حديث أبي هريرة: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله)[٩٧].

فالمرأة والرجل معاً كل واحد منهما مطالب بعمل ما في وسعه من اجل اسعاد الآخر بالكلمة الطيبة والممازحة والترفيه والتسلية لا بمنطق الأنانية الفردية التي ترى أن المرأة وحدها المطالبة بتوفية رغبات الزوج والسهر على طلباته ونزواته، بل الرجل أيضاً مطالب أن يكون في مستوى ما يستلزمه الزواج وحاجات الزوجة، ويروى عن ابن عباس: (انه وقف أمام المرآة يصلح من هيئته، ويعدل من زينة؛ فلما سئل في ذلك قال: أتزين لامرأتي كما تتزين لي امرأتي، ثم تلا الآية الكريمة: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴿٢٢٨﴾﴾[٩٨].

وإن كانت هناك حاجة للعب واللهو فمن الرجل والمرأة معاً وبينهما بلا شك وإلا كان الظلم وترسخت الأذية المادية والمعنوية، وهذا ما جاء الشرع الحنيف لرفعه ودفعه.

وقد أثبتت السيرة النبوية لطفه ﷺ بأهله وحسن خلقه مع أزواجه، وبلغ من ملاطفته لهن أنه سابق عائشة ل مرتين فسبقته مرة وسبقها.

جاء في حديث عائشة أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر فقالت: (فسابقته فسبقته على رجلي، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني، فقال: هذه بتلك)[٩٩].

---

(٩٥) سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، كتاب المناقب، باب في فضل أزواج النبي ﷺ، ٧٠٩/٥، رقم (٣٨٩٥)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء، ٦٣٦/١، رقم (١٩٧٧).

(٩٦) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ - ١٩٨٤م، ٤٦٧/١.

(٩٧) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصه، ٢٢٠/٤، رقم (٤٦٨٢)، سنن الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، ٤٦٦/٤، رقم (١٦٦٢)، وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح"، مسند أحمد، ٢٥٠/٢، رقم (٧٣٩٦).

(٩٨) الجامع لأحكام القرآن، ٩٧/٥، وانظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، ٤٥٣/٢.

(٩٩) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في السبق على الرجل، ٣٠/٣، رقم (٢٥٧٨)، والسنن الكبرى للبيهقي: أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، بيروت، ١٤٠٤هـ، باب ما جاء في المسابقة. ١٨١٧/١٠، صحيح ابن حبان بترتيب ابن

وهذا من حسن خلقه ﷺ مع أزواجه وملاطفته لهن، وحسن المعاشرة، وفيه إدخال السرور على الزوجة بما يؤنسها فهي سبقته في المرة الأولى وجاءت مناسبة أخرى فسبقها في هذه المرة.

المطلب الثالث

المرأة آلة إنجاب

٩-حديث: (عليكم بالسراري فإنهن مباركات الأرحام)

هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، قال أبو حاتم الرازي: عثمان بن عطاء لا يحتج به، وقال علي بن الجنيد متروك، وأما محمد بن علاثة، قال ابن حبان: يروى الموضوعات عن الثقاة لا يحل كتب حديثه، وأما عمرو بن حصين فقال ابن حبان الرازي: ليس بشيء، وقال العقيلي: لا يصح في السراري شيء عن رسول الله ﷺ[١٠٠].

١٠- حديث: (سوداء ولود خير من حسناء لا تلد).

هذا الحديث ذكره في الإحياء قال العراقي: أخرجه ابن حبان في الضعفاء، ولا يصح، وذكره ابن الأثير في النهاية بهذا اللفظ ورفعه الأزهري، وأخرجه غيره عن عمر موقوفاً[١٠١].

١١- حديث: (حصير في البيت خير من امرأة لا تلد).

وذكر حديثاً طويلاً في ورقتين كذا قال ابن حبان قال: وعبدالله بن وهب شيخ دجال يضع الحديث على الثقاة، لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل الجرح فيه[١٠٢].

١٢- حديث: (انتجبوا المناكح، وعليكم بذوات الأوراك فإنهن أنجب).

قال في المختصر: لا يصح[١٠٣].

بلبان: أبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، باب ذكر إباحة المسابقة بالأقدام إذا لم يكن بين المتسابقين رهان، ٥٤٥/١٠، رقم (٤٦٩١)، والحديث صححه ابن حبان، وقال الألباني في صحيح الجامع: صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير برقم (٧٠٠٧).

(١٠٠) الموضوعات: لابن الجوزي، ٢٥٩/٢، وانظر: تنزيه الشريعة المرفوعة، ٢٠٦/٢، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، ص٢١.

(١٠١) كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، ٤٥٧/١ – ٤٥٨.

(١٠٢) الموضوعات: لابن الجوزي، ٢٦٧/٢ – ٢٦٨.

(١٠٣) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ص١٣١.

١٣- حديث: (ان من بركة المرأة تبكيرها بالأنثى).

هذا الحديث موضوع على رسول ﷺ، وقد اتفق فيه جماعة كذابون، أما مسلم فقال يحيى: هو كذاب، واما حكيم فقال أبو حاتم الرازي: متروك الحديث، وأما العلاء بن كثير فقال: أحمد ويحيى: ليس بشيء، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات[١٠٤].

تُجمع هذه الأحاديث الباطلة سنداً ومتناً على جملة أمور لا يقبلها العقل ولا الشرع الحنيف، منها: التشجيع على السراري لبركتهن، ولا معنى لخصوص هذه البركة وتفضيل الولود على غيرها، بل والانتقاص من أمر العاقر إلى درجة مقارنتها بالحصير في البيت، مع العلم أن العقم قد لا يكون للإنسان دخل فيه يقول تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ ۝٥٠﴾[١٠٥].

فمما يشاؤه الله تعالى منع المرأة من الخلف لسبب يحدثه سبحانه ولا اعتراض على أمره، بل العقيدة الصحيحة تقتضي التسليم للخالق وحده سبحانه في أمر العطاء والأخذ والحياة والموت والإغناء والافتقار، فهي مقاديره سبحانه التي وجب الاعتقاد بها، يقول تعالى على لسان زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨﴾[١٠٦]، أي يفعل من الأفعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر[١٠٧].

يقول ابن القيم في تفسير قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾:

"فقسم الله سبحانه حال الزوجين إلى أربعة أقسام اشتمل عليها الوجود، واخبر أن ما قدره بينهما من الولد فقد وهبهما إياه، وكفى بالعبد تعرضاً لمقته أن يتسخط ما وهبه، وبدأ سبحانه بذكر الإناث فقيل: جبراً لهن لأجل استثقال الوالدين لمكانتهن، وقيل: -وهو أحسن- إنما قدمهن لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء لا ما يشاء الأبوين؛ فإن الأبوين لا يريدان إلا الذكور غالباً، وهو سبحانه قد أخبر انه يخلق ما يشاء، فبدأ بذكر الصنف الذي يشاء ولا يريده الأبوان، ثم يقول ابن القيم: وعندي وجه آخر: وهو أنه سبحانه قدم ما كانت تؤخره الجاهلية من أمر البنات حتى كانوا يئدونهن، أي هذا النوع المؤخر عندكم مقدم عندي في الذكر، وتأمل كيف نكر الله سبحانه الإناث وعرف الذكور، فجبر نقص الأنوثة بالتقديم وجبر نقص التأخير بالتعريف؛ فإن التعريف تقوية، ويتابع ابن القيم قوله:

(١٠٤) الموضوعات: لابن الجوزي، ٢٧٦/٢،اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ١٧٦/٢ – ١٧٧.
(١٠٥) الشورى: ٤٩، ٥٠.
(١٠٦) آل عمران: ٤٠.
(١٠٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، رتبه وصححه وضبطه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٣٥٤/١.

"وقد قال الله تعالى في حق النساء: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾[١٠٨]، وهكذا البنات قد يكون للعبد فيهن خير في الدنيا والآخرة، ويكفي في قبح كراهتن أن يكره ما رضيه اله وأعطاه عبده"[١٠٩].

وخلاصة ذلك تتمثل: في إزالة التصور الفاسد عن البنات، وعدم الكراهية لهن، وإحلال الحب لما أحبه الله تعالى ووهبه للوالدين، وان الخير فيما يختاره للعبد لا فيما يختاره العبد نفسه.

وأما حديث: (عليكم بذوات الأوراك) فإنه لا أصل له، وهو نابع من عقل شهواني يذكرنا بخزعبلات ألف ليلة وليلة، وبمسامرات المجان من الدباء والشعراء، كما أنه لا وزن له في باب العلم الشرعي ولا الطبي، بل يعكس خيالاً مريضاً يختزن صورة الجسد الأنثوي المكبوث في ذهن مصاب بالخرف والتيه عن الصواب والحق.

أما عن تبكير المرأة بالأنثى وجعله علامة بركة ويمن؛ فإنه بمفهوم المخالفة يفيد عكسه، وهو أن تبكيرها بالذكر علامة شقاء ونحس، وقد سبق أن أمر الولد ذكراً أو أنثى هومن شأن الخالق فلا يجوز التعقيب عليه إلا بالحمد على ما أعطى لأنه هو خالق الذكر والأنثى يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾[١١٠].

أي يجعلكم على هيئة مخصوصة في أرحام أمهاتكم من ذكر وأنثى، وأسود وأبيض، وتام وناقص، وطويل وقصير، وحسن، وقبيح[١١١] فكله فضل ونعمة تستلزم الشكر ولا وجه لتفضيل ذكر على أنثى أو أنثى على ذكر إلا بالتقوى يقول الحق سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[١١٢].

(١٠٨) النساء: ١٩.
(١٠٩) تحفة المودود بأحكام المولود: شمس الدين أبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ط: ١، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، ص٢٠.
(١١٠) آل عمران: ٦.
(١١١) انظر: روح البيان: إسماعيل حقي البروسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٤/٢.
(١١٢) الحجرات: ١٣.

المطلب الرابع
المرأة سفيهة

١٤- حديث: (النار خلقت للسفهاء، ألا وإن السفهاء هنَّ النساء، إلا التي أطاعت زوجها).

هذا الحديث رواه الطبراني عن أبي أمامه ﷺ(١١٣).

١٥- حديث: (لا يَفْعَلَنَّ أحدكم أمراً حتى يستشير فإن لم يجد من يستشيره فليستشر امرأة، ثم يخالفها، فإن في خلافها البركة).

هذا الحديث من حديث أنس وفيه عيسى ابن إبراهيم الهاشمي(١١٤).

١٦- حديث: (طاعة المرأة ندامة) (طاعة النساء ندامة).

هذا حديثان لا يصحان.

أما حديث زيد ففيه عنبسة، قال يحيى: ليس بشيء، وقال ابن حبان: هو صاحب أشياء موضوعة لا يجوز الاحتجاج به، ولا بعثمان بن عبد الرحمن، وحديث عائشة قال العقيلي: محمد بن سليمان يحدث عن هشام بواطيل لا أصل لها(١١٥).

١٧- حديث: (شاورهن وخالفوهن ...).

هذا الحديث لا أصل له موضوع، قال أسنى في المطالب: أصله لم أره مرفوعاً عن شيخه، ويروى: (طاعة المرأة ندامة وهو ضعيف)(١١٦).

لقد عاشت المرأة في الجاهلية تتخبط وتتعثر بين التقاليد والعادات الخرافية، وبين الأحكام والأفكار الشاذة التي حرمتها حقوقها وحبستها في صورة مظلمة قاتمة حتى أواخر القرن السادس الميلادي، حين بزغ فجر الإسلام من شبه الجزيرة العربية ليرفع عن المرأة مظالمها والإهانات التي لحقت بها عبر التأريخ، كما هو في هذه الأحاديث الموضوعة التي تسفه المرأة وتنقص من أهليتها.

ومعنى السفه كما ذكر أهل اللغة: الخفة، والسفيه: الخفيف العقل، ومن هذا قيل: تسفهت الرياح الشيء إذ حركته واستخفته، والسفه ضد الرشاد(١١٧).

وذكروا له تعاريف كثيرة منها:

---

(١١٣) أنظر: كشف الخفاء ومزيل الالباس، ٣١/٢، المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط:٢، ٢٩٩٤، ٢٢٠/٨، رقم (٧٨٧٤)، قال الألباني: منكر، أنظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١٣٦/١٣، رقم (٦٠٥١)، ١٠٥٩/١٤، رقم (٦٩٦١).

(١١٤) تنزيه الشريعة المرفوعة، ٣٠٨/٢.

(١١٥) الموضوعات: لابن الجوزي، ٢٧٢/٢، وانظر: كشف الخفاء ومزيل الالباس، ٣٧/٢، اللآلئ المصنوعة، ١٧٤/٢، تنزيه الشريعة المرفوعة، ٢١٠/٢، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، ص١٤٧.

(١١٦) انظر: أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، ص١٣٦.، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ٦٦٩/١.

(١١٧) انظر: لسان العرب، ٤٩٧/١٣، تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن احمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١، ٢٠٠١م، ١١٧١/٢.

- خفة تبعث الإنسان على العمل في ماله بخلاف مقتضى العقل(١١٨).
- هو الفساد في الدين والمال معاً(١١٩).
- وهو اساءة التصرف في المال ولا أثر للفسق والعدالة فيه(١٢٠) .

وحين توصف هذه الأحاديث الموضوعة المرأة بالسفه وخفة العقل وتنقص من اهليتها، بينما في كتابه العزيز نجد خلاف ذلك يقول الحق سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾(١٢١) فهي نفس واحدة في طبيعة تكوينها، وإن اختلفت وظيفتها بين الذكر والأنثى، وهذه هي نظرة الإسلام لحقيقة الإنسان، هي نظرة كاملة وصادقة جاء بها هذا الدين منذ أربعة عشر قرناً، يوم كانت الديانات المحرفة تعد المرأة أصل الشر والبلاء، وهي من النفس الأولى فطرة وطبعاً(١٢٢).

إذا كانت المرأة سفيهة قاصرة على الإدراك، كيف يقبل الرسول ﷺ بيعتها يوم الفتح، وكيف يمنحها الإسلام حق البيعة مع ما فيها من مسؤولية وامانة، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٣).

وجاء في حديث عائشة ل: (أن رسول الله ﷺ بايع النساء يوم الفتح، وكان يبايعهن بالكلام، أي دون مصافحة)(١٢٤) .

فهذه البيعة تقوم على أسس هي المقومات الكبرى للعقيدة والأخلاق الاجتماعية، وليس هذا فحسب، بل هي البيعة التي ميزت الدولة الإسلامية عن مجتمع الجاهلية، وقد كان الرسول ﷺ يبايع الرجال كما يبايع النساء لمبدأ المساواة والعدالة بينهما.

وأما حديث: (شاورهن وخالفوهن ...) هذا الحديث الدائر على ألسنة كثير من الناس لم أجد من رواه حديثاً عن رسول الله ﷺ بل انه لم يصح حتى أثراً منقولاً عن عمر أو

(١١٨) حاشية ابن عابدين، المعروفة برد المحتار على الدر المختار: محمد أمين عابدين (ت ١٢٥٢هـ)، دار الفكر، بيروت، ط:٢، ١٣٨٦هـ، ١٩٧٩م، ٢٣٩/٣.
(١١٩) الأم: محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط:٢، ١٣٩٣هـ، ٢١٥/٣.
(١٢٠) المغني: أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامه (ت ٦٢٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ط:١، ١٤٠٥هـ، ٣٠١/٤.
(١٢١) الأعراف: ١٨٩.
(١٢٢) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط: ٢٤، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ١٤١١/٨.
(١٢٣) الممتحنة: ١٢.
(١٢٤) أنظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات، ١٥٠/٦، رقم (٤٨٩١)، صحيح مسلم، كتاب الامارة، باب كيفية النساء، ١٤٨٩/٣، رقم (١٨٦٦).

غيره من الصحابة، فهو كما ذكر المحققون كلام مختلف لم يثبت كونه حديثاً ولا أثراً عن أحد الصحابة أو التابعين(١٢٥).

وإنما الذي صح عن رسول الله ﷺ نقيض ذلك وهو أنه ﷺ كما كان يبايع الرجال والنساء لمبدأ المساواة والعدالة بينهما، كان يشاورهم نساءً ورجالاً.

وأصدق دليل على ذلك ما حدث في صلح الحديبية عندما شاور الرسول ﷺ أم سلمة في أمر الناس لما لم يبادروا بالنحر والحلق حين أمرهم وأخذ برأيها وكان لرأيها الصائب أثره البليغ على الأمة.

فقد روى البخاري أنه ﷺ دخل يوم الحديبية على أم سلمة ليشكوا إليها أمر الصحابة بنحر هداياهم وحلق رؤوسهم فلم يفعلوا، فقالت: (يا رسول الله أتحب ذلك؟ أخرج إليهم ولا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج رسول اله ﷺ وفعل ما أشارت به أم سلمة)(١٢٦).

ففي هذا الحديث أنه ج أخذ برأي أم سلمة رضي الله عنها وكان في رأيها الخير، وإن لم يكن امتناع الصحابة من الحلق والنحر إلا انتظاراً لما يفعله ج فلما أخبرها أشارت عليه أن يبدأ هو بنفسه فيحلق وينحر، فسارعوا رضي الله عنهم إلى الاقتداء به ج وقد أوضح الحسن البصري ما يؤخذ من هذه الواقعة من شرعية استشارة النساء: (إن كان رسول الله ج لفي غنى عن مشورة أم سلمة، ولكنه أحب ان يقتدي الناس في ذلك، وأن لا يشعر الرجل بأي معرة في مشاورة النساء).

وقال ابن حجر : (فيه فضل المشورة، وجواز مشاورة المرأة الفاضلة)(١٢٧).

وفيه كذلك فضل أم سلمة ووفور عقلها حتى قال إمام الحرمين: (لا نعلم إمرأة أشارت برأي فأصابت إلا أم سلمة)(١٢٨).

فالإسلام صحح كل المفاهيم الخاطئة عن المرأة، ووضع ميزان الحق لكرامتها، وأكد على استشارتها والاستماع لنصائحها والعمل برأيها إن وافق الصواب، مصدقاً لقوله

(١٢٥) انظر: المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة، ص٢٤٨.
(١٢٦) انظر: صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، ٩٧٤/٢، ٩٧٨، رقم (٢٥٨١)، مسند أحمد، ٣٢٨/٤، ٣٣٠، رقم (١٨٩٤٨)، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في صلح العدو، ٨٥/٣، ٨٦، رقم (٢٧٦٥)، سنن البيهقي الكبرى، كتاب الجزية، باب المهادنة ٢٢١/٩، رقم (١٨٥٨٧).
(١٢٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) تحقيق: عبدالعزيز بن باز، طبعة دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٣٧٩هـ، ٣٤٧/٥.
(١٢٨) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠)، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م، ٥٤/٨.

تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[١٢٩] وقوله ج أيضاً في حديث تميم الداري (الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[١٣٠].

ولقد أثبتت المرأة أنها أهل لذلك "وافرة الذكاء، راجحة العقل" حين ردت على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ لما نهى عن كثرة الصداق.

فقد روى الحافظ أبو يعلى بسنده إلى مسروق قال: (ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله ﷺ ثم قال: أيها الناس ما أكثركم في صداق النساء، وقد كان رسول اله ﷺ وأصحابه والصداقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك، ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوهم إليها، فلأ عرفن ما زاد رجل في صداق امرأة على أربعمائة درهم، قال: ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم؟ قال: نعم، فقالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن؟ قال: وأي ذلك؟ فقالت: أما سمعت الله يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ فقال: اللهم غفراً كل الناس أفقه من عمر، ثم رجع فركب المنبر فقال: أيها الناس إن كنت نهيتكم ان تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما احب)[١٣١].

ومن يتلو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بتدبر وتمعن لابد أن يصل إلى حقيقة واحدة، هي أن الإسلام كرم المرأة وصان لها حقوقها وبوأها المكانة التي حرمتها إياها الجاهليات السابقة.

المطلب الخامس
المرأة شيطان

١٨- حديث:(النساء حبائل الشيطان).

(الشباب شعبة من الجنون والنساء حبالة الشيطان).

هذا الحديث رواه أبو نعيم عن ابن مسعود، والديلمي عن عبدالله بن عامر وعقبة بن عامر في حديث طويل، واليتمي في ترغيبه عن زيد بن خالد الجهني مرفوعاً، ولا ينافيه ما جاء عن سفيان الثوري من قوله: "يا معشر

(١٢٩) الشورى: ٣٨.
(١٣٠) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ج الدين النصيحة ٢٠/١.
(١٣١) تفسير ابن كثير، ٤٦٨/١، وقال: اسناده جيد قوي، وفي رواية أخرى: "امرأة خاصمت عمر فخصمته".

الشباب عليكم بقيام الليل، فإنما الخير في الشباب لكونه محلاً للقوة والنشاط"[١٣٢].

إن المرأة إنسان كرمه الله سبحانه وتعالى في أصل خلقه مثلها مثل الرجل، يقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[١٣٣].

وأكد الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك في الحديث: (إنما النساء شقائق الرجال)[١٣٤]، قال الخطابي رحمه الله: وقوله: "شقائق الرجال" أي نظائرهم وأمثالهم في الخلق والطباع، فكأنهن شققن من الرجال"[١٣٥].

فقد سما القرآن بالمرأة حتى جعلها بعضاً من الرجل، فكلاهما يكمل الآخر، ولا تستقيم أمر الدنيا إلا بهذه الطبيعة المزدوجة، وهذا التداخل الوثيق [١٣٦].

وليست المرأة بحال من الأحوال شيطاناً، لأن الشيطان خلق من نار، في حين خلق الإنسان من طين يقول تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾[١٣٧].

وتحول الإنسان أياً كان ذكراً أو أنثى إلى شيطان أو وصفنا له بالشيطان إنما هو تعبير عن انحطاطه وتخليه عن إنسانيته وركوبه المعصية، ولا يقتصر الأمر على المرأة في هذا الوصف إن جاز، بل الرجل يشاركها أيضاً متى عصى الله وأمعن في الطغيان.

جاء في اللسان: "الشيطان معرف، وكل عات متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان" قال جرير:

أَيّامَا يَدْعُونَنِي الشَّيْطَانُ من غَزَل وَهُنَّ يهوينني إذا كُنْتُ شيطاناً

وتشيطن الرجل وشيطن إذا صار كالشيطان وفعل فعله [١٣٨].

(١٣٢) كشف الخفاء ومزيل الألباس، ٤/٢، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، ص ١٣٩.
(١٣٣) النساء: ١.
(١٣٤) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب الرجل يجد البلة في منامه، ٦١/١، رقم (٢٣٦)، مسند أحمد، ٢٥٦/٦، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، رقم (٢٣٥).
(١٣٥) معالم السنن للخطابي، ٦٨/١.
(١٣٦) أنظر: المرأة وحقوقها في الإسلام: محمد الصادق عفيفي، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت، ص ١٣٣.
(١٣٧) الأعراف: ١١.
(١٣٨) لسان العرب، ٢٣٨/١٣.

وفي القرآن الكريم جاء قوله تعالى: ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾(١٣٩).

وعن مالك بن دينار قال: "إن شيطان الإنس أشد عليَّ من شيطان الجن، لأني إذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني، وشيطان الإنسان يجيئني فيجرني إلى المعاصي عياناً"(١٤٠).

يقول يوسف القرضاوي: "فكان من فضل الإسلام أنه كرم المرأة وأكد إنسانيتها وأهليتها للتكليف والمسؤولية والجزء ودخول الجنة، واعتبرها انساناً كريماً له كل ما للرجل من حقوق إنسانية لأنهما فرعان من شجرة واحدة... فهما متساويان في أصل النشأة، متساويان في الخصائص الإنسانية العامة، متساويان في التكاليف والمسؤولية، متساويان في الجزاء والمصير"(١٤١).

ولذلك فإن كل ما جاء في الحديث باطل سنداً ومتناً ومعنى ومخالف للنصوص التي لا يقبلها العقل ولا الشرع وهذا من الأمور التي تدل على وضع ذلك الحديث.

المطلب السادس
المرأة جسد

١٩- حديث: (من سره أن يلقى الله عز وجل طاهراً مطهراً فليتزوج الحرائر).

هذا الحديث من حديث أنس وعلي وابن عباس، ولا يصح، في الأول كثير بن سليم وعنه سلام ابن سوار منكر الحديث، وفي الثاني عمرو بن جميع وجويبر، وفي الثالث نهشل ومحمد ابن معاوية (تعقب) بأن حديث أنس أخرجه ابن ماجه (١٤٢).

٢٠- حديث: (الحرائر صلاح البيت، والإماء هلاك البيت).

قال في المختصر: "في سنده متروك ومجهول"(١٤٣).

٢١- حديث: (النظر إلى المرأة الحسناء والخضرة يزيدان في البصر).

(١٣٩) الأنعام: ١١٣.
(١٤٠) تفسر الكشاف للزمخشري، ٥٦/٢.
(١٤١) مركز المرأة في الحياة الإسلامية: د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبه، القاهرة، ط:١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، ص ٩.
(١٤٢) تنزيه الشريعة المرفوعة، ٢٠٧/٢، وأنظر: اللآئى المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ١٦٤/٢، الموضوعات (لإبن الجوزي)، ٢٦١/٢-٢٦٢.
(١٤٣) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ص١٣١، وأنظر: أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، ص ١٠٧.

هذا الحديث موضوع، في سنده إبراهيم بن حبيب بن سلام المكي وهو من الضعفاء، وقال في الميزان: "خبر باطل"(١٤٤).

جملة أحاديث هذا المطلب تنادي بوضعها وكذبها وزيفها، وهي مؤذنة بوقاحة منتحليها ومروجيها، وما أقل حياء واضعيها وسخافة عقولهم، كما أنها تعكس تصوراً ساذجاً واختزالياً لكيان المرأة في بعدها الجسدي المادي وهي ظاهرة الوضع من خلال ما تعرضه من أفكار، لا يصح ولا يعقل أن تَرِدَ على لسان النبي ع ولا أن تشغل باله الشريف، فَيُحَدِّثُ بها صحابته وأمته من بعده، وإنما هي نزوات وأباطيل ذوي النفوس الضعيفة.

إذ كيف يجوز تعليق لقاء الله راضياً بزواج الحرائر، فالله تبارك وتعالى اشترط رضاه عن عباده بطاعته، ورتب على معصيته غضبه، وليس يعقل أن يكون هذا الحديث صحيحاً لمخالفته أصلاً شرعياً لا خلاف فيه.

ولا يخفى أن الحرة لا تفضل الأمة إلا بالتقوى، ولا مزية لها عليها إذا كانتا معاً مؤمنتين، فكيف إذا كانت الأمة مسلمة، والحرة مشركة، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ﴾(١٤٥).

أما كون النظر في وجه المرأة الحسناء والخضرة يزيدان في البصر ويقويانه، فإن رائحة الوضع تفوح منه لمصادمته الأدب العام الذي دعا إليه الإسلام من غض البصر إلا عن المحارم، ولما فيه من التشجيع على المعاصي وإرتكاب المحرمات، لما للنظر من آفات يجر إليها، أقربها الوقوع في الزنا الذي نهى الباري سبحانه عنه في قوله: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ﴾(١٤٦)، ومتى كان النظر إلى المحرم يزيد في البصر، والله تعالى يقول: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾(١٤٧)، قال الزمخشري: "والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل"(١٤٨).

(١٤٤) أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، ص٢٦٣، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ص ١٣٣-١٣٤.
(١٤٥) البقرة: ٢٢١.
(١٤٦) الإسراء: ٣٢.
(١٤٧) النور: ٣٠.
(١٤٨) تفسر الكشاف للزمخشري، ٢٢٣/٣.

المطلب السابع
المرأة عورة

٢٢- حديث: (للمرأة ستران، القبر والزوج، قال: وأيهما أفضل؟ قال: القبر).

هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمتهم به خالد، وهو خالد بن يزيد بن أبي أسد القرشي، قال ابن عدي: أحاديثه كلها لا يتابع عليها لا متناً ولا إسناداً [١٤٩].

٢٣- حديث: (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تكشف شعرها ولا شيئاً من صدرها عند يهودية ولا نصرانية ولا مجوسية، فمن فعلت ذلك فلا أمانة لها).

هذا الحديث في الغريب من حديث عائشة، وقال: باطل وفي سنده متروكون [١٥٠].

من عادات الجاهلية التي لا تزال سائدة في أوساط المسلمين النظر إلى المرأة على أنها ستر ينبغي أن يخبأ، وأن اتصالها المعلن بالرجل يزري بقيمته، كما يعتقد أن لا يدع أحداً خارج منزله يأخذ علماً عن إسم زوجته، وكذلك الأب والأخ.

وإذا حدث أن عرف أحدهم بأن اسمها قد تسرب إلى بعض الآذان شعر بالعار؛ فالمرأة عورة واسمها يظل عورة ينبغي ستره ولا نفهم كيف جاز عند المسلمين هذا الفهم؟ وكيف نظروا إليها على أنها عورة؟

والمتأمل في القرآن وحديثه عن المرأة في مختلف العصور وفي حياة سيدنا محمد ع، لا يشعر بهذا الستار الحديدي الذي وضعه الناس بين الرجل والمرأة، حيث لم تكن المرأة مسجونة، ولا معزولة كما حدث في عصور تخلف المسلمين [١٥١].

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج مع نسائه ويجمعه بهن طريق واحد، ففي صحيح البخاري: (أنه ع كان يسير ليلاً مع زوجته صفية، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا الرسول صلى الله عليه وسلم أسرعاً، فناداهما قائلاً: (على رسلكما، فإنها صفية بنت حيي، فقالا: سبحان الله يا رسول الله... قال: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً، أو قال: شيئاً)[١٥٢].

كما كانت المرأة تشهد الجمعة والجماعة مع الرسول صلى الله عليه وسلم وكان يحثهن على أن يتخذن الصفوف الأخيرة خلف صفوف الرجال، وكان الجميع يدخلون من

(١٤٩) الموضوعات (لابن الجوزي)، ٢٧٦/٢، وأنظر: تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، ص ١٣٤.
(١٥٠) تنزيه الشريعة المرفوعة، ٢١٥/٢.
(١٥١) أنظر: ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده: د. يوسف القرضاوي، طبعة بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٤٠٨.
(١٥٢) أنظر: صحيح البخاري، كتاب الاعتكاف، باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد، ٣٤٦/١، رقم (٢٠٣٨)، سنن أبي داود، كتاب الآدب، باب في حسن الظن، ٢٩٨/٤- ٢٩٩، رقم (٤٩٩٤).

باب واحد، فقال ع: (لو جعلتم هذا الباب للنساء)، فخصصوه لهن، ولا يزال يُعرف باسم باب النساء إلى اليوم[١٥٣].

وأيضاً كان النساء يحضرن صلاة العيدين، روى مسلم عن أم عطية [١٥٤]، قالت: (أمرنا- تعني النبي ع- أن نخرج في العيدين، العواتق [١٥٥]، وذوات الخُدُور [١٥٦]، وأمر الحيض أن يعتزلن مصلى المسلمين)[١٥٧].

ففي هذا الحديث إباحة خروج النساء إلى صلاة العيدين واشتراكهن مع الرجال في الصلاة ليشهدن الخير ودعوة المسلمين ويرجون بركة ذلك اليوم [١٥٨]، لما لذلك من تأثير على نفسية المرأة وإحساسها بأنها عنصر من هذا المجتمع، ولكي لا تحس بالعزلة عن المجتمع، ويدب التصور الخاطئ إلى ضميرها فتتصور أن أحكام الشرع أكثرها للرجال، فهم وحدهم أهل العبادة والجماعة، والمرأة عليها إدارة البيت وحسب، والغرض من هذا الحضور هو الاستفادة من حضور الجماعة والخير، لذلك أمر النبي ع بإحضار الحيض مع اعتزالهم المصلى، لعدم جواز الصلاة منهن.

وتجاوز نشاط المرأة في عصر الرسالة حضور دُور العبادة والعلم إلى المشاركة في المجهود الحربي في خدمة الجيش والمجاهدين بما يقدرن عليه، ويُحسن قيامهن به، من تمريض وإسعاف ورعاية جرحى، زيادة على خدمات الطهي والسقي ونحو ذلك [١٥٩].

يقول أنس بن مالك: "لما كان يوم أُحد رأيت عائشة وأم سليم، وإنهما لمشمرتان، أرى خدم سوقهما- يقصد الخلخال- ينقلان القرب على متونهما- يعني ظهورهما- ثم تفرغانه في أفاه القوم، وترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم"[١٦٠].

(١٥٣) أنظر: ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص ٤٠٨.

(١٥٤) أم عطية: هي أم عطية الأنصارية، نسيبة بنت الحارث، معروفة باسمها وكنيتها، لها عدة أحاديث، غزت مع النبي ع سبع غزوات، كانت تخلفهم في رحالهم، أنظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ط: ١، ٧٤١/١٢، الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط: ١، ٤٧٦/٤.

(١٥٥) العواتق: جمع عاتق، وهي الأنثى التي قاربت البلوغ، أنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري أبن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد ومحمود محمد الطناجي، دار إحياء الكتب العربية، ١٧٨/٣- ١٧٩.

(١٥٦) الخدور: جمع خدر: وهو ستر يجعل في ناحية البيت للبكر تستر به، أنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١٣/٢.

(١٥٧) أنظر: صحيح مسلم، كتاب الصلاة، رقم (٢٠٥٤)، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب خروج النساء في العيد، ٢٩٦/١، رقم (١١٣٦).

(١٥٨) أنظر: نيل الأوطار، ٣٥١/٣.

(١٥٩) أنظر: ملامح المجتمع المسلم، ص ٤٠٨، ٤١١.

(١٦٠) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:٤، ١٤٠٥هـ، ٦٠/٢، وأنظر: فتح الباري، ٧٨/٦، شرح صحيح مسلم للنووي، ١٨٩/١٢.

وقد جمع عبدالحليم أبو شقة في كتابه: (تحرير المرأة) صوراً متعددة عن مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية ولقائها الرجال انطلاقاً من القرآن الكريم في أزمنة نبويه مختلفة.

زمن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾(١٦١).

- وزمن موسى عليه السلام: ﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾(١٦٢).

وقوله تعالى أيضاً: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾(١٦٣).

- وأيضاً في زمن سيدنا سليمان: ﴿ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(١٦٤).

- وكذا زمن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾(١٦٥).

وهي اكثر من أن تحصى وكلها ترد على الأباطيل التي تعتبر المرأة عورة وأن سترتها هي إقبارها في البيت في انتظار قبرها الأخير.

وقد سطر أبو شقة جملة آداب للقاء المرأة بالرجال منها:

أولاً: الغض من البصر، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ﴾(١٦٦).

(١٦١) إبراهيم: ٣٧.
(١٦٢) القصص: ٢٣.
(١٦٣) القصص: ٢٥.
(١٦٤) النمل: ٤٦.
(١٦٥) المجادلة: ١
(١٦٦) النور: ٣٠، ٣١.

ثانياً: ستر جميع البدن عدا الوجه والكفين(١٦٧)، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ﴾(١٦٨).

ثالثا: الوقار في الحركة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ﴾(١٦٩).

رابعاً: الجدية في التخاطب لقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾(١٧٠).

وخلاصة القول: ان اللقاء بين الرجال والنساء ليس محرماً في ذاته، بل هو جائز أو مندوب إذا كان القصد منه المشاركة في هدف نبيل: من علم نافع، أو عمل صالح، أو جهاد لازم، أو غير ذلك مما يتطلب جهوداً متظافرة من الجنسين وتعاوناً مشتركاً بينهما، سواء في التخطيط أم في التوجيه أم في التنفيذ (١٧١).

المطلب الثامن
المرأة فتنة، وغواية، وشهوانية

٢٤- حديث: (لولا النساء لعبد الله حقاً).

هذا حديث لا أصل له، وفيه عبدالرحيم بن زيد العمي، قال يحيى: "ليس بشيء هو وأبوه، وقال مرة: عبدالرحيم كذاب خبيث، وقال النسائي: متروك الحديث، وقال ابن عدي: هذا الحديث منكر لا أعرفه إلا من هذا الطريق، قال البخاري: ومحمد بن عمران منكر الحديث يتكلمون فيه، قال أبن حنبل: لا يجوز الاحتجاج بزيد"(١٧٢).

٢٥- حديث: (لا تعلموا نساءكم الكتابة، ولا تسكنوهن الغرف العلالي).

(١٦٧) على خلاف في ذلك بين العلماء.
(١٦٨) النور: ٣١.
(١٦٩) النور: ٣١.
(١٧٠) الأحزاب: ٣٢.
أنظر: تحرير المرأة في عصر الرسالة، ٩٧/٢، ١٠١.
(١٧١) أنظر: ملامح المجتمع المسلم، ص ٣٦١.
(١٧٢) الموضوعات (لابن الجوزي)، ٢٥٥/٢، تنزيه الشريعة المرفوعة، ٢٠٤/٢، كشف الخفاء ومزيل الالباس، ١٦٥/٢، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ص ١١٩.

هذا الحديث لا يصح، قال ابن حبان: "جعفر بن حفص كان يحدث عن الثقاة بما لم يحدثوا به، وقال ابن عدي: يحدث عن الثقاة بالبواطيل، وله أحاديث موضوعات عليهم"(١٧٣).

٢٦- حديث: (ضاع العلم بين أفخاذ النساء).

هذا ليس بحديث بل روى بمعناه عن بشر الحافي فقال: "لا يفلح من أَلِف أفخاذ النساء لا يفلح"، وقال ابن فرس وفي معناه قال بعضهم:

اعْطِ النّسِاَء فَتِلْكَ السُّنّةَّ الَحَسنَة فليس يُفْلحُ مَنْ أعْطى النّسَاء رَسنه
يُبْعِدْنَهُ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ فَضَائِلِه
ولَوْغَدَا طَالِباَ لِلْعِلْمِ أَلْفَ سَنه(١٧٤)

٢٧- حديث: (أن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم **فجلست إليه تكلمه في حاجتها، وقامت فأراد رجل أن يقعد مكانها فنهاه النبي ع أن يقعد حتى يبرد مكانها).**

هذا الحديث تفرد به شعيب بن بشر، قال ابن حبان: يتفرد عن الثقاة بما ليس من حديث الأثبات لا يجوز الاحتجاج به (١٧٥).

٢٨- حديث: (أتى رجل النبي ع فقال: إن امرأتي لا تدفع يد لامس، قال: طلقها، قال: إني أحبها، قال: استمتع بها).

هذا الحديث رواه عبيد بن عمير، وحسان بن عطية كلاهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرسلاً، وقد حمله أبو بكر الخلال على الفجور ولا يجوز هذان وإنما حمل على تفريطها في المال، لو صح هذا الحديث، قال أحمد بن حنبل: "هذا حديث يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس له أصل"(١٧٦).

٢٩- حديث: (شهوة النساء تضاعف على شهوة الرجال).

قال النجم: "لا يعرف بهذا اللفظ، لكن رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ: "فضلت المرأة على الرجل بتسعة وتسعين من اللذة، ولكن الله ألقى

(١٧٣) الموضوعات (لابن الجوزي)، ٢٦٨/٢.
(١٧٤) كشف الخفاء ومزيل الالباس، ٣٤/٢، تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، ص ١٦٣، اسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، ص ١٤٥.
(١٧٥) الموضوعات (لابن الجوزي)، ٢٥٥/٢، تنزيه الشريعة المرفوعة، ٢٠٠/٢، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ١٥٩/٢.
(١٧٦)الموضوعات (لابن الجوزي)، ٢٧٢/٢، تنزيه الشريعة المرفوعة، ٢١٠/٢، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ١٧١/٢، ١٧٣.

عليهن الحياء" وفيه داود مولى أبى مكمل، قال البخاري: "منكر الحديث، وفيه ضعيف آخر"[١٧٧].

٣٠- حديث: (أن أعرابياً جاء إلى النبي ع فقال: أهلكني الشبق والجوع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم**: يا أعرابي الشبق والجوع، قال: هو ذاك، قال: اذهب فأول امرأة تلقاها ليس لها زوج، فهي امرأتك... الخ).**

هذا الحديث لا يصح، آفته عبدالرحيم الواسطي، روى له الترمذي والله أعلم [١٧٨].

٣١- حديث: (أعروا النساء يلزمن الحجال).

٣٢- حديث: (أجيعوا النساء جوعاً غير مضر، وأعروهن عرياً غير مبرح، لأنهن إذا سمن واكتسين فليس شيء أحب اليهن من الخروج، وليس شيء شر لهن من الخروج، وأنهن إذا أصابهن طرف من العري والجوع فليس شيء أحب إليهن من البيوت، وليس شيء خير لهن من البيوت).

ليس في هذه الأحاديث ما يصح.

- أما حديث أعروا النساء... حديث مسلمة، فقال أبو حاتم الرازي: "شعيب بن يحيى ليس بمعروف"، وقال ابراهيم الحربي: "ليس لهذا الحديث أصل".
- وأما حديث أجيعوا النساء...حديث أنس، ففي الطريق الأول إسماعيل بن عباد، قال الدار قطني: "متروك ليس بشيء"، وفي الطريق الثاني عبيد الله العتيكي، قال البخاري: "عنده مناكير"، وقال ابن حبان: "يتفرد عن الثقاة بالمقلوبات"، وقال ابن عدي: "سعدان مجهول، وشيخنا محمد بن داود يكذب"[١٧٩].

من المعلوم أن المرأة عانت من ويلات الجاهلية الأولى وها هي الآن تعاني منها للمرة الثانية بعد وفاته ع، بعد ان ذاقت حلاوة الإيمان، ونَعِمت في ظلال الشريعة الإسلامية بكل مظاهر الحب والتكريم والإنصاف، ورفعت عنها جميع أنواع الظلم والتعسف والقهر لتنال حقوقها.

لكن للأسف ظل البعض يعتبرها أداة للشهوة، ومصدراً للفتنة، لما تقوم به من فتنة الرجال وصرفهم عن مهمات الأمور إلى سفاسفها وصغائرها من حيث الأهمية، وكبائرها من حيث المعصية، يقول عبدالحليم أبو شقة: "إن فتنة المرأة إحدى فتن الحياة الدنيا التي أبتلى الله بها العباد، فَلِمَاذَا تركزت جهود المغالين في سد الذريعة على فتنة

(١٧٧) كشف الخفاء ومزيل الالباس، ١٥/٢، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، ص ١٣٨، تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، ص ١٥٦.
(١٧٨) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ١٦٠/٢.
(١٧٩) الموضوعات (لابن الجوزي)، ٢٨٢/٢، ٢٨٣، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الموضوعة، ٢١٢/٢، ٢١٣، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ١٨١/٢، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، ص ٤٥، ٥١.

المرأة وحدها، وحرجوا على المرأة كل التحريج للأمن من فتنتها؟...لماذا يا ترى وقع الإسراف العام في سد ذريعة فتنة المرأة دون غيرها من فتن الحياة الدنيا رغم قولهم بفساد الزمان، والفساد دائماً يثمر ضعفاً عن مقاومة جميع الفتن لا فتنة المرأة فحسب؟"[١٨٠]، قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾[١٨١].

أما قولهم: "شهوة النساء تضاعف على شهوة الرجال"، وأن صبرها على ترك الجماع أضعف من صبر الرجل، فهذا غير صحيح لأن العادة- الفطرة- التي خلق الله عليها المرأة والرجل، تجعل الرجل هو الطالب والمرأة هي المطلوبة، وهذا ما جاء في قوله ع: (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح)[١٨٢]، وقوله ع أيضاً: (لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه)[١٨٣]؛ فهذان الحديثان ينهيان المرأة عن الامتناع عن دعوة زوجها للفراش، يقول الإمام ابن حجر: "إن صبر الرجل على ترك الجماع أضعف من صبر المرأة، وإن أقوى التشويشات على الرجل داعية النكاح، ولذلك حض الشارع النساء على مساعدة الرجال في ذلك"[١٨٤].

ويؤيد هذا أيضاً ما جاء عن عبدالله بن مسعود ط قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الشباب من أستطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)[١٨٥].

فالخطاب وقع من الرسول صلى الله عليه وسلم للشباب لأنهم مظنة الشهوة للنساء، واختلف العلماء في المراد: بالباءة (والأصح أن المراد بها: الجماع، فتقديره: من أستطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنة النكاح فليتزوج، ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنته فعليه بالصوم ليدفع شهوته ويقطع شر مائة كما يقطع الوجاء)[١٨٦].

أما أحاديث: "تجويع النساء وعدم كسوتهن وإسكانهن الغرف العلالي"؛ فهي ظاهرة الوضع، والمسلم الفطن يعلم أن للمرأة الحق في السكن الذي يليق لمثلها، يقول تعالى: ﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ﴾[١٨٧]؛ "فالمأمور به في هذه الآية هو أن يسكنوهن مما يجدون من

(١٨٠) تحرير المرأة في عصر الرسالة، ٢٠٠/٣.
(١٨١) الأنفال: ٢٨.
(١٨٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها، ٢٦٠/٣..
(١٨٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب أن تصوم المرأة وبعلها شاهد، ٢٦٠/٣.
(١٨٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٢٩٥/٩.
(١٨٥) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب قول النبي ع من أستطاع منكم الباءة فليتزوج، ٢٣٧/٣، رقم (٥٠٦٥).
(١٨٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١١٠/٩.
(١٨٧) الطلاق: ٦.

سكنى لا أقل مما هم عليه في سكناهم، وما يستطيعون حسب مقدرتهم وغناهم، غير عامدين إلى مضارتهم سواء بالتضييق عليهن في فسحة السكن، أو مستواه، أو في المعاملة فيه"[١٨٨].

أما النفقة فهي واجبة عليه بقدر ما يطيقه، وعلى قدر الكفاية، فالإسلام دين يسر لا دين عسر، يقول تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾[١٨٩]؛ فالشرع لم يحدد قدراً معيناً للنفقة، فهي بحسب الاستطاعة، وقد اختلف العلماء في معنى قوله تعالى: ﴿لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾، قال البيضاوي: "لا تضاروهن في السكنى فلتجئوهن إلى الخروج"[١٩٠]، وقال مجاهد: "في السكن وقال مقاتل: في النفقة"[١٩١]، وبذلك يكون حق الزوجة في النفقة والسكن حق أصيل من حقوقها الواجبة على الزوج في الإسلام وهذا مما يدل على أن أحاديث تجويع النساء موضوعة وباطلة.

المطلب التاسع
المرأة عار

٣٣- حديث: (دفن البنات من المكرمات).

هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيه حميد بن حماد يحدث عن الثقات بالمناكير، وحكم ابن الجوزي بوضعه [١٩٢].

٣٤- حديث: (من كانت عنده ابنة فقد فُدح بها، ومن كان عنده ابنتان، فلاحج عليه، ومن كان عنده ثلاث فلا صدقة عليه ولا قِرَى ضيف، ومن كُنَّ عنده أربع بنات فيا عباد الله أعينوه أقرضوه).

هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال البخاري: محمد بن كثير منكر الحديث، وقال ابن المديني: "ذاهب الحديث"، وقال ابن حبان: يتفرد بالمناكير عن المشاهير حتى خرج عن حد الاحتجاج بما انفرد"[١٩٣].

---

(١٨٨) في ظلال القرآن، ٣٦٠٣/٦.
(١٨٩)الطلاق: ٧.
(١٩٠) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (المعروف بتفسير البيضاوي): ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي، مطبعة مصطفى محمد، ٢٠٧/٣.
(١٩١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٦٨/١٨.
(١٩٢) الموضوعات (لابن الجوزي)، ٢٣٥/٣، ٢٣٦، وأنظر: كشف الخفاء ومزيل الالباس،٤٠٧/١، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، ص ١١٨.
(١٩٣) الموضوعات (لابن الجوزي)، ٢٧٥/٢، تنزيه الشريعة المرفوعة، ٢٠١/٢، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ١٧٦/٢.

يدخل هذا الحديثان في دائرة ما روى عنه ع كذباً وزوراً، إذ لا يعقل أن يتفوه الرسول الكريم بمثل هذا الأباطيل، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، وكيف يصدق عليه هذا عليه السلام وهو الذي يقول: (أتقو الله في النساء)[١٩٤].

وهو الذي كان دائم الوصية بالنساء، فكان يقول لأصحابه: (استوصوا بالنساء خيراً)[١٩٥]، وكان أغضب ما يكون إذا سمع بامرأة يضربها زوجها، فما بالك بمن يقتلها وهي حية.

فقد جاء في حديث عبدالله بن زمعة ط أن النبي ع قال: (لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم)[١٩٦].

فهذا الحديث من أبلغ ما يمكن أن يقال في تشنيع ضرب النساء، إذ كيف يليق بالإنسان أن يجعل امرأته وهي كنفسه مهينة كمهانة عبده، بحيث يضربها بسوطه مع أنه يعلم أنه لا يد له من الاجتماع والاتصال الخاص بها.

فقولهم: "دفن البنات من المكرمات، وأن من كانت عنده ابنة فقد فدحَ بها"، فهذا كلام رَدٌّ على صاحبه مناقض لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد نهى الله تعالى في كتابه العزيز في غير ما آية عن قتل النفس أنثى أم ذكر بدون وجه حق، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[١٩٧]، ويقول تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[١٩٨]، وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾[١٩٩].

وفي حديث معقل بن يسار، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله كره لكم ثلاثاً: عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات)[٢٠٠].

(١٩٤) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ع، ٣٩١٤، رقم (٢٩٤١)، السنن الكبرى للبيهقي، ٨/٥، الجامع لأحكام القرآن، ١٧٢/٥.

(١٩٥) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، ٢٥٧/٣، رقم (٣٣٣١)، صحيح مسلم كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، ١٠٩١/٢، رقم (١٤٦٨).

(١٩٦) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ما يكره من ضرب النساء، رقم (٥٢٠٤)، صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم (٢٨٥٥).

(١٩٧) الإسراء: ٣٣.

(١٩٨) الأنعام: ٤١.

(١٩٩) الإسراء: ٣١.

(٢٠٠) قال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح عن معقل بن يسار، أنظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٧٠٨هـ)، دار الريان للتراث، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، ط:١، ١٤٧/٨.

وفي حديث عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تكرهوا البنات، فإنهن المؤنسات الغاليات)[٢٠١].

فقتل البنات عادة من عادات الجاهلية التي كانت سائدة عند العرب، وهي من التقاليد المتوارثة عندهم أباً عن جد، فهي عار ينبغي ستره بدفنه، متناسين سنة الله في الكون أنه خلق من كل شيء زوجين كي تستمر الحياة وتستقيم بهما معاً، فلا معنى لوجود أحدهما دون الأخر، ولفظاعة هذا الجرم وشدة هوله فقد قرنه الله بحوادث انحدار الكون، يقول تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩﴾[٢٠٢].

قوله تعالى: (سُئِلَتۡ) سؤال الموءودة، سؤال توبيخ لقاتلها، كما يقال للطفل إذ ضُرب: لم ضُربت؟ وما ذنبك؟[٢٠٣].

ويقول تعالى في سورة النحل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٥٩﴾[٢٠٤]، أي ساء صنيعهم وساء حكمهم، فالله تعالى يهب لمن يشاء الإناث، ويهب لمن يشاء الذكور، فالأنثى مخلوقة خلقها الله تعالى مكملة للرجل في حياته، فلها حق الحياة، لأنها نفس معصومة كالرجل، ولهذا حرم الإسلام وأد البنت، وأوجب القصاص في قتلها عمداً كما هو الحكم بالنسبة للرجل [٢٠٥].

(٢٠١) قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني عن عقبة بن عامر، وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات، أنظر: مجمع الزواد ومنبع الفوائد، ١٥٦/٨.
(٢٠٢) التكوير: ١-٩.
(٢٠٣) أنظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٢٣٣/١٩، ٢٣٤.
(٢٠٤) النحل: ٥٨-٥٩.
(٢٠٥) أنظر: أصول الدعوة: د. عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط:٩، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ص ١٢٥.

المبحث الثالث
جناية الأحاديث الموضوعة على المرأة

للأسف إن مثل هذه الأحاديث غير الصحيحة لا تزال تتأملها الألسنة، وموجودة في العديد من الكتب، ككتب الأدب والفقه والتفسير، والكتيبات الصغيرة التي تباع على قارعة الطريق، مما يجعل دائرة الانتشار أوسع، وصَعْبَ على الناس تمييز بعضها من بعض، خاصة إذا كان الحديث وارد في كتاب تمييز بعضها من بعض، خاصة إذا كان الحديث وارد في كتاب من الكتب المشهورة، ولهذا الغرض خصصت المبحث الثالث أتحدث فيه عن الآثار التي تركتها هذه الأحاديث الموضوعة في شخص المرأة.

قبل بداية الحديث عن الأثار التي تركتها الأحاديث الموضوعة في شخص المرأة، ينبغي أن نقيم تفرقة ضرورية بين الإسلام بما هو شريعة الكمال، وبين ممارسات المسلمين التي قد يصادم شطر كبير منها ويتناقض مع معطيات الدين الإسلامي الحنيف وروحه السمحة، ومرجع ذلك إلى جهل المسلمين بمقاصد الإسلام وأحكامه، مما ينتج عنه هذا النزيف من الأخطاء خاصة فيما يعلق بموضوع المرأة مالها وما عليها، ولقد ساهمت الأحاديث الموضوعة التي سبقت الإشارة إليها في المباحث السابقة في تشويه صورة المرأة طوال عصور الانحطاط وحتى اليوم في جميع المجالات.

المطلب الأول
المجال الاجتماعي

في هذا المجال نجد النظرة الاجتماعية الدونية للمرأة المطلقة أو الأرملة، إذ ما يزال الكثيرين من الناس يعتقدون أن كل مطلقة مخطئة، على الرغم من أن الخطأ قد يكون وارداً من جهة الزوج، ومع أن الأرملة لا يد لها في وفاة زوجها نجدها تتحمل جريرة موته وتظل دائماً موضع ازدراء وانتقاص من قبل عدد كبير من الناس، ونتيجة لتلك النظرة تبقى المطلقة أو الأرملة في أغلب الأحوال بلا أزواج، لأن الرجال لا يرغبون بطبيعة الحال في التزوج بامرأة مطلقة وعقيم لا تنجب الأمر الذي يسبب لها التعاسة والشقاء طوال حياتها.

والواقع انك قد تجد من الأخلاق الرفيعة وحسن السلوك والأدب عند كثير من المطلقات والأرامل ما لا تجده عند غيرهن، فالأمر لا تعلق له بهذه السفاسف التي ينر من خلالها المجتمع إلى المرأة في وضعية خاصة.

وإذا شئت الوقوف أكثر على ظلم المجتمع الذكوري للمرأة فانظر إليه كيف يفرق في الفساد بين الرجل والمرأة، فالرجل لا أحد يسائله او يعاتبه حال خطئة، وأن كان ماضيه كله أخطاء، في حين تحاكم المرأة وتلام، بل وقد يصل الحد إلى قتلها في بعض الأوساط البدوية الجاهلة، إذا ما اشتبه في قيامها بعمل مناف للأخلاق، وخاصة إذا ثبت بالحجة والدليل.

هذا الكيل بمكيالين هو جزء صغير فقط من معضلة كبيرة تترجم تتسلط المجتمع الذكوري في تغلبه وقهره للمرأة زد على ذلك كله ما نجده من سوء تصرف الرجل واستبداده بالرأي في ولايته على المرأة عند تزويجها، وذلك بإكراهها على قبول زوج قد لا ترغب فيه أو تكرهه.

مع أن الإسلام أعطى للمرأة حق اختيار الزوج، فلا يملك الولي إجبارها على الزواج ممن لا ترضى به[٢٠٦].

فقد جاء في حديث أبي هريرة أن النبي ع قال: (لا تنكح الأيم حتى تُسْتَأْمَرُ[٢٠٧]، ولا البكر حتى تستأذن، قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: أن تسكت)[٢٠٨].

فالمرأة تظل قاصرة لا رأي لها ولا قدرة لها على إتخاذ القرار يقول يوسف القرضاوي: "هم يعتبرونها مخلوقاً ناقص الأهلية، وهي عند الرجل أمة، أو كالأمة، يتزوجها لمتعة إن شاء ويمتلك بضعها بما يدفع من مال، ويطلقها متى أراد دون أن تملك له دفعاً ولا تستحق عن ذلك متاعاً ولا تعويضاً، حتى عبر بعضهم بأنها كالنعل يلبسها متى أراد ويخلعها متى أراد"[٢٠٩].

للأسف إن تسلط المجتمع الذكوري وقهره للمرأة لا يقف هنا، بل هناك من المسلمين خاصة في الأرياف وبعض أنحاء المدن، وحتى في بعض البيوتات المشبعة بالتعاليم الدينية تعمد إلى حرمان بناتها من حقهن في الميراث، خاصة إذا كان الميراث أرضاً، فهي كما يقولون مكفية في بيت أبيها، وإن تزوجت فهي مسؤولة من زوجها فلا حاجة إلى توريثها.

في هذا الصدد يقول محمد رمضان البوطي: "لو كان الأمر كذلك لحجب الشارع حق الإرث عن كل وارث يتقلب في حياة النعيم، ويمتلك من الثروات ما لا تتعلق الحاجة حتى بمعشاره... إن الحكمة بكل بساطة أن لها حقاً في مال المورث كحق الرجل تماماً، وما كانت الأنوثة يوماً عائقاً عن بلوغها هذا الحق"[٢١٠].

والجدير بالذكر أن حرمان هؤلاء بناتهن من حقهن في الميراث يستند إلى العرف المبني على التعصب القبلي والتفكير الذكوري الأبوي لتجنب انتقال ممتلكات العائلة إلى

(٢٠٦) أنظر: ملامح المجتمع المسلم، ص ٣٦٨.
(٢٠٧)تُسْتَأْمَرُ: أي تشاور في تزويجها، لأن الاذن يعرف بالسكوت، والأمر لا يعلم إلا بالنطق، أنظر: النهاية في غريب الحديث، ٦٦/١.
(٢٠٨) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاهما٥/١٩٧٤، رقم (٥١٣٦)، صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب إستئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت، ٢٠٢/٩، رقم (١٤١٩).
(٢٠٩) تحرير المرأة في عصر الرسالة، مقدمة الكتاب، ص٩.
(٢١٠) المرأة بين طغيان النظام العربي ولطائف التشريع الرباني: د. محمد سعيد رمضان اليوطي، دار الفكر، دمشق، سوريا- ط: ١، ١٩٩٦م، ص ١٩٩،٢٠٠.

قبيلة أخرى، وهذا يخالف ما جاء في كتاب وسنة رسوله ع من ان للمرأة الحق في الميراث سواء كانت زوجة أم بنتاً أم أختاً أم أماً، فلها الميراث الذي شرعه الله في كتابه وعلى لسان رسولهع، قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧﴾(٢١١).

المطلب الثاني
المجال الثقافي

إن الإسلام لا يُحرم تعليم المرأة، بل يحض عليه ويجعله فرضاً عليها كما هو فرض على الرجل، وقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وبعض الاشارات في أقوال السلف على تعليم المرأة في الإسلام، واهتمام الإسلام بتعليم المرأة(٢١٢).

فلم تكن مجالس العلم وحلقات الدرس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم موقوفة على الرجال، بل كان للنساء حظ وافر منها، وقد جلست المرأة للتعلم والتعليم والارشاد والتحديث، وناضلت بشجاعة وقوة من أجل انتزاع حقها في ذلك.

روى البخاري من حديث أبي سعيد الخدري قال: (جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: ذهب الرجال بحدثيك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله فقال: اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا، فاجتمعن فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمهن مما علمه الله)(٢١٣).

وفي قصص أمهات المؤمنين من زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة النساء الأوائل في تاريخ الإسلام من زوجات الصحابة والتابعين أمثلة رائعة، ونماذج مشرفة لعلم المرأة المسلمة في خلقها وأدائها لوظيفتها الطبيعية التي خلقها الله من أجلها(٢١٤).

قال العلامة صديق حسن خان رحمه الله: "لا يخفى عليك أن النساء نصف هذه الأمة، بل أكثرها، وهن شقائق الرجال في جميع ما ورد من الشريعة الحقة، إلا أشياء خصهن الله تعالى ورسوله بها من دون الرجال، وقد تفضل عليهن كما تفضل عليهم بأنواع من الإفضال: فلهن ما لهم، وعليهن ما عليهم في جملة الشرائع والأحكام... وكم من تفسير للآيات البينات وروايات الأحاديث والدرايات جاءتنا من قبل نساء الأنصار والمهاجرات، حتى أن نصف هذا العلم نقل إلينا من عالمتهن عائشة الصديقة، وكانت

(٢١١) النساء:٧، وأنظر: ملامح المجتمع المسلم، ص ٤٠٨.
(٢١٢) أنظر في ذلك: ما سبق في المطلب الأول.
(٢١٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوم على حده في العلم، ٣٠/١.
(٢١٤) أنظر: الثقافة الإسلامية وتحدياتها المعاصرة: د. محمد عوض الهزايمه، عمان، الأردن، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ص ١٠٥.

أعلمهن بأيام الله وأشعار العرب وأسباب نزول الآي، وأرواهن لأحاديثه ع من أبواب كثيرة من الشرائع، وكان لها قوة الاجتهاد في علوم الملة الصادقة"(٢١٥).

إذا كان هذا حال المرأة في عصر النبوة، فالناظر اليوم إلى مجتمعات المسلمين يجد حالاً للمرأة لا يسر، فأكثر من ثلثي النساء يعانين من أمية مزمنة، والقلة القليلة من المتعلمات والمثقفات لا يفقهن حقوقهن كما ينبغي ومسألة التثقيف والتعليم في واقع الحال ينبغي أن تشمل كل المجتمع ذكوراً وإناثاً، ولابد لنا كي يلتزم المجتمع بخط الإسلام ويتحرك وفق نظرته من أن نثقفه ثقافة إسلامية واسعة تكون نظرة الاسلام الحقيقية للمرأة، لأن المشكلة التي قد نواجهها تتمثل بلا شك في أن كثيراً مما يحمله الناس من انطباعات وتصورات ونظرات تنطلق من ركام هائل من التخلف والجهل بحقيقة الدين كما تنطلق أيضاً من الثقافات المضادة للإسلام أو حتى من خلال طبيعة النوازع الذاتية المرضية التي يعيشها الناس في علاقتهم بأنفسهم(٢١٦).

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي: "إذا شاع في بعض العصور حبس المرأة عن العلم، وعزلها عن الحياة، وتركها في البيت كأنها قطعة من أثاثه لا يعلمها الزوج، ولا يتيح لها أن تتعلم... إذا شاعت هذه الصورة يوماً فمنشؤها الجهل والغلو والانحراف عن هدي الإسلام، وإتباع تقاليد مبالغة في التزمت لم يأذن بها الله، وليس مسؤولاً عن هذه التقاليد المبتدعة بالأمس، كما أنه ليس مسؤولاً عن تقاليد أخرى مسرفة ابتدعت اليوم، أن طبيعة الإسلام هي التوازن المقسط في كل ما يشرعه يدعو إليه من أحكام وآداب، فهو لا يعطي شيئاً ليحرم آخر، ولا يضخم ناحية على حساب أخرى، ولا يسرف في إعطاء الحقوق ولا في طلب الواجبات، ولهذا لم يكن من هم الإسلام تدليل المرأة على حساب الرجل، ولا ظلمها من أجله، ولم يكن همه إرضاء نزواتها على حساب رسالتها، ولا إرضاء الرجل على حساب كرامتها"(٢١٧).

لقد رسخت الأحاديث الموضوعة التي سبق الإشارة إليها في نفسية المجتمع عموماً، والمرأة خصوصاً الشعور أو الاعتقاد بأنها مخلوق ضعيف عليه أن يعتمد في إثبات شخصيته على غيره، وأنها جنس لطيف لم يخلق إلا للمتعة وأنها ليس لها من سلاح في معركة الحياة غير جسدها؛ فينبغي إذا ما تعلمت شيئاً ما- وهو أمر تقلل من شأنه الأحاديث الموضوعة- أن تتعلم كيف تتفنن في تنميق جسدها وعرضه، لقد تهيأت المرأة بعزلها عن العلم والمعرفة وعالم الثقافة لقبول الاستبداد بجميع أنواعه والقهر بجميع أشكاله.

إن كثيراً من الآباء للأسف الشديد- يميلون إلى الحد من طموح الفتيات في استكمال تعليمهن إذا ما قدر لهن التعلم في السنين الأولى بحجج واهية بدائية، حيث نسمع عن فساد

(٢١٥) حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة: القنوجي البخاري، ص ١٥.
(٢١٦)أنظر: تأملات إسلامية حول المرأة: محمد حسين فضل الله، دار الملاك، ط: ٢، ١٩٩٢م، ص ٥٢.
(٢١٧) مركز المرأة في الحياة الإسلامية: د. يوسف القرضاوي، ص ١٠٢، ١٠٥.

أجواء التعليم وأن حاجة الفتاة إلى العلم تقتصر على تعلم القراءة والكتابة لأنها في نهاية المطاف تتهيأ لتكون ربة البيت.

ويرد الطهطاوي على التخوف من تعليم المرأة فيقول: "إن التجربة في كثير من البلاد قضت أن نفع تعليم البنات لا ضرر فيه، ويستعين بما كان في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم من تعليم النساء... وهو يرد على من ذهب إلى تحريم ذلك وأنها مكروهة في حقهن، لما قد يؤدي إليه من إساءة استخدام، بأن ذلك لا ينبغي أن يكون على عمومه، ويضرب أمثلة بمن كان يعرف القراءة والكتابة من زوجات النبي ع وغيرهن من النساء في كل زمان".

ويرجع التشدد في عدم تعليم المرأة إلى المبالغة في الغيرة عليها وفي ذلك يقول: "وليس مرجع التشدد في حرمان البنات من الكتابة إلا التغالي في الغيرة عليهن من إبراز محمود صفاتهن أياً ما كانت في ميدان الرجال تبعاً للعوائد المحلية المشوبة بحمية جاهلة، ولوجوب خلاف هذه العادة لصمت التجربة"[٢١٨].

إن التأكيد من جهة الإسلام على أن الأمومة من مهمات المرأة الأساسية لا يعني بحال من الأحوال منعها من التعليم والحد من طموحها، بل إن ذلك يعتبر سبباً أخر يدفعنا إلى تمكينها بمهمتها الكبرى في ظروف أفضل.

وإننا معاشر المسلمين نعيش تناقضاً كبيراً، فمن جهة نلاحظ أنه تملكنا رغبة في عرض نسائنا إذا ما مرضوا على طبيبات وليس على أطباء، ويتمنى الكثيرون أن تدرس بناتهم على معلمات واستاذات، في الوقت الذي نحول فيه بين بناتنا وبين مواصلتهن تعليمهن ليكن المعلمات والطبيبات والممرضات[٢١٩].

وعلى العموم فتعليم المرأة شيء يحرص عليه الإسلام، ويحث على تنوعه، وقد حرص قادة المسلمين في شتى العصور على تعليم بناتهم، وعلى حث المسلمين أن يجعلوا للمرأة نصيباً وافراً من العلم والثقافة، فتعلم المرأة ليس شيئاً جائزاً فحسب، بل ضرورياً وواجباً في كثير من الأحوال[٢٢٠].

(٢١٨) المرشد الأمين في تربية البنات والبنين: رفاعة رافع الطهطاوي، مطبعة المدارس الملكية، القاهرة، ص ٢٩٤.

(٢١٩) أنظر: المرأة بين القرآن وواقع المسلمين: راشد الغنوشي، المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر، بيروت، ط: ٣، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ص ٧٧، ٧٩.

(٢٢٠) أنظر: الحياة الاجتماعية في الفكر الإسلامية: د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط: ٥، ١٩٨٦م، ص ١٢٢.

المطلب الثالث
المجال السياسي

إن الحديث عن وضعية المرأة سياسياً ليرتبط أشد الارتباط بالمجال السابق أي العلم والثقافة، إذ أنه لما حيل بين المرأة والتعلم كانت النتيجة الحيلولة بينها وبين كل ما كان له تعلق بالتعبير عن رأيها بحرية أو إدارة الشأن العام.

فالمرأة كما رأينا في الأحاديث الموضوعة ليست أهلاً للمشورة ولا للإدارة والقيادة، والواقع أننا من وجهة نظر الإسلام إذا أستثنينا رئاسة الدولة التي غالباً ما يعبر عنها بالخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بالإمامة الكبرى فإن سائر المناصب والوظائف والأنشطة السياسية الأخرى تعد في شريعتنا السمحة مجالات متسعة لكل من الرجل والمرأة(٢٢١).

إن المرأة في بعض مجتمعاتنا العربية والإسلامية ما تزال محجوبة عن عالم السياسة لا تفقه فيها أدنى أبجدياتها، محرومة من حق الترشح والترشيح، ومحرومة من المشاركة والانخراط في مؤسسات المجتمع السياسية والحزبية.

في حين أن رسالة الإسلام الخالدة كما جاءت من عند الله، وكما جدتها السيرة العطرة لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ع أكدت على مكانة المرأة ودورها وريادتها في جميع النواحي حتى السياسية منها.

وفي الوقت نفسه ليس هناك قضية إسلامية أوضح من هذه القضية لكثرة الأدلة ووضوح دلالتها على السماح للمرأة ممارسة هذا الدور من خلال حق الاقتراع والترشيح.

مادام من حق المرأة أن تنصح بما تراه صواباً وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتقول هذا صواب وهذا خطأ بصفتها الفردية والحرة، فلا يوجد دليل شرعي يمنع عضويتها في مجلس أو هيئة تقوم بهذه المهمة، ولقد أفتي الدكتور يوسف القرضاوي: "بأن الحاجة تقتضي من المسلمات الصالحات أن يدخلن معركة الانتخاب في مواجهة المتحلات، والحاجة الاجتماعية والسياسية قد تكون أهم وأكبر من الحاجة الفردية التي تجيز للمرأة الخروج للحياة العامة"(٢٢٢).

يقول راشد الغنوشي: "إنه ليس في الإسلام ما يبرر إقصاء نصف المجتمع الإسلامي عن دائرة المشاركة والفعل في الشؤون العامة... إن ذلك من الظلم للإسلام ولأمته قبل أن يكون ظلماً للمرأة ذاتها؛ لأنه على قدر ما تنمو مشاركة المرأة في الحياة العامة على قدر ما يزداد وعيها بالعالم وقدرتها على السيطرة عليه"(٢٢٣).

(٢٢١) أنظر: المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الإسلامي، ص٦٩.
(٢٢٢) تحرير المرأة في عصر الرسالة، ٤٥١/٣.
(٢٢٣) المرأة بين القرآن وواقع المسلمين، ص ١٢٩.

ولذلك فقد أسهمت المرأة المسلمة في كثير من جوانب الحياة الإسلامية منها السياسية وشؤون الحكم، وإدارة شؤون الدولة التي تزخر بها كتب التاريخ(٢٢٤).

المطلب الرابع
المجال الحضاري والنفسي

لعل شعار تحرير المرأة في طبيعته ناشئ من الواقع الحضاري والنفسي السيء الذي كانت المرأة وما تزال تعيشه في أجواء التقاليد والعادات المختلفة، والممارسات الاجتماعية التي تضطهد انسانيتها وتعاملها كما لو كانت مجرد شيء من أشياء الرجل، من دون أن يكون لها أي دور فاعل في الحياة.

إن قراءتنا للأحاديث الموضوعة تعطينا الانطباع أن لا دوراً حضارياً للمرأة تلعبه في الحياة، وقد انعكست هذه الصورة السيئة على نفسية المرأة فانتهت بها إلى كيان محبط وقاصر ضعيف، لا يثق في نفسه ولا في قدراته وطاقاته الإبداعية.

إننا نفتقد اليوم النموذج الرسالي في المرأة المسلمة، نفتقد النموذج الفاعل والمتحمل لكامل مسؤوليته في البناء والتغيير لواقع مريض، ينقصنا اليوم نموذج المرأة الحاملة لرسالة التبشير والدعوة إلى الحق ومناهضة الباطل.

لقد عمل عصر الانحطاط على عزل المرأة عن هموم المجتمع ومشاغله الحضارية، فغدت مجتمعات النساء مشغولة بتوافه الأمور، وضاعت الرسالة في اهتمامهن بالثياب والموضة والزينة وقضايا الزواج والطلاق واغتياب بعضهن بعضاً.

ووجدنا الدوائر الصهيونية تضطلع عبر مؤسسات وهيئات وجمعيات علمانية ولا دينية بالتفكير في المرأة المسلمة والتخطيط لعزلتها، والإيقاع بها في شراك التحلل والفساد.

فباتت الاتجاهات النسوية التحررية مرتبطة لا بالأساس العقدي، والتشريع الإسلامي، بل مدفوعة ممولة من قبل جهات مفضوحة الولاء إلى الدوائر الغربية التي تختزل تحرر المرأة من نزعها للحجاب، وسلوكها في المجتمع بما تمليه عليها رغباتها الشيطانية، بعد أن زين الاعلام بالصوت والصورة ملتقيات الفتنة ومهرجانات الميوعة والتحلل.

(٢٢٤) أنظر: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية: د. محمد منير مرسي، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ص ١٥٨.

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث المتواضع يستنتج الباحث أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها من خلال هذا الموضوع.

أولاً: النتائج

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال هذا الموضوع الآتي:

١- أن ثقافة المجتمع الدينية تجاه المرأة تحتاج إلى إعادة نظر، كما تحتاج إلى عملية تصحيح شاملة للعقيدة والفكر وللسلوك والممارسة.

٢- أن إصلاح صورة المرأة في المجتمع العربي المسلم يتوقف على إعادة تأهيل المرأة، لتقوم بدورها الرسالي، وهو أمر لا تحقق له، ما لم ينظف الفكر وأذهان الناس من الخزعبلات والأفكار الجاهلية التي تعرقل مسيرة التنمية والبناء الحضاريين.

٣- أن الواقع المرير الذي يعيشه المجتمع العربي والإسلامي بصفة عامة، والمرأة بصفة خاصة، إنما حدث بسبب هجر القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، وتغير صورة المرأة مشروط بتغيرنا نحن جميعاً، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ** ﴾(٢٢٥) .

٤- أن الحديث الموضوع هو ما كان منسوباً للنبي صلى الله عليه وسلم على جهة الكذب والتلفيق؛ لأسباب تنوعت واختلفت- وخلفت بلا ريب- فتنة في فكر الأمة.

٥- أن هذه الأحاديث الموضوعة المكذوبة المتعلقة بالمرأة، ساهمت في تشويه صورة المرأة، وقدمتها على غير ما أراد الإسلام لها، وتتصور في المرأة شتى التصورات السخيفة وتراها: (ضعيفة، مهانة، جاهلة، سفيهة، داعرة، شيطانة، فتنة وغواية وشهوانية، منبع الرجس والنجاسة، وأصل الشر والبلاء... الخ).

٦- أن الإسلام جاء ليرفع عن المرأة ظلمها والإهانات التي لحقت بها عبر مراحل التاريخ، كما هو في هذه الأحاديث الموضوعة التي تسفه المرأة وتنقص من أهليتها، وتعتبرها أصل الشر والبلاء.

٧- تقليل الأحاديث الموضوعة من تعليم المرأة، وعزلها عن العلم والمعرفة وعالم الثقافة، لقبول الاستبداد بجميع أنواعه، والقهر بجميع أشكاله، وأكثر من ثلثي النساء في مجتمعات المسلمين يعانين من أمية مزمنة أو القلة القليلة من المتعلمات لا يفقهن حقوقهن كما ينبغي.

٨- أن المرأة في الأحاديث الموضوعة ليست أهلاً للمشورة، ولا للإدارة والقيادة، وكل ما كان له تعلق بالتعبير عن رأيها بحرية، أو ادارة الشأن العام.

٩- ان هذه الأحاديث الموضوعة رسخت في بعض المجتمعات الجاهلة حبس نساءهم في البيوت، ومنعهن من الخروج ومخالطة الرجال في المجتمع، وحجبهن عن الأعين،

(٢٢٥) الرعد: ١٢.

ووضعهن في غرف منعزلة في جوف البيوت، لتصورهم أن الخطيئة والغواية كامنة فيهن، فهم يخرجوهن من الحياة بهذا الحبس إلى خارجها أو هامشها.

١٠- النظرة الاجتماعية الدونية للمرأة كما في هذه الأحاديث الموضوعة من خلال تسلط المجتمع الذكوري وتغلبه وقهره للمرأة، حيث تظل قاصرة لا رأي لها، ولا قدرة لها على اتخاذ القرار، واعتبارها ناقص الأهلية.

ثانياً: التوصيات

١-ضرورة تأسيس هيئة علمية من العلماء والباحثين المحققين لجمع وتمحيص وتنقيح الروايات المتعددة من كتب السنة والتاريخ والسير والتفسير المتعلقة بالموضوعات، وتحقيقها على أسس علمية؛ تمتاز بالدقة وشدة التحري والبحث والتنقيب في جميع جوانبها من أجل تمييز الحديث الصحيح من الضعيف من المكذوب.

٢-العناية بتأليف الكتب والبحوث التي تنص على الأحاديث الموضوعة وتعقبها ونقدها سنداً ومتناً، لمقاومة حركة الوضع والوضاعين وبيان زيفهم وجهلهم، والتمييز بين الثابت والموضوع.

٣-توجيه الباحثين وطلاب الدراسات العليا للكتابة في الروايات الموضوعة في مختلف الجوانب تمتاز بالدراسة والبحث والتنقيب في جميع جوانبها وفق قواعد وضوابط المحدثين في هذا الفن.

٤-ضرورة قيام أجهزة وسائل الإعلام بدورها بإبراز الصورة الصحيحة عن موقف الإسلام في التعامل مع المرأة.

قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨١].

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
١- أستاذ المرأة: محمد بن سالم بن حسين الكوادي البيحاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:١، ٢٠٠٢م.
٢- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: محمد بن محمد أبو شيبه، دار الجيل، بيروت، د.ت.
٣- أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب: محمد بن السيد درويش الحوت (ت١٢٧٦هـ)، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، د.ت.
٤- الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط: ١، د.ت.
٥- أصول الحديث علومه ومصطلحه: د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر الحديث، بيروت، لبنان، ط:٢، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.
٦- أصول الدعوة: د. عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: ٩، ١٤٢٣هـ.
٧- الألفية في مصطلح الحديث: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)، منشورات دار السلام، ط: ١، ٢٠٠١م.
٨- الأم: محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، دار المعرفة، بيروت ط: ٢، ١٣٩٣هـ.
٩- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف (بتفسير البيضاوي)، ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي، مطبعة مصطفى محمد، بقية المعلومات بدون.
١٠- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث: أحمد محمد شاكر (ت١٣٧٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:٢، ١٣٧٠هـ، ١٩٥١م.
١١- تأريخ التشريع الإسلامي: مناع القطان، مكتبة المعارف، الرياض، ط:١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
١٢- تأريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، د.ت.
١٣- تأملات إسلامية حول المرأة: محمد حسين فضل الله، دار الملاك، ط: ٢، ١٩٩٢م.
١٤- التحديث بما قيل لا يصح فيه حديث: بكر أبو زيد، دار الهجرة، الرياض، ط:١، ١٤١٢هـ.
١٥- تحرير المرأة في عصر الرسالة: عبدالحليم محمد أبو شقة، الكويت، ط:٤، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
١٦- تحفة المودود بأحكام المولود: شمس الدين أبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ط: ١، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.

١٧- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، المكتبة العلمية للنمنكاني، المدينة المنورة، ط:١، ١٣٧٩هـ.
١٨- التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية: د. محمد منير مرسي، عالم الكتب، القاهرة، ط:٢، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
١٩- تفسر القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ، ١٩٨٤م.
٢٠- تقريب النواوي مع شرحه تدريب الراوي للسيوطي: يحيى بن شرف أبو زكريا محيي الدين النووي (ت ٦٧٦هـ)، بقية المعلومات بدون.
٢١- تكملة الإكمال: أبو بكر محمد بن عبدالغني البغدادي، تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط: ١، ١٤١٠هـ.
٢٢- تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث: عبدالرحمن بن علي محمد الزبيدي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة أبن سيناء، مصر، د.ت.
٢٣- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة: أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عراق الكناني، (ت: ٩٦٣هـ)، مطبعة القاهرة، مصر، ط:١، د.ت.
٢٤- تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دار الفكر، بيروت، ط: ١، ١٩٨٤م.
٢٥- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١، ٢٠٠١م.
٢٦- الثقافة الإسلامية وتحدياتها المعاصرة: د. محمد عوض الهزايمة، عمان، الأردن، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
٢٧- جامع الأصول في أحاديث الرسول: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملامح، مكتبة دار البيان، ط: ١، د.ت.
٢٨- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط:٢، ١٣٧٢هـ.
٢٩- الجرح التعديل: أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، ١٩٥٢م.
٣٠- حاشية إبن عابدين المعروفة (برد المحتار على الدر المختار): محمد أمين عابدين (ت ١٢٥٢هـ)، دار الفكر، بيروت، ط: ٢، ١٣٨٦هـ، ١٩٧٩م.
٣١- الحديث والمحدثون: محمد أبو زهرة، بقية المعلومات بدون.
٣٢- حُسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة: القنوجي البخاري، بقية المعلومات بدون.

٣٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:٤، ١٤٠٥هـ.
٣٤- الحياة الإجتماعية في الفكر الإسلامي: د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط:٥، ١٩٨٦م.
٣٥- روح البيان: إسماعيل حقي البروسي، دار الفكر للطباعة والنشر، بقية المعلومات بدون.
٣٦- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: وأثرها السيئ على الأمة محمد بن ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، مطابع دار الفكر، دمشق، ط:١، ١٩٧٩م، ١٩٥٩م.
٣٧- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، دمشق، سوريا، ط: ٤، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
٣٨- سنن أبن ماجه: أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت، د.ت.
٣٩- سنن أبي داود: سلمان بن الأشعث أبو داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
٤٠- سنن البيهقي الكبرى: أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، بيروت، ١٤٠٤هـ.
٤١- سنن الترمذي: أبو عيسى محمد ين عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
٤٢- سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٩، ١٤١٣هـ.
٤٣- شرح صحيح مسلم للنووي: يحيى بن شرف أبو زكريا محيي الدين النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط:٢، ١٩٧٢م.
٤٤- شرح علل الترمذي: عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٣٢هـ)، تحقيق: صبحي السامرائي، عالم الكتب، بيروت، ط: ٢، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
٤٥- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: أبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
٤٦- صحيح البخاري أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
٤٧- صحيح الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير): محمد بن ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، د.ت.
٤٨- صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسايوري (ت٢٦١هـ)، دار الفكر للطباعة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٤٩- الضعفاء والمتروكين: أبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤٠٦هـ.
٥٠- علوم الحديث ومصطلحه: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط:٧، ١٩٨٨م.
٥١- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبدالعزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٧٩هـ.
٥٢- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث: زين الدين عبدالرحمن بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ)، تحقيق: محمود ربيع، مؤسسة الكتب الثقافية، ط:١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.
٥٣- الفردوس بمأثور الخطاب: أبو شجاع شيرويه الديلمي، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٨٦م.
٥٤- الفهرست: أبو الفرج محمد بن إسحاق ابن النديم (ت ٣٧٧هـ)، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
٥٥- الفوائد المجموعة- في الأحاديث الموضوعة: محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، القاهرة، ط:١، ١٣٨٠هـ.
٥٦- في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط: ٢٤، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
٥٧- القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ت.
٥٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، رتبة وصححه وضبطه: محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٥٩- الكشف الحثيث: أبو الوفاء الحلبي الطرابلسي، تحقيق: صبحي السامرائي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط:١، ١٩٨٧م.
٦٠- كشف الخفاء ومزيل الألباس عما أشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: إسماعيل بن محمد العجلوني (ت ١١٦٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٣، ١٣٥١هـ.
٦١- الكفاية في علم الرواية: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تقديم: محمد الحافظ التيجاني، مطبعة السعادة، مصر، د.ت.
٦٢- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، المكتبة الحسينية المصرية، د.ت.
٦٣- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط:١، ١٩٧٤م.
٦٤- اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع: محمد بن خليل بن إبراهيم المشيشي، تحقيق: فواز أحمد، دار البشائر الإسلامية، ط:١، ١٤١٥هـ.
٦٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهثيمي (ت ٨٠٧هـ)، دار الريان للتراث، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، ط:١، د.ت.

٦٦- المرأة بين القرآن وواقع المسلمين: راشد الغنوشي، المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت، ط: ٣، ١٤٢١هـ.
٦٧- المرأة بين طغيان النظام العربي ولطائف التشريع الرباني: د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط: ١، ١٩٩٦م.
٦٨- المرأة وحقوقها في الإسلام: محمد الصادق عفيفي، مكتبة الانجلو المصرية، بقية المعلومات بدون.
٦٩- المرشد الأمين في تربية البنات والبنين: رفاعة رافع الطهطاوي، مطبعة المدارس الملكية، القاهرة، د.ت.
٧٠- مسند الإمام أحمد: أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر، د.ت.
٧١- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع: علي القاري الهروي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غده، مؤسسة الرسالة، ط: ٣، ١٣٩٨هـ.
٧٢- معالم السنن مع سنن أبي داود للخطابي: أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم خطاب البستي (ت ٣٨٨هـ)، إعداد: عزت عبيد الدعاس، ط:١، ١٣٨٨هـ.
٧٣- معجم الفروق والمذاهب الإسلامية: إسماعيل العربي، منشورات الآفاق الجديدة، المغرب، ط:١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
٧٤- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط:٢، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
٧٥- المغني: أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ط:١، ١٤٠٥هـ.
٧٦- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة: محمد بن عبدالرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، طبعة الخانجي، القاهرة، بغداد، ١٣٧٥هـ.
٧٧- مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلين: أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٣٠هـ)، تصحيح: هلموت رتيز، ط:٣، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
٧٨- المقترح في علم المصطلح: د. إبراهيم بن إبراهيم القريبي، دار القدس، صنعاء، ط:٢، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
٧٩- المقدمة في علوم الحديث: ابن الصلاح: أبو عمرو بن عبدالرحمن الشهرزودي (ت ٦٤٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
٨٠- ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده: د. يوسف القرضاوي، طبعة بيروت، ٢٠٠٨م.
٨١- الملل والنحل: أبي الفتح محمد بن أبي بكر الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: أمير علي مهنا، وعلي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، ط:٨، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.
٨٢- المنار المنيف في الصحيح والضعيف: شمس الدين أبي عبدالله محمد ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٣٩٠هـ.

٨٣- منهج النقد في علوم الحديث: نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط:٢، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
٨٤- الموضوعات: أبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط:١، ١٣٨٦هـ.
٨٥- ميزان الإعتدال في نقد الرجال: شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٩٩٥م.
٨٦- نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول: أبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: السماعي سويدان، دار القادري، بيروت، ط: ١، ١٩٩٠م.
٨٧- النهاية في غريب الحديث والأثر: ـبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد ومحمود ومحمد الطناجي، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.
٨٨- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار: محمد ين علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.
٨٩- الوسيط في علوم ومصطلح الحديث: محمد بن محمد أبو شهبة، عالم المعرفة للنشر، جدة، د.ت.
٩٠- الوضع في الحديث: عمر حسن عثمان فلانة، مكتبة الغزالي، دمشق، د.ت.

الطبيعة القانونية لحق المؤلف
((دراسة مقارنة في القانونين اليمني والمصري))

الباحث الأول: أ.م.د. علوي صالح محمد العلوي

أستاذ القانون المدني المشارك

عميد كلية الشريعة والقانون - جامعة الحديدة

الباحث الثاني: د. حمود محمد إسماعيل الشاحذي

أستاذ القانون المدني المساعد

كلية الشريعة والقانون - جامعة الحديدة

ملخص البحث: -

المؤلف: هو كل مبدع ابتكر بجهده أيا من المصنفات الأدبية أو الفنية أو العلمية، ويعتبر مؤلفاً الشخص الذي ينسب اليه المصنف سواء كان ذلك بذكر اسمه على المصنف أو باي طريقة أخرى.

ولعل موضوع حماية حق المؤلف من الموضوعات الهامة التي تطرح نفسها بقوة على الساحة القانونية والسياسية والاقتصادية.

فمنذ ظهور الثورة الفرنسية في النصف الأخير من القرن التاسع عشر بدأ الفكر يتجه إلى ضرورة حماية الابتكار ومع التقدم العلمي والتكنولوجي من خلال حماية حق المؤلف، وكان كل يوم يمر بعد ذلك يؤكد ضرورة هذه الحماية، حتى وصل عصر المعلوماتية، فقد أصبحت المعلومات تقدر بالمال أموالاً وبالتالي ترد عليها الحقوق، وتعقد بشأنها العقود والتصرفات القانونية، وبدأ الابتكار يتوسع في هذا المجال يوماً بعد يوم، مما ضاعف الشعور العام بضرورة حماية حق المؤلف على كافة المجالات الداخلية والخارجية.

Summary Of Research: -

It is every invertor Who devised any one of the literary، Artistic or scientific works by his effort.

Regarded to the author of these works and that by.

Mentioning his name on his work or by other way.

It is more important to consider the subject of anther's protection that strongly poses itself in political economic and legal arena.

The protection of innovations apparel in the Middle of the 19th century and with the appearance of the French revolution، as well as the scientific and technological progress. The important of the need of protection was information has become as a money in all field such as right، contracts and legal action. As innovations was expanding day by day.

The need of protection، after that increased and expanded in all fields of life، internal and external.

المقدمة:-

لما كان القضاء الموضوعي بشقيه (المدني والجزائي) هو صاحب القرار الفاصل بإقرار أو نفي وجود الحق المتنازع عليه، وهذا لا يتم إلا من خلال خصومة قائمة بين طرفين ودعوى مرفوعة أمام القضاء وفقاً للإجراءات التي ينص عليها قانون المرافعات ابتداء من تاريخ رفع الدعوى، وإعلان صحيفتها، وحضور الخصوم فيها بما يترتب على ذلك من حق هؤلاء في تقديم الطلبات وإبداء الدفوع... وغيرها وانتهاء بإغلاق باب المرافعة فيها، ثم صدور حكم بحسم النزاع لمصلحة أحد الخصمين في مواجهة الخصم الآخر.

وفي ظل هذا الوضع المعقد من الطبيعي أن تؤخذ الدعوى أمام القضاء وقتاً طويلاً إن كان معروفاً ميعاد بدئها غير أنه لن يعرف أحد متى ستنتهي، وذلك بسبب البطء الشديد في إجراءات التقاضي، فقد يترتب على انتظار صدور حكم في الدعوى ضياع كل أو جزء من الحق المراد حمايته (حق المؤلف) مالم يتم على وجه السرعة إجراء معين لحماية حق المؤلف من أي اعتداء عليه، فأتى مصطلح ما نسميه بالحماية الاجرائية لحق المؤلف والتي من خلالها يتم اتخاذ إجراء وقتي أو تحفظي مناسب وسريع ليكون قادراً على تحقيق حماية إجرائية فعالة وسريعة بهذا الحق الى أن يتم الفصل في أصل النزاع

الموضوعي بين طرفيه أمام المحكمة المختصة (عن طريق الدعوى المدنية أو الجزائية)[١].

ونتيجة للتطور المتسارع في جميع نواحي الحياة وما يحظى به حق المؤلف في دول العالم الحديث باهتمام وعناية فائقة لما لها من دور أساس وكبير في التنمية الاقتصادية الاجتماعية والثقافية فاحترام هذا الحق وحمايته هو الطريق لتحفيز المبدعين على العطاء ومواصلة الانتاج والابتكار، كما أن الحماية الإجرائية لهذا الحق وإنقاذه يخلق البيئة الملائمة لجذب رؤوس الأموال للاستثمار في شتى المجالات مما يؤدي إلى تحقيق فوائد ومزايا عديدة منها:

تشجيع وتنمية الأنشطة الإبداعية والمبتكرة، واحترام أعمال المبدعين، وتحقيق عوائد مادية، وإيجاد فرص عمل، وغير ذلك من الفوائد الأخرى.

وإن ما نشهده اليوم من تغيرات وتطورات في مجالات التكنولوجيا، وتقنية المعلومات، وشبكة الإنترنت، وظهور وسائل عالية التطور انعكس تأثيره على الحياة المختلفة، ومنها حق المؤلف سواء على المستوى الدولي أو على المستوى المحلي نتيجة أعمال القرصنة لهذه الحقوق وتزايدها المستمر جراء الاستغلال غير المشروع من قبل البعض للتقنيات المختلفة منها:

التعدي- النسخ- التنزيل- التحميل- الاستنساخ- الطباعة للمصنفات الفنية والأدبية[٢].

أهمية البحث: -

وتكمن أهمية البحث في هذا الموضوع، كونه من الموضوعات الحديثة نسبياً، فعلى الصعيد القانوني لم يأخذ ما يستحقه من الدراسة القانونية الكافية وخاصة في المؤلفات العربية.

إذا أننا وجدنا أن أغلب الدراسات القانونية في هذا المجال تنصب على موضوع الحماية المدنية أو الجزئية لحق المؤلف.

---

[١] - د/ أحمد صدقي محمود ، الحماية الوقتية لحقوق الملكية الفكرية وفقاً للقانون(٨٢) لسنة ٢٠٠٢م ، الطبعة الاولى ١٤٣٤هـ/٢٠٠٤م، الناشر دار النهضة العربية- القاهرة ، ص٥

[٢]-عبد الملك يحيى القطاع، مبادى وقواعد نظام الادارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة ومقترح مشروع تأسيسها في اليمن، الطبعة الاولى ٢٠١٢م، مركز عبادي للدراسات والنشر صنعاء ، ص٩.

.

أهداف البحث: -

وعليه يهدف هذا البحث إلى إبراز مدى المتغيرات القانونية التي يمكن أن تحقق حماية جدية وسريعة لحق المؤلف، والوقوف على معرفة كيفية تطبيقها بصورة قانونية فعالة وسريعة، سواء من خلال تطبيق أحكام القوانين الخاصة بحماية حق المؤلف، أو القواعد العامة المنصوص عليها في قوانين المرافقات، وتحليلها بالصورة التي تضمن تنفيذها وتطبيقها بما يتلاءم مع عوامل التطورات العلمية والفنية والأدبية في حق المؤلف.

إشكاليات البحث: -

- ما هو حق المؤلف وكيف يحدد شخص المؤلف؟
- هل يمكن منح حق المؤلف لشخص معنوي وما موقف القانون من ذلك؟
- ما هو مضمون حق المؤلف والحقوق المجاورة، وكيف يتم التصرف بهذا الحق؟

منهج البحث: -

ولدراسة موضوع الطبيعة القانونية لحق المؤلف، سيتم استخدام المنهج المقارن، والمنهج الوصفي التحليلي نظراً لملاءمته لطبيعة هذا البحث، بهدف التوصل إلى استنتاجات علمية وموضوعية، وعليه ارتأينا تقسيم الدراسة إلى مبحثين اثنين:

المبحث الأول: ماهية حق المؤلف وتحديد الشخص المؤلف وتعدد المؤلفين.

المبحث الثاني: الجدل الفقهي حول الطبيعة القانونية لحق المؤلف.

المبحث الأول

ماهية حق المؤلف وتحديد الشخص المؤلف وتعدد المؤلفين

المؤلف في القانون اليمني هو كل مبدع ابتكر بجهده أياً كان من المصنفات الأدبية أو الفنية أو العلمية، ويعتبر مؤلفاً الشخص الذي ينسب إليه المصنف سواء كان ذلك بذكر اسمه على المصنف أو بأي طريقة أخرى[٣].

وفي القانون المصري رقم (٨٢) لسنة ٢٠٠٢م في نص المادة (١٣٨) عرف المؤلف بأنه: الشخص الذي يبتكر المصنف، ويعد مؤلفاً له ما لم يقم الدليل على غير ذلك[٤].

وعليه سنقسم الدراسة في هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم حق المؤلف (والحقوق المجاورة لحق المؤلف).

المطلب الثاني: تحديد الشخص المؤلف وتعدد المؤلفين.

المطلب الأول: مفهوم حق المؤلف (والحقوق المجاورة لحق المؤلف)

وسنقسم هذا المطلب إلى فرعيين:

الفرع الأول: مفهوم حق المؤلف.

الفرع الثاني: ما المقصود بالحقوق المجاورة لحق المؤلف.

الفرع الأول

مفهوم حق المؤلف

المؤلف في اللغة: اسم فاعل وهو الشخص القائم بالتأليف والتأليف في اللغة: مِن ألف، فالهمزة واللام والألف والفاء أصل واحد يدل على انضمام الشيء إلى الشيء، وكل شيء،

[٣] - نص المادة (٢) من القانون اليمني رقم (١٥) لسنة ٢٠١٢م بشأن حماية حق المؤلف والحقوق المجاورة منشور في الجريدة الرسمية العدد (١٤) لسنة ٢٠١٢م

[٤]- نص المادة(١٣٨) من القانون المصري رقم (٨٢) لسنة ٢٠٠٢م ، المادة(٢) بشأن حقوق الملكية الفكرية منشور في الجريدة الرسمية العدد(٢٢) ٢ يونيو ٢٠٠٢م.

ضممت بضمة إلى الميم فقد ألفته تأليفاً، وقال أبو البقاء التأليف جمع الأشياء المتناسبة، ولذلك سمت الصداقة، لغة التوافق الطباع فيها والقلوب[٥].

أ- الناشر والمالك لاكتساب صفة المؤلف:-

لابد من التمييز بين المؤلف والمالك وبين المؤلف والناشر، لأن نوع الحماية الممنوحة للمؤلف تختلف عن تلك الممنوحة للمالك والناشر، فإن اشتراك الناشر والمالك في الحقوق المالية فإن المؤلف يتفرد بالحق الأدبي، إذ أن نقل ملكية النسخة الأصلية من المصنف إلى الغير لا تتضمن حق المؤلف على هذا المصنف إلى ذلك الغير[٦].

وهنا يكمن السؤال؟ ما هو حق المؤلف وكيف يتم تحديد شخص المؤلف؟

وهل يمكن منح هذا الحق لشخص معنوي وما موقف القانون من ذلك؟؟

ب- المؤلف في الفقه:-

هناك فريق يعرف المؤلف بأنه: الشخص الذي ابتكر إنتاجاً جديداً سواء كان أدبياً أم فنياً أم علمياً، وعرفه البعض بأنه: كل من أنتج إنتاجاً ذهنياً يعد مؤلفا، ويعرف الفقه العربي المؤلف بأنه: كل إنسان يقوم بابتكار أو خلق أو إنتاج ذهني لمصنف من أي صورة يظهر بها ويتم تداوله، ويرى الباحث: دقة هذا التعريف، لأن المؤلف لا يتصور إلا أن يكون شخصاً طبيعياً ممن يملك الذهن والقدرة على الابتكار والإبداع، وهو مبدأ مُجمع عليه تشريعاً في حق المؤلف وحتى التشريعات التي اعترفت للشخص المعنوي بانصراف الحقوق إليه فتعد استثناءً مقيداً وبالتأكيد لم تعترف له بوصف المؤلف[٧].

ج- المؤلف في الاتفاقيات الدولية: -

عند اطلاعنا للاتفاقيات الدولية المتعاقبة المتصلة بحماية حقوق المؤلف تبين لنا أنها لم تضع تعريفاً محددا للمؤلف وإنما جاءت في بيان حقوق المؤلف على الإنتاج الذهني الذي يبتكره المؤلف في مجمل الحقوق الأدبية والمالية، فعلى سبيل المثال أن اتفاقية بيرن

---

[٥]-د/ عبدالوهاب عبدالله المعمري، حقوق المؤلفين من أعضاء هيئة التدريس في القوانين والمواثيق الدولية ، بحث منشور في المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي العدد(١٠) لسنة ٢٠١٣م ، المجلة (٣) ص٢١٥-٢١٦

[٦] - أ/ زينب عبدالرحمن عقله سلفيتي ، الحماية القانونية لحق المؤلف في فلسطين ، دراسة مقارنة رسالة ماجستير جامعة النجاح الوطنية ، لكلية الدراسات العليا في نابلس – فلسطين ، تاريخ المناقشة ٢٠١٢/٨/٢م ص ٦١-٦٢

[٧] - أ / زينب عبدالرحمن ، المرجع السابق ص ٦٣.

في المادة(١٥) منها نصت على أنه ((لكي يعتبر المؤلف المصنفات الأدبية أو الفنية التي تحميها الاتفاقية، فيكفي أن يظهر اسم المؤلف على المصنف بالطريقة المعتادة، وهذا مالم يقيم الدليل على نقيضه)).

أما اتفاقية جنيف الموقعة في باريس عام ١٩٧١م فقد خلت تماماً من أي تعريف لحق المؤلف، وهذا يدل بأنها تركت هذه الموضوعات إلى المشروع الداخلي لكل دولة في عضوية الاتفاقية.

بينما المنظمة العالمية للملكية الفكرية عرفت المؤلف تعريفاً موجزاً، فقالت: إنه ذلك الشخص الذي يبتكر مصنفاً[٨].

ويرى الباحث: أن هذه الاتفاقية قد أوردت كلمة شخص بمعنى واسع لتشمل الشخص الطبيعي والشخص المعنوي.

د- المؤلف في القانون اليمني والمصري: -

في القانون المدني اليمني يعرف المؤلف هو كل مبدع ابتكر بجهده أيًّا من المصنفات الأدبية أو الفنية أو العلمية، ويعتبر مؤلفاً الشخص الذي ينسب إليه المصنف سواء كان ذلك بذكر اسمه على المصنف أو بأي طريقة أخرى[٩].

وفي القانون المصري رقم (٨٢) لسنة ٢٠٠٢م في نص المادة (١٣٨) عرف المؤلف بأنه: الشخص الذي يبتكر المصنف، ويعد مؤلفاً له مالم يقم الدليل على غير ذلك[١٠].

ويتضح لنا من نص المادة (١٣٨) من القانون المصري، والمادة (٢) من القانون اليمني قد أُخذت بقرينه تقبل إثبات العكس، فنشر المصنف معنوياً إلى شخص معين لا يدل دلاله قاطعة على أنه صاحب المصنف، بل يجوز لمن له مصلحة أن يقدم الدليل على أن الشخص الذي نسب إليه المصنف ليس هو المؤلف، وأن من قام بتأليف المصنف هو شخص آخر[١١].

---

[٨] - أ/ زينب عبد الرحمن ، المرجع السابق ص ٦٣

[٩]- نص المادة(٢) من القانون اليمني رقم (١٥) لسنة ٢٠١٢م

[١٠] - نص المادة(١٣٨) من القانون المصري رقم (٨٢) لسنة ٢٠٠٢م

[١١] - نص المادة(١٣٨) من القانون المصري رقم ٨٢ لسنة ٢٠٠٢م والمادة (٢) من القانون اليمني رقم (١٥) سنة٢٠١٢م.

وبرأينا نتفق مع تعريف د/ محمد أبو بكر: أن المؤلف هو كل شخص يقوم بنتاج فكري مبتكر سواء كان علمياً هذا الانتاج أو أدبياً أم فنياً، وأيا كانت طريقة التعبير عنه سواء بالكتابة أو بالرسم او التصوير أو غير ذلك ((سواء كانت هذه الطريقة تقليدية أو الكترونية)).

ونستنتج من التعاريف السالفة الذكر أن لِحَقّ المؤلف خصائص يتميز بها وهي:

١) أن لحق المؤلف طبيعة خاصة يتميز بها.

٢) أن عنصر الإبداع في حق المؤلف وكذا الابتكار يعتبر من العناصر الرئيسية له.

٣) أن حق المؤلف يشمل الإبداع في مجالات الأدب، والعلوم، والفن.

٤) أن تعريف حق المؤلف ينطبق على الشخص الطبيعي والشخص المعنوي[١٢].

الفـرع الثـاني

الحقوق المجاورة لحق المؤلف

الحقوق المجاورة لحق المؤلف: هي الحقوق المتصلة بحق المؤلف التي يتـمتع بهـا فنانو الأداء ومنتجو التسجيلات الصوتية وهيئات الإذاعة والتلفزيون[١٣].

وقد سميت بهذا الاسم ((الحقوق المجاورة)) وذلك لتجاورها مع حق المؤلف وارتباطها معه وظهرت أهميتها من خلال الدور الكبير الذي تسهم به في نشرة المصنفات الأدبية في العالم[١٤].

من هم أصحاب الحقوق المجاورة لحق المؤلف؟

الحقوق المجاورة تشمل الاتي: -

١- فنانو الأداء: هم الممثلون والمغنيون والموسيقيون والراقصون والمنشدون وغيرهم من الأشخاص الذين يشتركون بأدائهم في ابتكار مصنف أدبي أو علمي أو فني أو في تعابير فلكلورية.

---

[١٢] -د/ محمد خليل يوسف ابو بكر ، حق المؤلف في القانون ، دراسة مقارنة، رسالة الدكتوراه المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع الطبعة الاولى عام ٢٠٠٨م ، ص ١١٬١٢٬١٣.

[١٣] - نص المادة (٢) من القانون اليمني رقم (١٥) لسنة٢٠١٢م

[١٤] - د/ عبدالله عبدالكريم عبدالله، الحماية القانونية لحقوق الملكية الفكرية على شبكة الانترنت دار الجامعة الجديدة ، عام ٢٠٠٩م ص١٨

٢- منتجو التسجيلات الصوتية: سواء كان شخصاً طبيعياً أو اعتباريا ذلك الذي يتولى التسجيل الصوتي ويكون هو المسؤول عن الأعباء والاختلالات المترتبة على ذلك.

٣- هيئة الإذاعة والتلفزيون: ويتمثل ذلك في الجهات أو الهيئات المناط بها مسؤوليات البث الإذاعي السمعي أو السمعي البصري.

المطلب الثاني

تحديد الشخص المؤلف وتعدد المؤلفين

وسنقسم هذا المطلب الى فرعين:

الفرع الاول: تحديد الشخص المؤلف.

الفرع الثاني: تعدد المؤلفين.

الفرع الاول

تحديد الشخص المؤلف

المؤلف قد يكون شخصاً منفرداً وقد يكون المؤلف أشخاصا متعددة أي مشتركاً مع واحد أو أكثر في التأليف، وفي هذا الفرع يجب على الباحث بيان مفهوم المؤلف المنفرد والمؤلف ذو الشخصية المعنوية.

أولا: المؤلف المنفرد: -

المؤلف المنفرد ويقصد به: المؤلف الذي يقوم بتأليف المصنف لوحده، أو هو من أبدع المصنف وحده، والشخص الطبيعي هو وحده الذي يملك القدرة والابتكار، وهو وحده في الأرض الذي يتمتع بصفة المؤلف إلا أن المصلحة اقتضت أن يتم الاعتراف لغير الشخص الطبيعي بصفة المؤلف[١٥].

فقد نصت المادة (٢) من القانون اليمني: (يعتبر مؤلفاً الشخص الذي تنسب إليه المصنف سواء كان ذلك بذكر اسمه على المصنف أو بأي طريقة أخرى)[١٦].

[١٥] - د/ ادوار عيد ، حق المؤلف والحقوق المجاورة في القانون اللبناني والقوانين العربية ، وصادر للمنشورات الحقوقية– الجزء الاول الطبعة الاولى العام ٢٠٠١م ص٣٢.

[١٦] - نص المادة (٢) من القانون اليمني رقم (١٥) لسنة ٢٠١٢م.

أما القانون المصري فقد نصت المادة (١٣٨) على أنه ((يعتبر نشر المصنف منسوباً لشخص معين سواء بكتابة اسمه عليه أو بأي طريقة أخرى، قرينة على أن هذا الشخص هو صاحب المصنف مالم يقم الدليل على غير ذلك))[١٧]

ثانياً: المؤلف شخص معنوي: -

ويعتبر الأصل العام والقاعدة العامة أن الإبداع والابتكار مرتبط بالإنسان باعتباره الشخص العاقل الذي ميزه الله بالعقل وسخر له السموات والارض.

وأن الابتكار هو ما يأتي نتاج فكر ثاقب وذهن خلاق، وذلك لا يأتي إلا من شخص طبيعي حباه الله بالعقل ومنَّ عليه بالتفكير السليم[١٨].

إلا أن المشاورات العالمية قد أبرزت للوجود مدى اعتبار الشخص المعنوي مؤلفاً.

وتكتسب دراسة هذا الموضوع أهمية خاصة نظراً لما وجد من خلاف كبير حول ذلك، فوجود أشخاص مبدعين يبتكرون لصالح أشخاص معنويين فكثير من الأبحاث أو الكتب تمول من جامعات أو مراكز بحثية أو دور نشر أو جهات حكومية.

وقد تباينت مواقف التشريعات الخاصة بحماية حقوق المؤلف في هذه المسألة فهناك اتجاهان رئيسيان، الأول: معارض لإسناد صفة المؤلف للشخص المعنوي، الثاني: مؤيد لإسناد صفة المؤلف للشخص المعنوي.

الاتجاه الاول: - المعارض لإسناد صفة المؤلف لشخص المعنوي: -

يرى هذا الاتجاه أن صفة المؤلف تعتمد على الشخص الطبيعي فقط، أما الشخص المعنوي فلا يمكنه اكتساب هذه الصفة لأنه يفتقر القدرة على الإبداع وابتكار عمل ذهني، ولا يغير استعمال الشخص المعنوي لحقوق المؤلف المالية فهو يستعملها بصفة خلف خاص وليس بصفة المؤلف، وأن الحق الأدبي لا يمكن أن يتمتع به إلا المؤلف، وإسناد صفة المؤلف للشخص الموجه سواء كان شخصاً طبيعياً أم معنوياً يهدر الحقوق الأدبية للمؤلف مطلقاً[١٩].

---

[١٧] - نص المادة (١٣٨) من القانون المصري رقم(٨٢) لسنة ٢٠٠٢م .

[١٨] - د/ كمال سعدي مصطفى ، رسالة دكتوراه بعنوان: الملكية الفكرية – حق الملكية الادبية والفنية، الناشر بدون ، الجزء الاول الطبعة الاولى العام ٢٠٠٤م ص١٥٨

[١٩] - أ/ زينب عبدالرحمن ، مرجع سابق ص٦٨

الاتجاه الثاني: المؤيد لإسناد صفة المؤلف للشخص المعنوي: -

ويقرر هذا الاتجاه إلى صلاحية الشخص المعنوي لاكتساب صفة المؤلف، سواء بوصفه مؤلفاً فعلياً أم متنازلاً إليه عن حقوق المؤلف، ونجد من هذه الدول إنجلترا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية تعترف بصفة المؤلف إلى الشخص الاعتباري مثله تماماً مثل الشخص الطبيعي، ولا يوجد تفرقة بينهما في هذا الشأن، وقد أيد بعض الفقهاء عدم تمتع الشخص الاعتباري بصفة المؤلف، لأن الاعتراف بهذه الصفة يتنافى مع الواقع والقانون، وهو مالا يتوفر في الشخص الاعتباري، حيث لا وجود للابتكار الذهني، إلا أن التشريعات والاتفاقيات الدولية العالمية والعربية اتجهت نحو إخفاء صفة المؤلف على الشخص المعنوي، فقد نص القانون الفرنسي ١٩٥٧م في المادة (١٣) على اعتبار الشخص المعنوي يحمي حقه على ما يصنفه بقوله: (يتمتع الشخص الطبيعي أو المعنوي بحقوق المؤلف على المصنفات المشتركة التي يتعدد فيها المؤلفون)[٢٠].

موقف القانون المصري واليمني: -

لقد حذا المشرع اليمني في القانون رقم (١٥) لسنة ٢٠١٢م، بنفس النهج الذي حذا عليه المشرع المصري في نصوص المواد (٦-٧) وكذلك نص المادة (٢) من القانون عند تعريفة للمؤلف في المصنف الجماعي، بأنه المصنف الذي يضعه أكثر من مؤلف بمبادرة وتوجيه من شخص طبيعي أو اعتباري يتكفل بنشره باسمه وتحت إدارته، ويندمج عمل المؤلفين له في الهدف الذي قصد الوصول إليه هذا الشخص[٢١].

وكذا المشرع المصري في القانون رقم (٨٢) لسنة ٢٠٠٢م نص في المواد (١٣٨-١٤٣) لاعتبارات عملية على إسناد مباشرة جميع الحقوق الأدبية للشخص الاعتباري وحده للمصنف الجماعي خلافاً لكل من الذي يقتصر منه الحقوق على المؤلف وحده، والتي تعد جزءاً من شخصية المؤلف غير قابلة للتنازل أو التقادم [٢٢].

---

[٢٠] - أ/ زينب عبدالرحمن ، مرجع سابق ص٦٩ وكذا د/ عبدالله مبروك النجار الحق الادبي للمؤلف في الفقه الاسلامي والقانون المقارن، دار المريج للنشر السعودية الرياض للعام ٢٠٠٠م ص١٦٨.

[٢١] - نصوص المواد(٧-٦-٢) من القانون اليمني رقم (١٥) لسنة٢٠١٢م

[٢٢] -نصوص المواد (١٤٣، ١٣٨) من القانون المصري رقم (٨٢) لسنة ٢٠٠٢م

فإثبات صفة المؤلف للشخص المعنوي أصبحت أمراً قانونياً مفروغاً منه، وإن كان غير مسلم به، لهذا ونظراً لان إثبات صفة المؤلف له تبدو أمراً يخالف الأصل، كان من اللازم أن ينضبط بعدد من الشروط التي تحكمه ومنها: -

١- أن يكون المصنف جماعياً يشترك في وضعه عدد من الأشخاص.

٢- أن يكون المؤلفون الذين أسهموا في وضع المصنف، ممن يعملون تحت إشراف الشخص المعنوي وتوجيهاته.

٣- أن يندمج عمل المؤلفين في المصنف على نحو لا يمكن فصله، فلو اشترك عدد من المؤلفين في وضع كتاب يمكن فيه فصل عمل كل واحد عن الآخر، فإن الشخص المعنوي حريٌّ باكتساب صفة المؤلف[٢٣].

ونحن نرى من خلال عرض الآراء السابقة أن الأصل المبدع هو الإنسان المبتكر، ولكن لاعتبارات علمية يمكن اعتبار الشخص المعنوي صاحب حق على المصنف، وليس مؤلفاً، وإن كان يتمتع بالحقوق المالية والأدبية غير أنه ليس مؤلفاً بطبيعته، وهذا استثناء لا يقاس عليه.

ثالثاً: المؤلف مغفل الاسم أو باسم مستعار: (الاسم المستعار للمؤلف).

ويعني المصنف المغفل من الاسم: هو المصنف الذي لا يحمل مؤلفه، أما الاسم المستعار فهو يعني اسما مختلفا (وهميا) يختاره المؤلف من أحد نسبة مصنفه إليه دون الكشف عن شخصيته الحقيقية ونشر المصنف باسم مغفل أو باسم مستعار هي ظاهره شائعة عند كتاب الصحف والمجلات لأسباب قد تتعلق بالمؤلف أحياناً في كونه يريد المحافظة على سلامته الشخصية؛ لأنه يتناول موضوعات سياسية أو مهمة أو حساسة قد تعرضه لخطر إذا نشرها باسمه الحقيقي[٢٤].

وقد أشار المشرع اليمني إلى المؤلف الذي ينشر المصنف باسم مغفل أو باسم مستعار في نص المادة (٢) من القانون رقم(١٥) لسنة ٢٠١٢م بأنه: (.....، ويعتبر مؤلفاً الشخص الذي ينسب إليه المصنف سواءً كان بذكر اسمه على المصنف أو بأي

[٢٣] -د/ عبدالله مبروك النجار، المرجع السابق ص ١٨٧

[٢٤]- د/ مصطفى ياسين محمد الاصبحي، أحكام حق المؤلف ذات الطابع الدولي والقوانين الوضعية والاتفاقيات الدولية ، مركز الصادق ، صنعاء ، عام ٢٠٠٩م ص٢٢٧.

طريقة أخرى) وكذلك نص المادة (١٣/٦) من ضمن الحقوق الأدبية للمؤلف الحق في نسبة المؤلف إليه باسمه الحقيقي أو باسم مستعار أو بدون ذكر الاسم[٢٥].

أما القانون المصري فقد نصت المادة (١٣٨) المؤلف هو: الشخص الذي يذكر المصنف، ويعد مؤلفاً للمصنف من يذكر اسمه عليه أو ينسب اليه عند نشره باعتباره مؤلفاً مالم يقم الدليل على غير ذلك.

ويعتبر مؤلفاً للمصنف من ينشره بغير اسمه أو باسم مستعار بشرط أن لا يقوم شك في معرفة حقيقة شخصه، فإذا قام الشك اعتبر ناشر أو منتج المصنف سواءً كان شخصاً طبيعياً أم شخصاً اعتباريا ممثلاً للمؤلف في مباشرة حقوقه الى أن يتم التعرف على حقيقة شخص المؤلف [٢٦].

ويترتب على نشر المصنف باسم مستعار أو مغفل ما يلي: -

١- أن للمؤلف الحق في الكشف عن شخصيته، وعن اسمه الحقيقي بإثبات شخصية وحده دون غيره، ومتى يشاء سواء عن طريق الإعلان في الصحف والمجلات، أو بسحب المصنف من التداول وإعادة نشره من جديد باسمه الحقيقي.

٢- أن للمؤلف وحده الحق في الدفاع عن حقوقه، ودفع أي اعتداء على المصنف.

٣- تبدأ مدة الحماية لهذا المصنف بداية السنة الميلادية التالية لأول نشر للمصنف، وإذا كشف المؤلف شخصيته تكون مدة حمايته طيلة حياته ولمدة خمسين عاما بعد وفاته[٢٧].

٤- تعتبر جميع الالتزامات والحقوق والعقود التي أبرمها المؤلف مع الناشر أو الناشر مع الغير التي ترتبت على نشر المصنف باسم مستعار أو مغفل صحيحه ونافذة في حق المؤلف الحقيقي.

[٢٥] - نصوص المواد(٢،٦) من القانون اليمني رقم (١٥) لسنة ٢٠١٢م .

[٢٦] -نص المادة (١٣٨) من القانون المصري رقم (٨٢) لسنة ٢٠٠٢م.

[٢٧] - نصوص المواد (٣١، ٣٤) من القانون اليمني رقم (١٥) لسنة٢٠١٢م.

الفرع الثاني

تعـدد المــؤلـفين

في هذا الفرع سيتم التطرق الى المؤلف في المصنف الجماعي والمؤلف المشترك والمؤلف الموظف أو (الأجير) كالاتي:

أولاً: المؤلف في المصنف الجماعي: -

هو المصنف الذي يضعه أكثر من مؤلف بتوجيه شخص طبيعي أو اعتباري يتكفل بنشره باسمه وتحت إدارته، ويندمج عمل المؤلفين في الهدف العام الذي قصد إليه هذا الشخص، بحيث يستحيل فصل عمل كل مؤلف وتميزه على حده [٢٨]، كما هو الحال بالنسبة للموسوعات العلمية ودوائر المعارف.

فالمشرع اليمني قد عرف ((المصنف الذي يصنفه أكثر من مؤلف بمبادرة وتوجيه من شخص طبيعي أو اعتباري يتكفل بنشره باسمه وتحت إدارته، ويندمج عمل المؤلفين له في الهدف الذي قصد الوصول اليه هذا الشخص)).

مثال على ذلك ما تقوم به دولة، أو مؤسسة أو هيئة معينه، مثلاً: أن تقوم وزارة التربية والتعليم بتكليف لجنة من المختصين بوضع كتاب لمادة معينة بغرض تدريسها بالمدارس، تحت إدارة واشراف الوزارة وباسمها هنا يكون للوزارة الحق وحدها في مباشرة حقوق التأليف على الكتاب.

وقد نصت المادة (١٩) من القانون اليمني: أن ((تكون الحقوق المالية على المصنف الجماعي للشخص الطبيعي أو الاعتباري الذي بادر وتتحمل المسؤولية في إنجاز ونشر المصنف باسمه وتحت إدارته)) [٢٩].

أما فيما يتعلق بتحديد شخص المؤلف في حاله المصنف الجماعي، يمكننا القول بأن المؤلف هنا لشخص الطبيعي او المعنوي الذي قام بعملية التوجيه وتولي نشر هذا المصنف تحت إدارته، وبالتالي يكون لهذا الشخص وحده الحق في مباشرة حقوق المؤلف

[٢٨] - المادة (١٣٨) من القانون المصري رقم (٨٢) لسنة ٢٠٠٢م.

[٢٩] - المواد (٢٠، ١٩) من القانون اليمني رقم (١٥) لسنة ٢٠١٢م.

دون من قام بتأليف المصنف، وهذا يعتبر حكماً قد خرج به المشرع عن مقتضى القواعد العامة التي تعطي الحق للمؤلف الذي قام بمجهوده بابتكار المصنف [٣٠].

ثانياً: المؤلف المشترك: -

يعرف الفقه العربي المصنف المشترك بأنه المصنف الذي يتعاون في إبداعه شخصيات أو أكثر، بحيث يمكن تميز عمل أحدهما أو كل منهم عن بقية المؤلفين ولا يخضعون في عمله لرقابة أو توجيه أو تنظيم من قبل شخص طبيعي أو معنوي[٣١].

ويعرفه المشرع اليمني بأنه: المصنف الذي يشترك في تأليفه أكثر من مؤلف سواء أمكن فصل عمل كل منهم أو كان الفصل متعذرا [٣٢].

أما المشرع المصري فقد عرف المصنف المشترك: بالمصنف الذي لا يندرج ضمن المصنفات الجماعية ويشترك في وضعه أكثر من شخص سواء أمكن فصل نصيب كل منهم فيه أو لم يمكن[٣٣].

وبعد مطالعتنا للنصوص السابقة فإنه لابد أن يتوافر للمصنف المشترك شرطان أساسيان هما: -

١- المصنف المبتكر: -

وهو المصنف الذي يشارك في إبداعه أكثر من شخص ومساهمات المؤلفين يعملون بشكل مشترك على إبداع مصنف متميز بالمشاركة التي تضفي على المصنف طابعاً متميزاً، أي أن يكون الاشتراك مساهمة فعلية وليست مساهمة عرضية في أعمال مادية لا تدخل ضمن الابتكار.

٢- فكرة مشتركة: -

تتجه نحو تحقيق المصنف وبصمة شخصية تعبر عن فكرهم، وأن يلزم وجود فكرة في أذهان جميع المشتركين، بحيث يكون هناك تبادل في وجهات النظر، فالفكرة المشتركة تمثل العنصر النفسي لهذه المصنفات وتظهر من حيث الإلهام المشترك للعمل [٣٤].

---

[٣٠] - د/ شحاته غريب شلقامي ، ص١١٥-١١٦ .

[٣١]-أ/ زينب عبدالرحمن ،مرجع سابق ص٨١، مشيراً الى د/ سهيل الفتلاوي، حق الملكية في القانون اليمني، الناشر سنة الطبع بدون ص٢٤١

[٣٢] - نص المادة (٢) من القانون اليمني رقم (١٥) اسنة ٢٠١٢م.

[٣٣] -نص المادة (١٣٨) من القانون المصري رقم (٨٢) لسنة ٢٠٠٢م .

والمصنف المشترك ينقسم إلى نوعين: -

١- المصنف المشترك الذي يمكن فصل نصيب كل مؤلف: -

وفي مثل هذا النوع من المصنفات المشتركة يمكن فصل نصيب كل مؤلف، وبالتالي يكون لكل مؤلف الحق في استقلال الجزء الذي قام بتأليفه دون أن يضر ذلك باستغلال المصنف المشترك، وفي الواقع في حالة عدم وجود اتفاق بين المؤلفين لا نجد أية صعوبة لان الاتفاق سيحدد طريقة الاستقلال، لكن تكمن الصعوبة في حالة وجود اتفاق، وهنا يكون لكل مؤلف الحق في استغلال الجزء الذي قام بتأليفه، وله الحق في رفع الدعاوي في حالة الاعتداء على حق المؤلف [٣٥].

٢- المصنف المشترك الذي لا يقبل الفصل: -

وفي هذا النوع من المصنفات المشتركة، لا يمكننا فصل نصيب كل مؤلف، وفي هذه الحالة يعتبر الجميع أصحاب المصنف بالتساوي إلا إذا كان هناك اتفاقاً على غير ذلك، ويجوز للمؤلفين أن يتفقوا على تخويل أحدهما حق استغلال المصنف، أما في حالة عدم وجود الاتفاق فيجب اتفاق الجميع على مباشرة حقوق المؤلف، وفي حالة الاعتداء على حق المؤلف يجوز لكل واحد من المؤلفين رفع الدعاوي في المحاكم لرد هذا الاعتداء [٣٦].

أحكام الحقوق المالية على مؤلف المصنفات الجماعية والمشتركة في القانونين اليمني والمصري: -

أن القانون اليمني قد بين أحكام الحقوق المالية على مؤلف المصنفات الجماعية والمشتركة على النحو التالي:

أ- إذا اشترك أكثر من شخص في تأليف مصنف مشترك اعتبر الجميع مالكين للمصنف بالتساوي مالم يتفق كتابه على خلاف ذلك.

---

[٣٤] - د/ شحاته غريب شلقامي ، المرجع السابق ص١٢٩ ، مشيراً لنص المادة (١٧٣) من القانون المصري رقم (٨٢) لسنة٢٠٠٢م

[٣٥] - د/ شحاته غريب شلقامي ، المرجع السابق ص١٢٩

[٣٦] - د/ شحاته غريب شلقامي ، مرجع سابق ، وكذا نص المادة (١٧٣) من القانون المصري رقم (٨٢) لسنة٢٠٠٢م.

ب- لا يجوز لأي من الشركاء في تأليف المصنف المشترك الانفراد في ممارسة حقوق المؤلف على المصنف إلا بموافقة جميع شركائه في التأليف، وإذا حصل خلاف بينهم يكون الفصل بينهم ودياً أو قضائياً عبر المحكمة.

ج- يحق لأي من الشركاء في تأليف المصنف المشترك رفع الدعاوي عند وقوع اعتداء على حق المؤلف كما نصت المادة (١٧) من القانون اليمني ((إذا توفي أحد الشركاء في تأليف المصنف المشترك، ولم يكن له وارث شرعي أو لم يوص بها للغير يؤول نصيبه إلى باقي الشركاء أو إلى ورثتهم ما لم يتفق على خلاف ذلك، مالم تكن هناك مصلحة عامة تقتضي تدخل المحكمة)).

وإذا اشترك اكثر من شخص في تأليف مصنف مشترك، وكان من الممكن فصل عمل كل مؤلف وتميزه على حده، جاز لأي منهم التفرد في استغلال العمل الذي تولى تأليفه، وتكون الحقوق المالية على المصنف الجماعي للشخص الطبيعي أو الاعتباري الذي بادر وتحمل المسؤولية في إنجاز ونشر المصنف وباسمه وتحت إدارته [٣٧].

أما في القانون المصري نظم المشرع هذه الأحكام في المادة (١٧٤) من القانون رقم(٨٢) لسنة ٢٠٠٢م حيث نص على أنه: ((إذا اشترك أكثر من شخص في تأليف مصنف بحيث لا يمكن فصل نصيب كل منهم في العمل المشترك، اعتبر جميع الشركاء مؤلفين للمصنف بالتساوي فيما بينهم مالم يتفق كتابه على غير ذلك، وفي هذه الحالة لا يجوز لأحدهم الانفراد بمباشرة حقوق المؤلف إلا باتفاق مكتوب بينهم، فإذا كان اشتراك كل من المؤلفين يندرج تحت نوع مختلف من الفن كان لكل منهم الحق في استغلال الجزء الذي ساهم به على حده، بشرط ألا يضر ذلك باستغلال المصنف المشترك مالم يتفق كتابه على غير ذلك، ولكل منهم الحق في رفع الدعاوي عند وقوع اعتداء على أي حق من حقوق المؤلف، وإذا مات أحد المؤلفين الشركاء دون خلف خاص أو عام يؤول نصيبه إلى باقي الشركاء أو خلفهم مالم يتفق كتابه على غير ذلك))[٢].

ومن خلال مقارنتنا لنصوص القانون اليمني والقانون المصري في أحكام الحقوق المالية على مؤلف المصنفات الجماعية والمشتركة لوحظ الآتي:

[٣٧] - نصوص المواد (١٦، ١٧) من القانون اليمني رقم (١٥) لسنة ٢٠١٢م.
٢-- نص المادة (١٧٣) من القانون المصري رقم (٨٢) لسنة ٢٠٠٢م.

أورد المشرع المصري في نص المادة (١٧٤) محدداً نوع الفن الداخل تحت ذات المصنف وهذا يوحي أن المصنف يندرج تحت نوع مختلف من الفن، وأنه اذا لم يندرج تحت نوع مختلف من الفن فليس لكل منهم الحق في الاستغلال.

بينما يختلف الأمر في القانون اليمني فقد حدد ميزة عن القانون المصري فلم يحدد نوع الفن الداخل تحت ذات المصنف، ولم يحدد أن تكون المساهمة من ذات الفن فقد يكون مؤلفاً مشترك كاتب في الطب – وآخر في القانون، أو أن يكون مؤلف أدبي مشترك أو كمسرحية وهكذا يلاحظ أنه في تعبير المشرع المصري قصور في الصياغة القانونية لهذه المادة، ونحن نرى بدورنا أنه على المشرع المصري إعادة النظر في تعديلها.

٣- المؤلف الموظف ((أو الأجير)): -

يعرف المؤلف الموظف بأنه الشخص الذي يبتدع مصنفاً مقابل أجر أو مرتب بموجب عقد عمل أو عقد بمرتب.

المؤلف الموظف: هو الشخص الذي يبتدع مصنفاً بموجب عقد عمل أو خدمة لحساب رب العمل مثل: الصحفيين ـ المراسلين ـ الموظفين الحكوميين ـ المشتغلين في البحث، أساتذة الجامعات والمعاهد العلمية.

ويجب منا في متناول هذا الموضوع تحديد أطراف العلاقة في مسألة المؤلف الموظف، وملكية حقوق المؤلف التي ينتجها المؤلف الموظف في إطار شغل الوظيفة، والمكافآت التي تدفع للمؤلف الموظف مقابل شغل ابتداعه للمصنف.

أولا: مضمون أطراف العلاقة في المصنفات التي ينتجها المؤلف الموظف: -

١- رب العمل: - هو الشخص الطبيعي أو المعنوي الذي يقوم بتوظيف مؤلف لإنتاج مصنف معين، مقابل أجر بموجب عقد بمرتب.

٢- المصنف الذي يقوم إنتاجه في اطار شغل الوظيفة، ونفرق بين:

أ- المصنفات التي ينتجها الموظف ولم يتم التعاقد عليها بالذات مع رب العمل، ويكون للمؤلف في هذه الحالة كامل الحقوق المالية والأدبية على المصنف، فيكون له الحق في استغلاله بالطريقة التي يراها مناسبة مالم يتضمن عقد العمل أو التعين في الوظيفة نصوصاً تقضي بغير ذلك.

ب- المصنفات التي ينتجها الموظف بحكم وظيفته التي تقتضي طبيعتها القيام بمثل هذه الاعمال بموجب عقد العمل لا يكون للموظف أي حقوق مالية أو أدبية على هذا

المصنف ما دام طبيعة وظيفته تقتضي القيام بمثل هذه الاعمال بموجب عقد عمله أو تعينه(٣٨).

- ويقول الدكتور السنهوري: أن المؤلف الموظف بناء على عقد العمل أو المقاولة لا تسلبه حقه الأدبي على مصنفه، ولا يصح وفقاً لتلك الرابطة الذي بينهما أن يصبح رب العمل هو المؤلف بموجب عقد العمل أو المقاولة، ولا يصح أن يكون له حق أدبي عليه.

ثانياً: ملكية حقوق المؤلف في المصنفات التي ينتجها المؤلف الموظف: -

استقرت التشريعات الدولية الخاصة بحق المؤلف وكذا قوانين حق المؤلف والدراسات التي تمت في هذا المجال أن هناك ثلاث اتجاهات حول هذه الحقوق ما اذا كانت هذه الحقوق تعود للمؤلف الموظف أم تعود لرب العمل.

١- الفريق الاول: ذهب بأن حقوق المؤلف المتعلقة بأحد المصنفات التي أنتجت مقابل أجر تعتبر مملوكه للموظف المؤلف مالم ينص عقد العمل على كتابة غير ذلك.

٢- الفريق الثاني: ذهب بأن حقوق المؤلف على المصنفات التي ينتجها المؤلف الموظف تعتبر ملكاً لرب العمل.

وسندُهم في ذلك أن رب العمل هو الذي يواجه إنتاج المصنف الذي ينتجه المؤلف الموظف ويدفع تكاليف إنتاجه وبالتالي هو الذي ينبغي أن يجني أي مزايا اقتصادية تترتب على هذا الإنتاج(٣٩).

٣- الفريق الثالث: ويذهب الى أن حقوق المؤلف على المصنف التي ينتجها المؤلف الموظف تعتبر مملوكه للطرفين رب العمل، والمؤلف الموظف.

وعلى الرغم من أن الفريقين السابقين يمثلان أغلبية قوانين حق المؤلف، إلا أن هناك بعض القوانين تركت لطرفي عقد العمل حرية الاتفاق على أن تعود ملكية حق المؤلف الى رب العمل أو المؤلف الموظف، أو لهما معاً على حداً سواء، والنص على هذا الاتفاق في العقد.

(٣٨) -د/ نواف كنعان ، حق المؤلف والنماذج المعاصرة لحق المؤلف ووسائل حمايتها ، الطبعة الثالثة لعام ٢٠٠٠م ص٣٢٠ ، ٣٢١

(٣٩) - د/ اسامه احمد بدر ، العمل الفكري في احكام قانون العمل ، دار الجامعة الجديدة ٢٠١١م ص٣٢ – ٣٠ وكذا د/ نواف كنعان ، نفس المرجع السابق ص٣٢٠ – ٣٢١

والخلاصة من كل ذلك فإنه يؤول إلى رب العمل من حقوق التأليف غير الحقوق المالية التي يتنازل عنها المؤلف الموظف، أما الحقوق الأدبية فإنه يحتفظ بحقه في ذكر اسمه على المصنف الذي أنتجه، وحقه في احترام هذا المصنف، باعتبار هذين الحقين لهما أهمية خاصة، ويمثلان عنصرين هامين من عناصر حق المؤلف، أما حقه في سحب المصنف من التداول، وحقه في تقرير المصنف الذي أنتجه، فرغم أنهما يظلان مقررين له، إلا أنه من الناحية العملية يصعب ممارستها في إطار عقد العمل، وبالنسبة لحق تعديل المصنف فأصل أن يشاركه المؤلف الموظف في ذلك، ألا أن بعض الاعتبارات التي تتعلق بتأكد رب العمل على صحة المعلومات أو صحة الاحصاءات قد تدفعه لاستعمال أشخاص مختصين غير المؤلف لإنجازها[٤٠].

أما المشرع اليمني والمصري لم يتعرض إلى ذلك ونرى: أن على المشرع اليمني والمصري إضافة المصنفات التي يبتكرها المؤلف الموظف أو الأجير بموجب عقد عمل وتحديد صاحب الحق في المصنف وإضافة الموظف العام في حقه في الابتكار الذي يتوصل إليه خلال عمله لدى الدولة.

المبحث الثاني

الجدل الفقهي حول الطبيعة القانونية[٤١] لحق المؤلف

يثور الجدل الفقهي حول تحديد الطبيعة القانونية لحق المؤلف، ويرجع الكثير من الفقهاء إلى الصعوبات التي واجهتهم في تحديد الطبيعة القانونية لهذه الحقوق، إلى كونها لا تتدرج في التقسيم التقليدي للأموال والحقوق من جهة، والتي كونها تشتمل على عنصرين متعارضين أحدهما مادي والآخر أدبي، من جهة أخرى يضاف إلى ذلك صعوبة أخرى نابعة من كون هذه الحقوق تشترك مع حق الملكية في بعض الخصائص، وتختلف عنه في خصائص أخرى، كما أنها تشترك مع حقوق شخصية في بعض الخصائص، وتختلف عنه في خصائص أخرى، الأمر الذي يضفي عليها طبيعة خاصة يصعب تعريفها وتحديدها.

(٤٠) - د.((عبد الله مبروك النجار، مرجع سابق ص١٩١))
٢- د. ((علوي صالح العلوي ، الطبيعة القانونية للسفعة درامه مقارنه في القانون اليمني والاردني ،بحث منشور خارجيا في مجله قانون واعمال، مجله قانونيه متخصصه محكمه ، المغرب ،العدد(١١)لسنه ٢٠١٨م ص٩.

وقد تباينت حيرة الفقه وترددت في تكييف هذه الحقوق، وفي موضوعها بين الحقوق في الاختلاف على تسميتها وطبيعتها، فعرفها تارة باسم ((الملكية الأدبية الفنية))، وعرفها حديثا باسم ((الحقوق المعنوية او الأدبية)) وعرفها أخيرا باسم ((الحقوق الذهنية))[٤٢].

وقد تباينت الآراء وتعددت المذاهب في تحديد الطبيعة القانونية لحق المؤلف، هل هي حق ملكية أم حقوق شخصية، أوهي مزيج من الحقوق الشخصية وحقوق الملكية، ونجمل هذا الجدل الفقهي في مطلبين: -

المطلب الاول: نظرية حق المؤلف ((حق الملكية)).

المطلب الثاني: النظرية الشخصية ونظرية الازدواج.

المطلب الاول: نظرية حق المؤلف (حق الملكية)

وسنتناول في هذا المطلب مضمون هذه النظرية وكذا أساسها والانتقادات التي وجهت إليها وذلك في فرعين: -

الفرع الاول: مضمون نظرية حق المؤلف حق الملكية.

الفرع الثاني: الأساس الذي استند إليه أنصار هذه النظرية والانتقادات التي وجهت إليها.

الفرع الاول: مضمون نظرية حق المؤلف حق الملكية

ذهب أصحاب هذه النظرية الى أن حق المؤلف حق الملكية وله نفس خصائصها من حيث إمكانية التصرف دون منازعه ولا احتجاج له على الكافة [٤٣]، وأن حق المؤلف نوع من حق الملكية بكل مميزات هذا الحق فهو يقبل التنازل عنه، وهو مؤبد وله حرمة كحرمة الملك تماماً، ويمكن اكتسابه بالتقادم، ويكون عنصراً من عناصر الذمة المالية فيمكن الحجز عليه واستعمال الدعاوي المباشرة لحفظه[٤٤].

(٤٢) - المستشار الدكتور انور طلبه، حماية الملكية الفكرية، المكتب الجماعي الحديث– الإسكندرية بدون سنه طبع ص ٧١.

(٤٣) -د/ حسن الطوالبه ، جرائم الاعتداء على الحاسب الالي ضمن قانون حق المؤلف، بحث منشور عبر الموقع www.policems.gov.bh تاريخ الدخول ٢٠١٥/١/١٨م ص٨

(٤٤) - أ/ زينب عبدالرحمن ، مرجع سابق ص١٨,١٩

ورأي (بؤبيه) أن مصدر حق الملكية وحق المؤلف هو مصدر واحد الا وهو العمل وأن كانت الملكية تتكون في شكلها العادي من حيازة شيء كان موجوداً من قبل في شكل معين.

حيث يقوم المالك بعد ذلك بحيازته، بينما الامر يتعلق هنا بخلق شيء لم يكن موجوداً وهو شيء شخصي لم يكون جزءاً من المبدع[٤٥].

وإزاء هذا التناقض حاول أحد الفقهاء القول إن القواعد العامة للملكية لن تطبق بشكل كامل على حق المؤلف، بحيث تشمل حق المؤلف وتوسيع نطاق الاشياء التي ترد على الملكية بحيث تشمل الأشياء المعنوية[٤٦].

الفرع الثاني: الأساس الذي استند اليه أنصار نظرية حق المؤلف (حق الملكية) والانتقادات التي وجهت إليها

أولاً: الأساس الذي استند اليه أنصار نظرية حق المؤلف (حق الملكية) نجمله في الآتي: -

١- أن من تحليل حق المؤلف تحليلاً دقيقاً يتضح أن جميع عناصر حق الملكية متوفرة، من استعمال واستغلال وتصرف ولو بأشكال مختلفة.

٢- أن حق الملكية وحق المؤلف هو مصدر واحد ألا وهو العمل، فالأول ناشئ عن عمل مادي بينما الآخر ناشئ عن عمل فكري[٤٧].

٣- أن حق الملكية نابع من قيام المؤلف بنشر مصنفه إلى العامة، لذا فقد اشترك المجتمع في ملكيته، وهو بذلك قد قام بإنماء الثروة الفكرية للمجتمع بمقابل ذلك خوله المجتمع بعض الحقوق لفترة معينة فقط[٤٨].

٤- لا يعتبر التأبيد من جوهر حق الملكية، بل من بقايا صفة الاطلاق.

---

[٤٥] - د/ تركي صقر، حماية حقوق المؤلفين بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد العرب دمشق سنة ١٩٩٦ ص٢٩

[٤٦] - أ/ زينب عبدالرحمن ، مرجع سابق ص١٥-١٦

[٤٧] - أ/ زينب عبدالرحمن ، مرجع سابق ص١٨-١٩

[٤٨] - د/ تركي صقر ، مرجع سابق ص٢٩

ثانياً: الانتقادات التي وجهت لنظرية حق المؤلف حق الملكية نوجزها كالآتي: -

١- تتنافى طبيعة حق المؤلف مع طبيعة الملك، فالملك دائم ومؤبد ولا يقبل التوقيت، أما طبيعة حق المؤلف مؤقته بحياة المؤلف وبعدد من السنين بعد وفاته.

٢- أهملت الجانب الادبي للمؤلف بصورة مباشرة، لتعارض هذا الحق مع خصائص حق الملكية في الغالب.

لذا وقعت هذه النظرية في الخطأ الذي وقعت فيه النظرية الشخصية، لأنها لم ترد جانباً واحداً من الحق [٤٩].

٣- من المعروف أن حق الملكية يفترض شيئاً مادياً يرد عليه، فعندما نقول حق المؤلف لا نقصد الدعامة التي من خلالها يعبر عن الفكر أو الإبداع الذهني بل أننا نقصد الفكر نفسه، وهو شيء غير مادي وبالتالي لا يتصور أن يكون محدداً لحق الملكية[٥٠].

المطلب الثاني

النظرية الشخصية ونظرية الازدواج

وسنقسم هذا المطلب الى فرعين على النحو الاتي: -

الفرع الاول: النظرية الشخصية.

الفرع الثاني: نظرية الازدواج.

الفرع الاول: النظرية الشخصية

نظرية حق المؤلف حقوق شخصية: -

ظهرت لدى الفقه الفرنسي نظرية حق المؤلف من الحقوق الشخصية، وتقوم هذه النظرية على اعتبار الحقوق العامة حقوق شخصية.

أولا: مضمون النظرية: -

إن اول فقيه سلط الضوء على الجانب الشخصي هو الفقيه الفرنسي (برتو) الذي دافع عنها بقوة وهاجم حق الملكية لخلوه من شرطين أساسيين هما:

[٤٩] - أ/ زينب عبدالرحمن ، مرجع سابق١٨-١٩
[٥٠] - د/ شحاته غريب، مرجع سابق ص١١١

الحيازة والمحل فهما غير موجودين في حقوق المؤلف، وأضاف أنه لا يمكن للدائنين الحلول محل المؤلف في ممارسة هذا الحق لأنه لا يقبل الانقسام عن شخصية المبدع.

واعتمد ((برتو)) في تأسيس نظريته على أن المؤلف ليس مالاً وإنما أفكار، وهي جزء من الشخصية التي تصورها وتستمد منه شهادة أصلها، وعليه تنشأ رابطة بينهما ولذلك يجب أن تكون لهذه الأفكار حرمة وصيانة كالتي للشخص نفسه.

وذهب إلى تشويه المصنف للمؤلف أو الفنان ليس اعتداء على حالهما، وإنما هو اعتداء يمس الشرف والاعتبار، وبذلك يمكنهما في حال مس مصنفهما أن يقيما دعوى شبيهه بالدعوى التي تحمي الشرف والاعتبار[٥١].

ثانياً: المآخذ التي وجهت لنظرية حقوق المؤلف "حقوق الشخصية": -

لكونها لم تقدم التكيف الصحيح لحق المؤلف قد تعرضت هذه النظرية لانتقادات كثيرة، فقد وقعت في تناقض حين بالغت في الحق الأدبي، ومن أبرز الانتقادات التي تعرضت لها هذه النظرية: -

١- أنها غير متوازية من حيث تغليبها الجانب الأدبي على الجانب المادي.

٢- انحازت عن الصواب عندما أكدت حرية العمل للمؤلف، فحماية المؤلف ليست إلا شكلاً من أشكال حماية الحرية الفردية.

٣- لا تتفق هذه النظرية مع الواقع، لأنها تقوم على مبدأ أساس هو عدم قابلية حق المؤلف للحوالة بعد أن ربطته بشخصية المؤلف.

٤- دمج بين الابتكار الذهني وبين نتاجه وتخلط بين العمل وما يؤدي إليه من نتاج.

٥- لم تستطع أن تبرر كيف ينتقل هذا الحق بعد وفاة صاحبه وفناء شخصيته ما دام متصلاً بهذه الشخصية وخاصه قبل النشر.

٦- عجزت عن تبرير مكان الحجز على حق المؤلف والتنازل عنه للغير، وسلكت مبررات غير منطقية في سبيل تبرير جواز الحجز، فيذكرون أن الحجز على حق المؤلف بعد وفاته جائز[٥٢].

---

[٥١] -د/ تركي صقر ، مرجع سابق ص٢٧-٢٨

[٥٢] - أ/ زينب عبدالرحمن ، مرجع سابق ص٢٤

الفرع الثاني: نظرية الازدواج

يتضح لنا مما سبق أن كلتا النظريتين السابقتين لم تستطع عن تقديم التكيف الصحيح للطبيعة القانونية لحق المؤلف، لذلك ظهرت النظرية الازدواجية والتي أخذت بازدواج حق المؤلف، وتقوم هذه النظرية على مبدأ أن حق المؤلف حقان، حق أدبي وحق مالي، ويعود الفضل في إخراج هذا المبدأ أو جعله موجوداً إلى محكمة النقض الفرنسية، حيث نادت لأول مرة بازدواج حق المؤلف، معلنة أن ذلك الحق يتكون من عنصرين هما الحق المانح للاستقلال الذي يخول بواسطة القانون للمؤلف وبعد وفاته لأسرته، وهو مال يدخل في التعامل ويخضع عندما لا يوجد نص عكسي لقواعد القانون المدني بشرط أن تكون متفقه مع الطبيعة الخاصة لهذا الحق.

ثم وضحت المحكمة إلى جانب ذلك تمتع المؤلف بالحق الأدبي الذي يخوله السلطة في تعديل مصنفه أو سحبة بشرط ألا يضر بالغير عند ممارسة هذا الحق، ومن هنا نشأت هذه النظرية التي سيطرت على الفقه منذ ذلك الوقت[٥٣].

وعلى هذا الأساس سوف نتناول في هذا الفرع النظرية الازدواجية من حيث مضمونها، وتقديرها وموقف الاتفاقيات الدولية منها وموقف القانون اليمني والمصري من ذلك.

أولا: مضمون النظرية:-

يرى أنصارها أن لحق المؤلف طبيعة مزدوجة خاصة وتتكون من الحق الأدبي، وهو الذي يرتبط بشخص المؤلف، والحق المالي وهو الذي ينتفع به المؤلف مالياً بثمرة نتاج ذهنه، إلا أن كل حق من هذه الحقوق مستقل عن الجانب الآخر[٥٤].

ثانيا: تقدير نظرية الازدواج: -

في الفقه: لقد استحوذت نظرية الازدواج على تأييد الفقه في كل من فرنسا ومصر وكذا في اليمن، وقد أيد هذه النظرية عدد كبير من الفقهاء وعلى رأسهم الفقيه عبدالرزاق السنهوري حيث كيف الحق الأدبي على أنه من الحقوق الشخصية، والذي لا يقبل التنازل عنه والذي يبقى بعد وفاة المؤلف حتى لو انقضت المدة التي حددها القانون للحق المالي،

(٥٣) - د/ تركي صقر ، مرجع سابق ص ٣٠-٣١ ، أ/ زينب عبدالرحمن ، مرجع سابق ص٢٤ هامش.
(٥٤)- أ/ زينب عبدالرحمن ، مرجع سابق ص٢٥

ويرى السنهوري أن حق المؤلف ليس حق ملكية إنما هو حق عيني أصلي مستقل عن حق الملكية بما له من مقومات خاصه يقع على شيء غير مادي[٥٥].

بينما يرى العلامة الدكتور عبدالرشيد مأمون أنه حقاً عيناً على منقول ويرى أن الأجدر بالسنهوري أن يركز جيداً في طبيعة حق المؤلف، إذا كان هناك حق أدبي وآخر مالي، وأن كلاً منهم مستقل عن الآخر.

كما أن تكيفه للحق المالي على أنه حق عيني على منقول ينقصه الكثير من الدقة لأن الحقوق العينية وردت على سبيل الحصر وليس على سبيل التمثيل، ولم يذكر هذا الحق من ضمنها، كما أن حق المؤلف لا يقع على أموال مادية وإنما محله شيء فكري[٥٦].

وفي مصر انقسم الفقه في الرأي بازدواج حق المؤلف حول الحق المالي فهناك فريق يرى أن الحق المالي هو حق ملكية حقيقية حتى إذا كان التأييد له قليلاً، وهناك من يرى أن حق احتكار الاستقلال في الجانب المادي.

ونحن بدورنا كباحثين نميل الى رأي الدكتور عبدالرشيد مأمون بأن نظرية الازدواج هي التي لاقت تأييد الفقه والقضاء وهي التي أصابت الحقيقة، لأن اكتساب هذا الحق لا يتوقف على استكمال أي اجراءات شكلية مثل الإبداع لان الإبداع مظهر كاشف للحق وليس منشئ له، وهناك فرق بين المظهر الكاشف والمنشئ، كما أن مدة حماية حقوق المؤلف تمتد طول مدة حياته ولعدد من السنين بعد وفاته [٥٧].

ولكن هذه الازدواجية لا تعني المساواة بين الحق المالي والحق الأدبي، فالحق الأدبي يظل في منزلة أعلى من الحق المالي لعدم اتصاله بالمادة بل بالفكر الإنساني، ويتمتع بعدة خصائص مغايره لتلك التي يتمتع بها الحق المالي [٥٨].

موقف الاتفاقيات الدولية: اتفاقية بيرن: -

إن أغلب الاتفاقيات الدولية أيدت هذه النظرية، فقد أيدتها اتفاقية بيرن، في نص المادة (٦) منشور صراحة ((على أنه وبغض النظر عن الحقوق المالية للمؤلف، بل وحتى بعد

---

[٥٥] - د/ عبدالرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني ، حق الملكية المجد ٨ منشاة دار المعارف الاسكندرية

[٥٦] - أ/ زينب عبدالرحمن ، مرجع سابق ص٢٦,٢٧

[٥٧] - أ/ زينب عبدالرحمن ، مرجع سابق ص٢٦-٢٧

[٥٨] - أ/ زينب عبدالرحمن ، مرجع سابق ص٢٦-٢٧

انتقال هذه الحقوق فإن للمؤلف أن يحتفظ بحق المطالبة بنسبة المصنف إليه أو كل مساس آخر بذات المصنف يكون ضاراً بشرفه وسمعته))[٥٩].

لم تعترف هذه الاتفاقيات إلا بحق الأبوة وحق احترام المصنف فقط، غير أنها وضعت قواعد عامة لتلك الحقوق الأدبية والمالية، واليمن ومصر عضوان في هذه الاتفاقية، فقد أخذتا بتلك النظرية ونصتا على ذلك في قوانينهما.

موقف القانون اليمني والمصري من نظرية الازدواج: -

بعد الانتهاء في تكييف الرأي الراجح للطبيعة القانونية لحق المؤلف إلى أنه حق مركب من نوع خاص أو من طبيعة مزدوجة وتتكون من عنصرين أساسيين: -

أولهما: العنصر الأدبي المعنوي، وثانيهما: العنصر المالي المادي.

وقد أخذ بهذه النظرية القانونان اليمني والمصري لحماية حق المؤلف بهذا التكيف الراجح، وذهب الى ايراد الطبيعة المزدوجة لمضمون حقوق المؤلف، فقد ذكر الدكتور سعد محمد سعد في كتابه [٦٠]- على أن حق المؤلف يخول صاحبة على مصنفه نوعيين من الحقوق: الأول (هو حق أدبي) والثاني (هو حق مالي).

والملاحظ أن القانون اليمني والمصري اتفقا في الأخذ بالطبيعة المزدوجة لحق المؤلف، ونص على أن حق المؤلف حقان: أحدهما أدبي، والآخر مالي.

[٥٩] -د/ شحاته غريب شلقامي ، مرجع سابق ص١١٣

[٦٠] - د/ سعد محمد سعد ، النظرية العامة للحق في القانون اليمني مكتبة ومركز الاديب- المنصورة عدن الطبعة الثانية العام ٢٠٠٤م ص٥٩

الخاتمة: -

لقد قدمنا في دراستنا هذه محاولة معرفة الطبيعة القانونية لحق المؤلف، باعتبار هذا الموضوع من الموضوعات المهمة سواء على المستوى الدولي أو على المستوى المحلي، والتي ظهرت في الأعوام الأخيرة تطوراً كبيراً على نحو صارت معه القواعد القانونية الحاكمة لحق المؤلف محل جدل.

ومن خلال مقارنتنا للقانون اليمني مع القانون المصري من خلال جميع الجوانب المتعلقة بحق المؤلف، ووفقاً لآخر التعديلات القانونية التي حدثت في كل من القانون اليمني والمصري على الرغم من حداثتهما المتطورة، إلا أن القانون اليمني رقم (١٥) لسنة ٢٠١٢م والمصري رقم (٨٢) لسنة ٢٠٠٢م قد اشتملا على نصوص تكفل للمؤلف حقه.

ومعرفة مدى التطور الحاصل لدى اليمن ومصر في مجال حقوق المؤلف، ومدى عزم كل من اليمن ومصر على الأخذ بعين الاعتبار التطورات التكنولوجية الجديدة.

وعليه نخلص إلى النتائج والتوصيات الآتية: -

أولاً: **النتائج**: -

١- ورد في المادة (٢) من القانون اليمني، والمادة (١٣٨) من القانون المصري العديد من التعريفات لبعض المصطلحات وترك البعض منها دون تعريف.

٢- أن المؤلف في الأصل هو الإنسان المبدع، وهو استثناء قد يتصرف إلى الشخص المعنوي، وهناك صور أخرى للمؤلف، فقد يكون منفرداً أو مشتركاً أو جماعياً.

٣- اتفق القانون اليمني والقانون المصري على أن الطبيعة القانونية لحق المؤلف (طبيعة مزدوجة).

٤- شمل القانون اليمني والمصري الحقوق المجاورة لحق المؤلف بالحماية ونظمها بجوار حق المؤلف.

٥- لم ينص القانون اليمني رقم (١٥) لسنة ٢٠١٢م على جواز اللجوء إلى الصلح أو التحكيم لحل المنازعات المتعلقة بحق المؤلف، عكس القانون المصري الذي ينص على ذلك في المادة (١٨٢) من القانون (٨٢) لسنة٢٠٠٢م.

ثانياً: التوصيات: -

١- تعدل المادة (٢) من القانون اليمني رقم (١٥) لسنة ٢٠١٢م بشأن حماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة بإضافة التعاريف التالية إليها: ((المكتب الوطني- قاعدة البيانات - الإدارة الجماعية - النسخة الخاصة - الملك العام)).

٢- ضرورة تطبيق وتفعيل وتنفيذ نصوص القانون في اليمن ومصر بصورة صحيحة وسليمة؛ للمحافظة على حقوق المؤلفين والناشرين.

٣- نوصي الباحثين والدارسين والدولة بالاهتمام بالملكية الفكرية بشكل عام، وحق المؤلف باعتباره موضوع من موضوعاتها بشكل خاص كونه من الموضوعات التي لم يطرق بابها.

٤- نوصي بضرورة اعتماد مقرر مادة الملكية الفكرية ((حق المؤلف)) ضمن المواد المقررة على طلاب الدراسات العليا في الجامعات اليمنية لما له من أهمية وفائدة علمية، خصوصاً على الطلاب المقبلين على تحضير مرحلتي الماجستير والدكتوراه.

٥- ضرورة إضافة المصنفات التي يبتكرها المؤلف الموظف أو الأجير بموجب عقد عمل أو تحديد صاحب الحق في هذه المصنفات.

قائمة المراجع:-

أولاً: الكتب القانونية: -

١-د/ أحمد صدقي محمود، الحماية الوقتية لحقوق الملكية الفكرية وفقاً للقانون(٨٢) لسنة ٢٠٠٢م، الطبعة الاولى ١٤٣٤هـ /٢٠٠٤م، الناشر دار النهضة العربية- القاهرة، ص٥

٢- د/ اسامه احمد بدر، العمل الفكري في احكام قانون العمل، دار الجامعة الجديدة ٢٠١١م

٣- د/ ادوار عيد، حق المؤلف والحقوق المجاورة في القانون اللبناني والقوانين العربية، الجزء الاول – حق المؤلف، طبعه صادره للمنشورات الحقوقية –بيروت- الطبعة الاولى العام ٢٠٠١م

٤- د/ انور طلبه، حماية الملكية الفكرية، المكتب الجماعي الحديث– الإسكندرية بدون سنه طبع.

٥-د/ تركي صقر، حماية حقوق المؤلفين بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد العرب دمشق سنة١٩٩٦م.

٦- د/ حسن الطوالبه، جرائم الاعتداء على الحاسب الالي ضمن قانون حق المؤلف، بحث منشور عبر الموقع www. policems. gov. bh تاريخ الدخول ٢٠١٥/١/١٨م

٧- أ/ زينب عبدالرحمن عقله سلفيتي، الحماية القانونية لحق المؤلف في فلسطين، دراسة مقارنة رسالة ماجستير جامعة النجاح الوطنية، لكلية الدراسات العليا في نابلس – فلسطين، تاريخ المناقشة ٢٠١٢/٨/٢م.

٨- د/ سعد محمد سعد، النظرية العامة للحق في القانون اليمني مكتبة ومركز الاديب- المنصورة عدن الطبعة الثانية العام ٢٠٠٤م.

٩- د/ سهيل الفتلاوي، حق الملكية في القانون اليمني، الناشر سنة الطبع بدون.

١٠- عبد الملك يحيى القطاع، مبادى وقواعد نظام الادارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة ومقترح مشروع تأسيسها في اليمن، الطبعة الاولى ٢٠١٢م، مركز عبادي للدراسات والنشر صنعاء، ص٩.

١١- د/ شحاته غريب شلقامي.

١٢- د/ عبدالله مبروك النجار الحق الادبي للمؤلف في الفقه الاسلامي والقانون المقارن، دار المريج للنشر السعودية الرياض للعام ٢٠٠٠م.

١٣- د/ عبدالله عبدالكريم عبدالله، الحماية القانونية لحقوق الملكية الفكرية على شبكة الانترنت دار الجامعة الجديدة، عام ٢٠٠٩م.

١٤- د/ عبدالوهاب عبدالله المعمري، حقوق المؤلفين من أعضاء هيئة التدريس في القوانين والمواثيق الدولية، بحث منشور في المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي العدد(١١) لسنة ٢٠١٣م.

١٥- د/عبدالرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، حق الملكية المجد(٨) منشاة دار المعارف الاسكندرية عام ٢٠٠٤م.

١٦- د/علوي صالح العلوي، الطبيعة القانونية للشفعة دراسه مقارنه في القانون اليمني ولأردني، بحث منشور خارجيا في مجله قانون واعمال، مجله قانونيه محكمه متخصصه، المغرب، العدد(١١) لسنه ٢٠١٨م.

١٧- د/ كمال سعدي مصطفى، رسالة دكتوراه بعنوان: الملكية الفكرية – حق الملكية الادبية والفنية، الجزء الاول الطبعة الاولى العام ٢٠٠٤م.

١٨- د/ محمد خليل يوسف ابو بكر، حق المؤلف في القانون، دراسة مقارنة، رسالة الدكتوراه المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع - لبنان- الطبعة الاولى عام ٢٠٠٨م.

١٩- د/ مصطفى ياسين محمد الاصبحي، أحكام حق المؤلف ذات الطابع الدولي والقوانين الوضعية والاتفاقيات الدولية، مركز الصادق، صنعاء، عام ٢٠٠٩م.

٢٠- د/ نواف كنعان، حق المؤلف والنماذج المعاصرة لحق المؤلف ووسائل حمايتها، الطبعة الثالثة لعام ٢٠٠٠م.

ثانياً: التشريعات: -

٢١- القانون اليمني رقم (١٥) لسنة ٢٠١٢م بشأن حماية حق المؤلف والحقوق المجاورة منشور في الجريدة الرسمية العدد (١٤) لسنة ٢٠١٢م.

٢٢- القانون المصري رقم (٨٢) لسنة ٢٠٠٢م بشأن حقوق الملكية الفكرية منشور في الجريدة الرسمية العدد (٢٢) في ٢ يونيو ٢٠٠٢م.

أحكام الأب مع ولده في النكاح والطلاق والخلع
"دراسة فقهية مقارنة"

د. عبد الحكيم بن عبد الله المطوع

ملخص البحث:

العنوان (أحكام الأب مع ولده في النكاح والطلاق والخلع "دراسة فقهية مقارنة")

تناولت فيه أحكام الأب مع ولده في أبواب النكاح والطلاق والخلع وانتهيت الى جملة من الأحكام والنتائج المزبورة أدناه:

- أن أبا المرأة مقدم على ابنها في ولاية نكاحها.
- وللأب تزويج ابنته البكر الصغيرة دون رضاها.
- وليس له تزويج ابنته البكر البالغ إلا برضاها.
- كما يستحب له استئذان ابنته البكر البالغ في النكاح عند من يرى جواز إجبارها عليه.
- وليس له تزويج ابنته الثيب الصغيرة حتى تبلغ.
- ولا ابنته الثيب البالغ حتى يستأمرها.
- وله أن يزوج ابنته بدون صداق مثلها.
- وله أنْ يزوج ابنه الصغير.
- ويحرم عليه نكاح ابنته، وزوجة ابنه، وابنته من الرضاعة، وموطوءة ابنه بشبهة، وابنته من الزنى، ومن زنى بها ابنه.
- وإذا اشترط شيئًا من صداق ابنته لنفسه فإنْ كان قبل العقد فهو لابنته وإنْ كان بعد العقد فهو له.
- وله طلاق زوجة ابنه الصغير إذا كان ثَمَّ مصلحة له.
- وله مخالعة زوجة ابنه الصغير إذا كان ثَمَّ مصلحة له.
- وله المخالعة عن ابنته الصغيرة من مالها إذا كان فيه مصلحة لها.

والله أعلم،،،

Rulings of the father with his son in marriage, divorce and divorce

"Comparative Fiqh Study"

Dr. Abdul Hakim bin Abdullah Al Mutawa

Research Summary:

Title (Rulings of the father with his son in marriage, divorce and divorce "comparative jurisprudence study(")

Which dealt with the provisions of the father with his son in the doors of marriage, divorce and divorce and ended up with a number of judgments and results are summarized below:

-The father of the woman is presented to her son in the state of marriage.

-The father marry his little virgin daughter without her consent.

-He has no marriage to his eldest daughter except with her consent.

-It is also mustahabb for the permission of his eldest daughter who is in the marriage at the time of the person who sees it as permissible to force her to do so.

-It is not for him to marry his daughter with a small tunic until she attends.

-nor his daughter, the adult son, until he orders her.

-He may marry his daughter without a friend like her.

-And he can marry his young son.

-It is forbidden for him to marry his daughter, his daughter's wife, and his daughter from breastfeeding, and his daughter is suspected of having committed adultery, and his daughter committed adultery.

-If he stipulated something of his daughter's friendship for himself, if he was before the contract is for his daughter, even if after the contract it is his.

-He has the divorce of the wife of his young son if he then interests him.

-He has to disobey his little son's wife if he then interests him.

-He has the right to dispose of his small daughter if she has an interest in her.

God knows.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين وعلى الآل والصحب أجمعين وبعد:

فقد امتن الله على عباده بنعمة الخلق والإيجاد، واستخلفهم بعمارة الأرض، وضمن لهم البقاء والتكاثر بالتزاوج عبر نظام أسري متين، أحاطه بجملة من الحقوق والواجبات لترعاه وتحفظه من التقصير فيه أو التعدي عليه، وقد عني الشرع المنزل بالأسرة قبل تكوينها وأثناء رابطة قيامها وبعد الفرقة، مما يعني بالغ شرفها وسنائها، كما حوت جملة من نصوص الوحيين أحكاما تخص هذه اللبنة الأساس في المجتمع، مبينة عظيم منزلتها وعلو درجتها، منشئة أحكاما تؤطرها، وآدابا تجملها، وأخلاقا تسمو بها، وبما أن تلك الأحكام مبثوثة في آيات الكتاب والسنة النبوية؛ انبرى العلماء في غابر الزمن وحديثه قائمين بمهمة البيان والتفسير والشرح والتفصيل لتلك النصوص، من خلال مدونات التفسير وشروح السنة والموسوعات الفقهية، ولكون الأب أحد ركني الأسرة وأحكامه منثورة عبر أبواب الفقه في الجملة، مما يحسن معه جمع تلك الأحكام والآداب تحت سقف بحث مستقل، يلم شعثه ويجمع متفرقه وتتجلى معه العناية الفائقة بالأسرة، وتيسيراً على الباحث عن تلك الأحكام الوقوف عليها؛ لذا جرى إفراد هذه الورقات لبيان أحكامه في أبواب النكاح والفُرَق عبر هذا البحث المختصر ومن خلال مبحثين يضمان عدداً من المطالب.

وقد درست مسائل هذا البحث دراسة مقارنة بين المذاهب الأربعة معرجاً على أقوال السلف في تلك المسائل بدءاً بالصحابة والتابعين فمن بعدهم راداً تلك الأقوال لمصادرها الأصلية في كل مذهب وإذا قامت الحاجة لتصوير مسألة أو إيضاحها فأشير إليه قبل الخوض فيها مرتباً الكلام في كل مسألة بذكر الأقوال فيها ثم الأدلة والمناقشة ثم الترجيح وما خلا من الخلاف بينته مصحوباً بدليله، كما عزوت الآيات وخرجت الأحاديث وأتبعتها بكلام العلماء عليها متى اقتضى المقام ذلك وشكلت الكلمة المشكلة وبينت معناها إنْ خفي، ثم ختمت البحث بجمل حوت ملخص ما توصلت إليه من نتاج.

خطة البحث:

حوى هذا البحث مبحثين تضمن كلاً منهما عدداً من المطالب وهي كما يلي:

المبحث الأول: أحكام الأب مع ولده في النكاح.

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: المقدم في ولاية نكاح المرأة أبوها أو ابنها.

المطلب الثاني: حكم تزويج الأب ابنته البكر إذا كانت كارهة.

المطلب الثالث: حكم استئذان الأب ابنته البكر البالغة في النكاح.

المطلب الرابع: حكم تزويج الأب ابنته الثيب بغير إذنها.
المطلب الخامس: حكم تزويج الأب ابنته بدون صداق مثلها.
المطلب السادس: حكم تزويج الأب ابنه الصغير.
المطلب السابع: المحرمات على الأب في النكاح.
المطلب الثامن: حكم اشتراط الأب لنفسه شيئاً من صداق ابنته.

المبحث الثاني: أحكام الأب مع ولده في الطلاق والخلع.

وفيه ثلاث مطالب:
المطلب الأول: حكم طلاق الأب زوجة ابنه الصغير.
المطلب الثاني: حكم مخالعة الأب زوجة ابنه الصغير.
المطلب الثالث: حكم مخالعة الأب عن ابنته الصغيرة من مالها.

المطلب الأول

المقدم في ولاية نكاح المرأة أبوها أو ابنها

اختلف الفقهاء في تقديم أب المرأة على ابنها في ولاية نكاحها حال اجتماعهما على قولين، ومنشأ الخلاف في المسألة هل المعتبر في ولاية النكاح قوة التعصيب أو كمال النظر والشفقة فمن اعتبر بقوة التعصيب قدم الابن ومن اعتبر بكمال النظر والشفقة قدم الأب. وإليك القولين :

القول الأول:

ذهب الحنفية[١] والمالكية[٢] إلى تقديم ابن المرأة على أبيها في ولاية نكاحها وهو رواية عن الإمام أحمد وبه قال إسحاق وابن المنذر[٣].

القول الثاني:

ذهب الشافعية[٤] والحنابلة ومحمد بن الحسن من الحنفية[٥] إلى تقديم أب المرأة على ابنها في ولاية النكاح.

إلا أن الشافعية لا يرون للابن ولاية على أمه في النكاح بسبب البنوة فقط ولكن إنْ كان ابن عم (أي من جهة العمومة) أو كان قاضياً أو معتقاً فله ولاية عليها.

الأدلة:

دليل القول الأول:

أن الابن هو المقدم في الميراث لأنه أقوى تعصيباً وولاية النكاح مبنية عليها[٦].

لكن اعترض على هذا الدليل بما يلي:

أن هناك فرقاً بين الميراث وولاية النكاح من وجهين هما:

الأول: أنه يعتبر في ولاية النكاح النظر والشفقة وهذا بخلاف الميراث فلا يعتبر فيه ذلك بدليل إرث الصبي والمجنون.

---

(١) راجع بدائع الصنائع (٣٧٣/٢)، فتح القدير (٣/ ٢٧٧)، البناية (٥٩٧/٤، ٦١٥)، حاشية ابن عابدين (٧٦/٣).
(٢) راجع المدونة (٢/ ١٤٣)، بداية المجتهد (١٥/٢)، الكافي (٢/ ٥٢٤ – ٥٢٥)، حاشية الدسوقي (٥٢٥/٢).
(٣) راجع المغني (٩/ ٣٥٥)، الإنصاف (٢٠/ ١٦٢ – ١٦٣).
(٤) راجع المجموع (١٦/ ١٤٧ – ١٥٦)، مغني المحتاج (٣/ ١٩٥ – ١٩٦).
(٥) راجع المغني (٩/ ٣٥٥)، المقنع (٢٠/ ١٦١ – ١٦٤)، الشرح الكبير (٢٠/ ١٦١ – ١٦٢)، الإنصاف (١٦١/٢٠ – ١٦٢)، شرح الزركشي (٥/ ٢٦- ٢٨)، كشاف القناع (٥/ ٥٠).
(٦) راجع بدائع الصنائع (٣٧٣/٢)، فتح القدير (٣/ ٢٩١)، المغني (٩/ ٣٥٥)، المجموع (١٦/ ١٥٦).

الثاني: أن الميراث ليس فيه احتكام ولا ولاية على الموروث وهذا بخلاف النكاح[٧].

أدلة القول الثاني:

استدلوا بما يلي:

الدليل الأول:

أن الولد موهوب لأبيه كما ورد بذلك الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ...)[٨] الآية.

وقوله عز وجل (... وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ ...)[٩] الآية. ومن السنة قوله ﷺ للرجل: "أنت ومالك لأبيك"[١٠].

وجه الدلالة من هذه الأدلة:

أن ولاية الموهوب له مقدمة على غيرها وهي أولى من ولاية الهبة (الابن) على الموهوب له (الأب) [١١].

الدليل الثاني:

قياس ولاية الأب على ولده في النكاح على ولايته عليه حال قصوره كالصبي والسفيه؛ ذلك أن ولايته في كل منهما مبنية على الشفقة والنظر.

الدليل الثالث:

أن الأب أشد شفقة من الابن وأتم نظرا منه.

الدليل الرابع:

أن الابن عادة يعتبر تزويج أمه عارا عليه؛ وعليه فلا يطلب لها الحظ ولا يشفق عليها.

الدليل الخامس:

أن في الولاية احتكام، واحتكام الأصل على فرعه أولى من احتكام الفرع على أصله.

---

(٧) راجع المغني (٩/ ٣٥٦).
(٨) من الآية رقم (٣٩) من سورة إبراهيم.
(٩) من الآية رقم (١٠٠) من سورة الأنبياء.
(١٠) الحديث أخرجه ابن ماجه كتاب التجارات باب مال للرجل من مال ولده السنن (٢/٧٦٩) برقم (٢٢٩٢) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وأبو داود كتاب البيوع باب في الرجل يأكل من مال ولده السنن (٣/٢٨٩) برقم (٣٥٣٠) قال ابن حجر: (فمجموع طرقه لا تحطه عن القوة وجواز الاحتجاج به).الفتح(٥/٢٥٠) وصححه الألباني في الإرواء(٦/٦٥)
(١١) راجع المغني (٩/ ٣٥٦).

الدليل السادس:

أن الأب من قوم ابنته إذ هي تنسب إليه والابن ليس من قوم أمه إذ هو ينسب إلى أبيه(١٢).

الترجيح:

الراجح والله أعلم هو القول الثاني وذلك لقوة ما استدلوا به من أدلة ولما سبق من مناقشة دليل القول الأول.

المطلب الثاني

حكم تزويج الأب ابنته البكر إذا كانت كارهة

البكر لها حالان حال الصغر إلى البلوغ وحال البلوغ، وإذا كرهت التزويج في أي منهما فهل لأبيها أنْ يزوجها رغما عنها.

إليك الحالين وما جرى فيهما من وفاق وخلاف:

الحال الأولى: حال الصغر:

حكم تزويجها في هذه الحال:

لا خلاف بين أهل العلم في صحة نكاحها في هذه الحال وإنْ كرهت إذا زوجها أبوها بكفء(١٣).

قال ابن المنذر: أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم أن نكاح الأب ابنته البكر الصغيرة جائز إذا زوجها من كفء ويجوز له تزويجها مع كراهيتها وامتناعها(١٤).

(١٢)راجع المجموع (١١/ ١٥٦)، المغني (٩/ ٣٥٥ – ٣٥٦).

(١٣)راجع بدائع الصنائع (٤٦٦/٢)، فتح القدير (٣/ ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٧٤ – ٢٧٧)، البناية (٥٨٤/٤ – ٥٨٥)، حاشية ابن عابدين (٣/ ٥٥، ٦٥ – ٦٦).
و المدونة (٢/ ١٤٠)، مقدمات ابن رشد (٥١/٢)، بداية المجتهد (٢/ ٦ -٨)، الكافي (٥٢٢/٢)، حاشية الدسوقي (٢٢٢/٢).
و المجموع (١٦/ ١٦٥)، مغني المحتاج (١٩١/٣ – ١٩٢)، شرح مسلم (٢٠٦/٩)، فتح الباري (٩/ ٩٦).
و المقنع (٢٠/ ١١٣)، الشرح الكبير (٢٠/ ١١٩)، الإنصاف (٢٠/ ١١٩)، شرح الزركشي (٥/ ٧٨)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/ ٣٩).

(١٤)المغني (٩/ ٣٩٨).

أدلة ذلك:

الدليل الأول:

قوله تعالى: (وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ...)[١٥] الآية.

وجه الدلالة من الآية:

حيث بين الله سبحانه وتعالى أن عدة اللائي لم يحضن ثلاثة أشهر ولا تكون العدة كذلك إلا من طلاق أو فسخ فدل على أنها تُزَوَّج وتُطَلَّق ولا إذن لها فيعتبر[١٦].

الدليل الثاني:

ما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة: " أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست سنين وأدخلت عليه وهي بنت تسع ومكثت عنده تسعا "[١٧].

وجه الدلالة من الحديث:

حيث زوج أبو بكر ﷺ ابنته من النبي ﷺ ومعلوم أنها في تلك السن لم تكن ممن يعتبر إذنها[١٨].

الحال الثانية من حالي البكر: حال البلوغ.

حكم تزويج الأب ابنته في هذه الحال:

اختلف العلماء في البنت إذا بلغت هل لأبيها إجبارها على النكاح على قولين هما:

القول الأول:

ذهب جمهور الفقهاء من المالكية[١٩] والشافعية[٢٠] والحنابلة[٢١] إلى أن للأب تزويج ابنته بكفء بغير إذنها.

---

(١٥)من الآية رقم (٤) من سورة الطلاق.
(١٦)راجع المغني (٩/ ٣٩٨).
(١٧)الحديث أخرجه البخاري كتاب النكاح باب إنكاح الرجل وُلْدَه الصغار برقم (٥١٣٣) ومسلم كتاب النكاح باب جواز تزويج الأب البكر الصغيرة برقم (١٤٢٢).
(١٨)راجع المغني (٩/ ٣٩٨).
(١٩)راجع المدونة (٢/ ١٤٠)، بداية المجتهد (٢/ ٦)، الكافي (٢/ ٥٢٢ – ٥٢٣)، مقدمات ابن رشد (٢/ ٥٠ – ٥١)، حاشية الدسوقي (٢/ ٢٢٢).
(٢٠)راجع المجموع (١٦/ ١٦٥)، مغني المحتاج (٣/ ١٩٢)، شرح مسلم (٢٠٤/٩)، فتح الباري (١٠٠/٩).
(٢١)راجع المقنع (١١٣/٢٠)، الشرح الكبير (٢٠/ ١٢٠)، شرح الزركشي (٥/ ٧٨)، الإنصاف (١٢٠/٢٠)، كشاف القناع (٥/ ٤٣).

القول الثاني:

وذهب الحنفية[٢٢] إلى أنه ليس للأب إجبار ابنته على النكاح إذا بلغت وهو أحد القولين عن مالك في البكر المعنسة[٢٣][٢٤]، ورواية عن الإمام أحمد[٢٥]، وعليه فالنكاح موقوف على رضاها فإنْ رضيت جاز وإنْ رَدَّت بطل.

الأدلة:

أدلة القول الأول: وهم القائلون بالإجبار.

استدلوا بما يلي:

الدليل الأول:

ما أخرجه مسلم عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: "الأيم أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها وإذنها صمتها "[٢٦].

وجه الدلالة من الحديث:

حيث قسم النساء إلى قسمين فجعل الأيم أحق بنفسها فدل على أن البكر على خلافها وأن وليها أحق بها من نفسها [٢٧].

اعتراض:

اعترض على هذا الدليل بما يلي:

الأول: عدم التسليم بأن معنى الأيم في الحديث هو الثيب بل كل امرأة لا زوج لها بكرا كانت أو ثيبا كما هو مقتضى اللغة [٢٨].

الثاني: إنْ سُلم بذلك فهو استدلال بالمفهوم.

قال ابن تيمية: " وهم- يعني أصحاب القول الأول- تركوا العمل بنص الحديث وظاهره وتمسكوا بدليل خطابه"[٢٩][٣٠].

(٢٢)راجع بدائع الصنائع (٢/٣٦١ – ٣٦٢)، فتح القدير (٣/ ٢٦٠)، البناية (٤/ ٥٨٤)، حاشية ابن عابدين (٣/٥٥).
(٢٣)راجع بداية المجتهد (٢/ ٦)، مقدمات ابن رشد (٢/ ٥١)، الكافي (٢/٥٢٣)، حاشية الدسوقي (٢/٢٢٢).
(٢٤)العانس: هي الجارية يطول مكثها في أهلها بعد إدراكها حتى تخرج من عداد الأبكار وهي لم تتزوج قط (راجع القاموس ٧٢٢).
(٢٥)راجع المغني (٩/ ٣٩٩)، الإنصاف (٢٠/ ١٢٠).
(٢٦)كتاب النكاح باب استئذان الثيب في النكاح برقم (١٤٢١).
(٢٧)راجع المغني (٩/ ٤٠٠)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/ ٢٤).
(٢٨)راجع النووي على مسلم (٩/ ٢٠٣)، فتح الباري (٩/ ٩٩)، القاموس المحيط (١٣٩٣).
(٢٩)مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/ ٢٤).
(٣٠)دليل الخطاب: هو مفهوم المخالفة وعرفه بعض الأصوليين بأنه: إثبات نقيض حكم المنطوق به للمسكوت عنه. (شرح تنقيح الفصول للقرافي ٥٣).

الثالث: أن للتقسيم فائدة لكن غير ما ذكرتم وتتمثل فيما يلي:

أولاً: أن الولي ليس له مع الثيب أمر في الخطبة والإجابة أو الرد ولذلك قال (تستأمر) أي يطلب أمرها في ذلك، وهذا بخلاف البكر فهي في العادة لا مدخل لها في ذلك وإنما تستأذن فقط في الرضا بالنكاح[٣١].

ثانياً: أن الاستئمار يدل على تأكيد المشاورة وجعل الأمر للمستأمرة ولهذا يحتاج الولي إلى صريح إذنها في العقد فإذا صرحت بمنعه امتنع اتفاقاً والبكر بخلاف ذلك.

ثالثاً: أن الإذن دائر بين القول والسكوت بخلاف الأمر فإنه صريح في القول وإنما جعل السكوت إذنا في حق البكر لأنها قد تستحي أنْ تفصح عن رغبتها.

الجواب:

أجيب عن هذا الاعتراض بما يلي:

قولهم إن المراد بالأيم في الحديث: التي لا زوج لها سواء كانت بكرا أم ثيبا.

يجاب عنه:

بأن كافة الفقهاء على أن المراد بالأيم -في الحديث- الثيب استنادا على ما يلي:

الأول: أنه جاء في رواية أخرى مفسراً بالثيب.

الثاني: أنها قوبلت بالبكر كما في الحديث.

الثالث: أن أكثر استعمالها في اللغة بمعنى الثيب[٣٢].

الدليل الثاني:

ما أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "تستأمر اليتيمة في نفسها..." [٣٣] الحديث.

وبما أخرجه أحمد في المسند عن ابن عمر أن قدامة بن مظعون زوَّج ابنة أخيه عثمان فَرُفِع ذلك إلى النبي ﷺ فقال: " إنها يتيمة ولا تنكح إلا بإذنها "[٣٤] الحديث.

(٣١)راجع مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/ ٢٤ – ٢٥)، شرح الزركشي (٥/ ٨١).
(٣٢)راجع النووي على مسلم (٩/ ٢٠٣)، فتح الباري (٩/ ٩٨ – ٩٩).
(٣٣)أخرجه أبو داود كتاب النكاح باب في الاستئمار (السنن ٢/ ٢٣١) رقم (٢٠٩٣)، وحسنه الألباني كما في الإرواء (٦/ ٢٣٢) رقم (١٨٣٤).
(٣٤)أخرجه أحمد في المسند (٩/ ٧ – ٨) رقم (٦١٣٦)، وصحح إسناده أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٧/٩)، وحسنه الألباني كما في الإرواء (٦/ ٢٣٢) رقم (١٨٣٥).

وجه الدلالة من الحديثين:

حيث فرق بين اليتيمة وبين ذات الأب، ذلك أنه بيّن في هذين الحديثين حكم اليتيمة فدل على أن ذات الأب بخلافها وعليه فللأب تزويجها بدون إذنها [٣٥].

اعتراض:

واعترض عليه بأنه جاء عند مسلم في رواية له من حديث ابن عباس التصريح بلفظ الأب قال رسول الله ﷺ: "والبكر يستأذنها أبوها "[٣٦].

الجواب:

وأجيب عنه بأن زيادة (الأب) في الحديث غير محفوظة.

قال الشافعي:" زادها ابن عيينة في حديثه ". وقال البيهقي:" زيادة ذكر الأب في حديث ابن عباس غير محفوظة والمحفوظ في حديث ابن عباس (البكر تستأمر) "[٣٧].

الرد:

ويرد على هذا الجواب بأن هذه الزيادة من ثقة حافظ وزيادته مقبولة عند المحدثين.

قال ابن حجر:" قلت وهذا لا يدفع زيادة الثقة الحافظ بلفظ الأب "[٣٨].

الدليل الثالث:

قياس البكر البالغة على الصغيرة بجامع أن كلا منهما لا تعلم مصالح النكاح لأن العلم بها طريقه التجربة وذلك متوقف على الثيوبة ولم توجد وعليه فيكون حكمهما واحدا[٣٩].

اعتراض:

واعترض على هذا الدليل باعتراضين:

الأول: بعدم التسليم بأن الجهل هو العلة بل هو ملغي للقطع بجوازه عند البيع والشراء ممن يجهله لعدم الممارسة.

والثاني: أن الجهل منتف غالباً في البالغ فقلما توجد بالغ لا تعرف مصالح النكاح[٤٠].

(٣٥)راجع بداية المجتهد (٢/ ٦)، تكملة المجموع (١٦/ ١٩٦).
(٣٦)قطعة من حديث أخرجه مسلم كتاب النكاح باب استئذان الثيب برقم (١٤٢١)
(٣٧)قطعة من حديث أخرجه مسلم كتاب النكاح باب استئذان الثيب برقم (١٤٢١).
(٣٨)فتح الباري (٩/ ١٠٠).
(٣٩)راجع فتح القدير (٣/ ٢٦٠ – ٢٦١).
(٤٠)راجع المصدر السابق (٣/ ٢٦١).

أدلة القول الثاني: وهم القائلون بعدم الإجبار.

استدلوا بما يلي:

الدليل الأول:

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا يا رسول الله وكيف إذنها؟ قال أنْ تسكت"[٤١].

ووجه الدلالة من الحديث: أن الأصل في النهي التحريم هذا على قراءة كسر الحاء من (تنكح) أما على رفعها فالمراد نفي ذلك وهو أبلغ في المنع[٤٢].

اعتراض:

واعترض على الاستدلال بهذا الحديث بأن ما ورد من استئذان البكر في هذا الحديث محمول على الاستحباب أو على غير الأب[٤٣].

الجواب:

وأجيب عن هذا الاعتراض بأن حمل الحديث على الاستحباب يخالف ظاهره ولا يترك هذا الظاهر إلا بأقوى منه وأما حمله على غير الأب فقد تقدمت رواية مسلم والتي فيها النص على الأب[٤٤].

الدليل الثاني:

ما أخرجه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قلت يا رسول الله يستأمر النساء في إبضاعهن؟[٤٥] قال: نعم. قلت: فإن البكر تستأمر فتستحي فتسكت قال: سكاتها إذنها[٤٦].

(٤١)أخرجه البخاري كتاب النكاح باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاهما برقم (٥١٣٦)، و مسلم كتاب النكاح باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت برقم (١٤١٩).

(٤٢)راجع فتح الباري (٩/ ٩٨)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/ ٢٣).

(٤٣)راجع شرح الزركشي (٥/ ٨١).

(٤٤)راجع شرح الزركشي (٥/ ٨١)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/ ٤٠).

(٤٥)قولها (إبضاعهن) قال ابن الأثير: يقال أبضعت المرأة إبضاعاً إذا زوجتها. (النهاية في غريب الحديث ١٣٢/١).

(٤٦)أخرجه البخاري كتاب الإكراه باب لا يجوز نكاح المكره برقم (٦٩٤٦)، ومسلم كتاب النكاح باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت برقم (١٤٢٠).

اعتراض:

واعترض على الاستدلال بهذا الحديث بأن المؤامرة قد تكون لتطييب النفس، يؤيد ذلك ما أخرجه أبو داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "آمروا النساء في بناتهن"(٤٧).

قال الشافعي: " لا خلاف أنه ليس للأم أمر لكنه على معنى استطابة النفس"(٤٨).

والجواب:

أجيب عنه بمثل ما أجيب عن الدليل السابق.

الدليل الثالث:

ما أخرجه أبو داود من حديث ابن عباس "أن جارية بكرا أتت النبي ﷺ فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهة فخيرها النبي ﷺ "(٤٩).

ووجه الدلالة من الحديث:

تخيير النبي ﷺلها بين إمضاء النكاح وفسخه وما ذاك إلا لأنه يجب استئذانها في النكاح ويحرم إكراهها عليه(٥٠).

اعتراض: واعترض على الاستدلال بهذا الحديث بما يلي:

الأول: أنه حديث مرسل(٥١).

الثاني: الاحتمال: فيحتمل أن أباها زوجها من غير كفء.

الثالث: أنه واقعة عين فيختص الحكم بها ولا يعم غيرها(٥٢).

والجواب:

أجيب عن هذا الاعتراض بما يلي:

قولهم: إنه حديث مرسل يجاب عنه بما يلي:

---

(٤٧)أخرجه أبو داود كتاب النكاح باب في الاستئمار (السنن ٢/ ٢٣٢) رقم (٢٠٩٥) قال فيه ابن حزم: مرسل من أحسن المراسيل. الإعراب عن الحيرة والالتباس (١/٣٢٩) وقال الشوكاني: فيه رجل مجهول. نيل الأوطار (٦/٢٥٣) وقال الألباني: ضعيف. ضعيف أبي داود برقم (٢٠٩٥).

(٤٨)فتح الباري (٩/ ١٠٠).

(٤٩)أخرجه أبو داود كتاب النكاح باب في البكر يزوجها أبوها ولا يستأمرها (السنن ٢/ ٢٣٢) رقم (٢٠٩٦)، وابن ماجه كتاب النكاح باب من زوج ابنته وهي كارهة (السنن ٦٠٢/١) رقم (١٨٧٥).
قال ابن حجر في الفتح: ورجاله ثقات. (الفتح ٩/ ١٠٣).

(٥٠)راجع عون المعبود (٦/ ٨٤ – ٨٥).

(٥١)راجع شرح الزركشي (٥/ ٨١).

(٥٢)فتح الباري (٩/ ١٠٣).

الأول: عدم التسليم بذلك فالحديث أخرجه أبو داود قال حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا حسين بن محمد ثنا جرير بن حازم عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن جارية...) الحديث. وجرير بن حازم هذا قد وصله وهو ثقة وزيادة الثقة مقبولة.

قال ابن القيم: وعلى طريقة البيهقي وأكثر الفقهاء وجميع أهل الأصول هذا حديث صحيح لأن جرير بن حازم ثقة ثبت وقد وصله، وهم يقولون زيادة الثقة مقبولة فما بالها تقبل في موضع بل في أكثر المواضع التي توافق مذهب المقلد وترد في موضع يخالف مذهبه وقد قبلوا زيادة الثقة في أكثر من مائتين من الأحاديث رفعا ووصلا وزيادة لفظ ونحوه، هذا لو انفرد به جرير فكيف وقد تابعه على رفعه عن أيوب زيد بن حبان ذكره ابن ماجه في سننه "[٥٣].

وقال ابن حجر: "وأما الطعن في الحديث فلا معنى له فإن طرقه يقوى بعضها ببعض"[٥٤].

الثاني: وإنْ سلمنا فلا مانع على القول بحجية المرسل[٥٥].

الدليل الرابع:

القياس:

قياس البكر البالغة على الثيب البالغة بجامع أن كلا منهما صارت بالبلوغ متصرفة على النظر في مصلحتها[٥٦].

اعتراض:

اعترض على هذا الدليل بما يلي:

يمنع أنْ تكون علة الإجبار هي الصغر بل هي البكارة بدليل أن الأب يملك التصرف في صداقها من غير رضاها بخلاف الثيب البالغة[٥٧].

الجواب:

وأجيب عن هذا الاعتراض بأن كون الأب يقبض صداقها لا يعني ذلك أنه يملك التصرف في مالها من غير رضاها بل لوجود الرضا منها دلالة؛ لأن العادة أن الأب يضم إلى الصداق من خالص ماله[٥٨].

(٥٣)تهذيب سنن أبي داود (٣/ ٤٠).
(٥٤)فتح الباري (٩/ ١٠٣).
(٥٥)راجع شرح الزركشي (٥/ ٨١).
(٥٦)راجع بدائع الصنائع (٢/ ٣٦١)، المغني (٩/ ٣٩٩).
(٥٧)راجع بدائع الصنائع (٢/ ٣٦١).
(٥٨)راجع المرجع نفسه (٢/ ٣٦٢).

قال ابن تيمية: "وأما جعل البكارة موجبة للحجر فهذا مخالف لأصول الإسلام فإن الشارع لم يجعل البكارة سبباً للحجر في موضع من المواضع المجمع عليها فتعليل الحجر بذلك تعليل بوصف لا تأثير له في الشرع[٥٩].

والخامس دليل المعنى:

أنه ليس للأب أن يتصرف في مالها إذا كانت رشيدة إلا بإذنها وأمر النكاح أعظم من المال[٦٠].

الترجيح:

الراجح والله أعلم هو القول الثاني وذلك لقوة ما استدلوا به ولما سبق من مناقشة أدلة القول الأول.

يقول ابن تيمية مؤيداً القول الثاني: "وأما تزويجها مع كراهتها للنكاح فهذا مخالف للأصول والعقول والله لم يسوغ لوليها أن يكرهها على بيع أو إجارة إلا بإذنها ولا على طعام أو شراب أو لباس لا تريده فكيف يكرهها على مباضعة ومعاشرة من تكره مباضعته ومعاشرة من تكره معاشرته، والله قد جعل بين الزوجين مودة ورحمة فإذا كان لا يحصل إلا مع بغضها له ونفورها عنه فأي مودة ورحمة في ذلك "[٦١].

المطلب الثالث

حكم استئذان الأب ابنته البكر البالغة في النكاح

لا خلاف بين القائلين بأن للأب أن يجبر ابنته البالغة على النكاح لا خلاف بينهم في استحباب استئذانها في ذلك[٦٢].

دليل ذلك:

الدليل الأول:

ما ورد من الأحاديث التي أمرت بالاستئذان أو نهت عن النكاح بدونه، وأقل أحوال الأمر الاستحباب.

(٥٩)مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٢/ ٢٣).
(٦٠)راجع البناية على الهداية (٤/ ٥٨٥)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٢/ ٢٣).
(٦١)مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٥).
(٦٢)راجع: الكافي (٢/ ٥٢٣)،
و المجموع (١٦/ ١٦٥)، ومغني المحتاج (١٩٢/٢)، وشرح مسلم (٩/ ٢٠٤)، فتح الباري (٩/ ١٠٢)، والمغني (٩/ ٤٠٥)، الشرح الكبير (٢٠/ ١٤٤)، شرح الزركشي (٥/ ٨٦ – ٨٧)، كشاف القناع (٥/ ٤٣).

الدليل الثاني:

أن في الاستئذان تطييبا لخاطرها.

الدليل الثالث:

ولأن في الاستئذان خروجا من خلاف من أوجبه[٦٣] والخروج من الخلاف مستحب[٦٤].

المطلب الرابع

حكم تزويج الأب ابنته الثيب بغير إذنها

البنت الثيب لها حالان حال الصغر وحال البلوغ ولكل حال حكم يخصها وإليك بيان ذلك:

الحال الأولى حال الصغر:

اختلف العلماء في البنت الثيب إذا كانت صغيرة هل لأبيها إجبارها على النكاح أم لا؟ على قولين:

القول الأول:

ذهب الحنفية[٦٥] والمالكية[٦٦] إلى أن للأب إجبار ابنته الثيب الصغيرة على النكاح وهو وجه عند الحنابلة[٦٧].

القول الثاني:

وذهب الشافعية[٦٨] إلى أنه ليس للأب تزويج ابنته الثيب الصغيرة حتى تبلغ وتأذن له وهو وجه عند الحنابلة[٦٩].

(٦٣)راجع المغني (٩/ ٤٠٥)، مغني المحتاج (٢/ ١٩٣).
(٦٤)هذا نص قاعدة فقهية ذكرها السيوطي في كتابه الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية (٢٥٧).
(٦٥)راجع بدائع الصنائع (٣٦١/٢)، فتح القدير (٣/ ٢٦٩، ٢٧٤)، البناية على الهداية (٤/ ٥٩١)، حاشية ابن عابدين (٣/ ٦٥ – ٦٦).
(٦٦)راجع بداية المجتهد (٢/ ٧)، الكافي (٢/ ٥٢٢)، المقدمات لابن رشد (٢/ ٥٢ – ٥٣)، حاشية الدسوقي (٢٢٣/٢).
(٦٧)راجع المغني (٩/ ٤٠٧)، المقنع (٢٠/ ١٢٧)، الشرح الكبير (٢٠/ ١٢٩).
(٦٨)راجع المجموع (١٦/ ١٦٥)، مغني المحتاج (٣/ ١٩٣)، فتح الباري (٩/ ١٠٠).
(٦٩)راجع المغني (٩/ ٤٠٦)، المقنع (٢٠/ ١٢٧)، الشرح الكبير (٢٠/ ١٢٩)، شرح الزركشي (٥/ ٨٨).

الأدلة:

أدلة القول الأول: وهم القائلون بالإجبار.

استدلوا بما يلي:

الدليل الأول:

قياس الثيب الصغيرة على البكر الصغيرة [٧٠].

الدليل الثاني:

قياس إجبارها على إجبار الصغير على النكاح[٧١].

اعتراض:

اعترض على هذين الدليلين بعدم التسليم بكون علة الإجبار هي الصغر بل العلة هي البكارة التي ينشأ عنها الجهل بمصالح النكاح[٧٢].

أدلة القول الثاني: وهم القائلون بعدم الإجبار.

استدلوا بما يلي:

الدليل الأول:

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا يا رسول الله: وكيف إذنها قال: أن تسكت"[٧٣].

ووجه الدلالة من الحديث:

نهي النبي ﷺ عن إنكاح الثيب إلا بأمرها والأصل في النهي التحريم أو أنه نفي بمعنى النهي وهذا يعم الصغيرة[٧٤].

الدليل الثاني:

ما أخرجه مسلم من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: " الأيم أحق بنفسها من وليها"[٧٥] الحديث.

---

(٧٠)راجع فتح القدير (٣/ ٢٦٩).
(٧١)راجع المغني (٩/ ٤٠٧)، شرح الزركشي (٥/ ٨٨).
(٧٢)راجع المغني (٩/ ٤٠٧).
(٧٣)سبق تخريجه ص (٩).
(٧٤)راجع المغني (٩/ ٤٠٧).
(٧٥)سبق تخريجه (٦)

ووجه الدلالة من الحديث:

حيث بين النبي ﷺ أن الثيب أحق بنفسها في النكاح من وليها وهذا يعم الصغيرة[٧٦].

اعتراض:

اعترض على هذين الدليلين بأنهما محمولان على الثيب الكبيرة بدليل أنه جعلها أحق من وليها، أما الصغيرة فمعلوم أنه لا حق لها[٧٧].

الدليل الثالث:

قياس الثيب الصغيرة على الثيب الكبيرة[٧٨].

اعتراض:

اعترض على هذا الدليل بعدم التسليم بكون العلة هي الثيوبة بل هي الصغر اللازم لقصور العقل بدليل عدم التكليف في هذا السن[٧٩].

الدليل الرابع:

أن إذن الصغيرة غير معتبر حال الصغر وعليه فيمتنع تزويجها حتى تبلغ وتأذن لوليها[٨٠].

الترجيح:

الراجح والله أعلم هو القول الثاني لقوة ما استدلوا به، أما قول أصحاب القول الأول إن الأحاديث محمولة على الكبيرة فلا دليل عليه، ويجاب عن قولهم (معلوم أن الصغيرة لا حق لها) أن هذا استدلال في محل النزاع.

الحال الثانية حال البلوغ:

الثيب البالغ ليس لأحد إجبارها على النكاح بل لابد من استئمارها ولم يخالف في هذه المسألة إلا الحسن والنخعي؛ إذ يرى الحسن تزويجها وإنْ كرهت وأما النخعي ففَرَّق بين ما إذا كانت في عياله فله تزويجها، وبين ما إذا كانت بائنة في بيتها فعليه أنْ يستأمرها[٨١].

قال ابن رشد: "اتفقوا على اعتبار رضى الثيب البالغ"[٨٢].

---

(٧٦)راجع المغني (٩/ ٤٠٧)، راجع عود المعبود (٦/ ٨٧).
(٧٧)راجع فتح القدير (٣/ ٢٧٧)، المغني (٩/ ٤٠٧).
(٧٨)راجع تكملة المجموع (١٦/ ١٧٠).
(٧٩)راجع البناية على الهداية (٤/ ٥٨٥).
(٨٠)راجع مغني المحتاج (٣/ ١٩٤)، المغني (٩/ ٤٠٧).
(٨١)راجع بدائع الصنائع (٢/ ٣٦١)، فتح القدير (٣/ ٢٦٩)، حاشية ابن عابدين (٥٥/٣). و بداية المجتهد (٢/ ٦)، الكافي (٢/ ٥٢٣)، المدونة (١/ ١٤٠، ١٤٢)، حاشية الدسوقي (٢/ ٢٢٣).
والمجموع (١٦/ ١٦٥)، مغني المحتاج (٣/ ١٩٣)، شرح مسلم (٢٠٤/٩)، فتح الباري (٩/ ١٠١).
و المغني (٩/ ٤٠٦)، الشرح الكبير (٢٠/ ١٢٧)، شرح الزركشي (٥/ ٨٧)، الإنصاف (٢٠/ ١٢٤).
(٨٢)بداية المجتهد (٢/ ٦).

وقال ابن تيمية: "وأما البالغ الثيب فلا يجوز تزويجها بغير إذنها لا للأب ولا لغيره بإجماع المسلمين"(٨٣).

أدلة ذلك:

الدليل الأول:

ما أخرجه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "الثيب أحق بنفسها من وليها..." (٨٤) الحديث.

وجه الدلالة من الحديث:

حيث بين النبي ﷺ أن الثيب أحق بنفسها في النكاح من وليها وهذا يدل على اعتبار رضاها.

الدليل الثاني:

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "لا تنكح الأيم حتى تستأمر..." (٨٥) الحديث.

وجه الدلالة من الحديث:

حيث بين النبي ﷺ أن الثيب لا تنكح حتى تأمر وليها بذلك والأصل في النهي التحريم(٨٦).

الدليل الثالث:

ما أخرجه البخاري عن خَنْساء بنت خِدَام(٨٧) الأنصارية أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها(٨٨).

(٨٣)مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/ ٣٩ – ٤٠).
(٨٤)الحديث سبق تخريجه ص (٦).
(٨٥)الحديث سبق تخريجه ص (٩).
(٨٦)راجع سبل السلام (٣/ ١٩٥).
(٨٧)هي خنساء - بفتح الخاء وسكون النون- بنت خدام -بكسر الخاء وفتح الدال مع تخفيفها-الأنصارية زوجة أبي لبابة بن المنذر، كانت تحت أنيس بن قتادة الأنصاري فقتل عنها بأحد فزوجها أبوها رجلاً من بني عمرو بن عوف فكرهت ذلك، فأتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن عم ولدي أحب إلي فجعل أمرها إليها. (راجع تهذيب التهذيب ١٢/ ٣٦٤). (الإصابة ٢٨٦/٤ رقم ٣٥٣).
(٨٨)أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب إذا زوج الرجل ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود برقم (٥١٣٨)، ومالك في الموطأ بنحوه كتاب النكاح باب ما لا يجوز من النكاح. الموطأ(٢/ ٥٣٥).

الدليل الرابع:

أنها تعلم مقصود النكاح فلم يجز إجبارها عليه[٨٩].

المطلب الخامس

حكم تزويج الأب ابنته بدون صداق مثلها

اختلف العلماء في حكم هذه المسألة على قولين هما:

القول الأول:

ذهب أبو حنيفة[٩٠] والمالكية[٩١] والحنابلة[٩٢] إلى أنه يجوز للأب أن يزوج ابنته بدون صداق مثلها.

القول الثاني:

وذهب الشافعية[٩٣] وصاحبا أبي حنيفة[٩٤] إلى أنه لا يجوز للأب أن يزوج ابنته بدون صداق مثلها فإنْ فعل صح النكاح وفسد المسمى ولها مهر المثل في الأظهر عند الشافعية وبطل النكاح على الأصح عند الصاحبين.

الأدلة:

أدلة القول الأول:

وهم القائلون بجواز تزويج الأب ابنته بدون صداق مثلها.

استدلوا بما يلي:

الدليل الأول:

بما أخرجه أبو داود عن أبي العجفاء السلمي[٩٥] قال خطبنا عمر – رحمه الله – فقال: " ألا لا تغالوا بصداق النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم

(٨٩)راجع مغني المحتاج (٣/ ١٩٤)، المغني (٩/ ٤٠٧).
(٩٠)راجع فتح القدير (٣/ ٣٠٣)، حاشية ابن عابدين (٣/ ٦٦)، البناية على الهداية (٤/ ٦٣٢).
(٩١)راجع المدونة (٢/ ١٤٠)، المقدمات (٢/ ٥١)، حاشية الدسوقي (٢/ ٢٢٢، ٣١٥).
(٩٢)راجع المغني (٩/ ٤١٣)، المقنع (٢١/ ١٤٣ – ١٤٤)، الشرح الكبير (٢١/ ١٤٣ – ١٤٤)، شرح الزركشي (٩٣/٥)، الإنصاف (٢١/ ١٤٣ – ١٤٤)، كشاف القناع (٥/ ٤٣).
(٩٣)راجع المجموع (١٦/ ٣٨٢)، مغني المحتاج (٣/ ٢٩٠).
(٩٤)راجع فتح القدير (٣/ ٣٠٣)، البناية (٤/ ٦٣٢)، حاشية ابن عابدين (٣/ ٦٦).
(٩٥)هو هرم بن نسيب وقيل نسيب بن هرم، وثقه ابن معين، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال البخاري في حديثه نظر، ووثقه الدارقطني، توفي ما بين التسعين إلى المائة. (راجع تهذيب التهذيب ١٢/ ١٤٨ رقم ٨٥٨١).

بها النبي ﷺ، ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من ثنتي عشرة أوقية "[٩٦].

وجه الدلالة من الأثر:

أن للأب أنْ يزوج بقدر هذا الصداق وإنْ كان أقل من صداق المثل، وقد كانت هذه الخطبة بمحضر من الصحابة ولم ينكروه[٩٧].

الدليل الثاني:

أن المقصود من النكاح السكن وليس العوض وعليه فينبغي للأب أنْ يبحث لابنته عمن يصونها ويحسن عشرتها ولو بأقل من صداق مثلها.

الدليل الثالث:

أن الظاهر من حال الأب كمال الشفقة والنظر، وعليه فلن ينقصها إلا لتحصيل معنى من معاني النكاح المقصودة لذا فلا يمنع من تحصيل ذلك مع تفويت غيره[٩٨].

أدلة القول الثاني: وهم القائلون بعدم جواز تزويج الأب ابنته بدون صداق مثلها.

الدليل الأول:

أن عقد النكاح عقد معاوضة فلم يجر أنْ يُنْقَص فيه عن قيمة المعوَّض كالبيع[٩٩].

اعتراض:

اعترض على هذا الدليل بأن النكاح يفارق سائر عقود المعاوضات إذ المقصود منها العوض وهذا بخلاف النكاح فالمقصود منه السكن [١٠٠].

الدليل الثاني:

أن في تزويج الأب ابنته بدون صداق مثلها تفريطا في مالها وليس ذلك للأب[١٠١].

---

(٩٦)أخرجه أبو داود كتاب النكاح باب الصداق. (السنن ٢/٢٣٥ رقم ٢١٠٦)، وصححه الألباني كما في الإرواء (٦/٣٤٧) رقم (١٩٢٧)، وأما ما أخرجه البيهقي من اعتراض المرأة على عمر ورجوع عمر عن كلامه فقد قال عنه الألباني:(ضعيف منكر أي ضعيف السند منكر المتن، وذلك لانقطاعه ولأن فيه مجالد ابن سعيد وليس بالقوي وأما النكارة فإن قوله (وآتيتم إحداهن قنطارا...) لا تنافي قول عمر). (الإرواء ٦/ ٣٤٨).

(٩٧)راجع المغني (٩/ ٤١٤).

(٩٨)راجع البناية على الهداية (٤/ ٦٣٣)، المدونة (٢/ ١٤٠)، المغني (٩/ ٤١٤)، شرح الزركشي (٥/٩٤).

(٩٩)راجع مغني المحتاج (٣/ ٢٩٠)، المغني (٩/ ٤١٣).

(١٠٠) راجع المغني (٩/ ٤١٤).

(١٠١) راجع مغني المحتاج (٣/ ٢٩٠)، المغني (٩/ ٤١٣).

اعتراض:

اعترض على هذا الدليل بعدم الممانعة من تفويت الأب جزءاً من مالها في مقابل تحصيل معنى من معاني النكاح المقصودة[١٠٢].

ودليل الشافعية على صحة العقد :

أنه إذا صح النكاح مع عدم المهر فصحته مع جوده وفساده أولى[١٠٣].

دليل الصاحبين على بطلان العقد:

أن الولاية مقيدة بشرط النظر، والنقص من المهر ليس فيه نظر بدليل أنه لا يملكه أحد غير الأب والجد، وعليه فعند فوات الشرط يبطل العقد[١٠٤].

الترجيح:

الراجح والله أعلم هو القول الأول القائل بجواز تزويج الأب ابنته بدون صداق مثلها لقوة ما استدلوا به.

المطلب السادس

حكم تزويج الأب ابنه الصغير

ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية[١٠٥] والمالكية[١٠٦] والشافعية[١٠٧] والحنابلة[١٠٨] إلى جواز تزويج الأب ابنه الصغير العاقل، وخالف في ذلك ابن شبرمة وأبو بكر ابن الأصم[١٠٩].

الأدلة:

دليل الجمهور:

ما أخرجه البيهقي أن ابن عمر زوج ابنا له ابنة أخيه وابنه صغير يومئذ[١١٠]

(١٠٢) راجع المغني (٩/ ٤١٤).
(١٠٣) راجع المجموع (١٦/ ٣٢٨).
(١٠٤) راجع البناية على الهداية (٤/ ٦٣٢ – ٦٣٣).
(١٠٥) راجع بدائع الصنائع (٢/ ٣٦١)، فتح القدير (٣/ ٢٧٤ – ٢٧٧)، البناية على الهداية (٤/ ٥٩٧)، حاشية ابن عابدين (٣/ ٦٥).
(١٠٦) راجع المدونة (٢/ ١٤٩)، بداية المجتهد (٢/ ٩)، الكافي (٢/ ٥٢٩)، حاشية الدسوقي (٢/ ٢٤٤-٢٤٥).
(١٠٧) راجع المجموع (١٦/ ١٩٤)، مغني المحتاج (٣/ ٢١٧)، فتح الباري (٩/ ٩٦).
(١٠٨) راجع المغني (٩/ ٤١٥)، المقنع (٢٠/ ١١٣)، الشرح الكبير (٢٠/ ١١٣)، الإنصاف (٢٠/ ١٢٤)، كشاف القناع (٥/ ٤٢).
(١٠٩) راجع البناية على الهداية (٤/ ٥٩٧).
(١١٠) أخرجه البيهقي كتاب النكاح باب الأب يزوج ابنه الصغير. (الكبرى ٧/ ٢٣١ رقم ١٣٨١٧).

دليل ابن شبرمة وأبو بكر بن الأصم:

الدليل الأول:

قوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ...)[١١١] الآية.

وجه الدلالة من الآية:

أنه لو جاز تزويجه قبل البلوغ لم يكن لهذا معنى.

الدليل الثاني:

أن حاجته إلى النكاح معدومة، ذلك أن مقصود النكاح طبعاً قضاء الشهوة ولا شهوة له وشرعاً النسل ولا يمكن ذلك منه [١١٢].

المطلب السابع

المحرمات على الأب في النكاح

يحرم على الأب عدد من النساء إليك تعدادها وبيان ما جرى في بعضها من خلاف بين العلماء.

أولاها:

البنت، وبنت الابن، وبنت البنت، وإنْ سفلن لصحة تناول الاسم للجميع، وهذا الموضع لا خلاف فيه بين أهل العلم[١١٣].

دليل ذلك: قوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ...)[١١٤] الآية.

(١١١) من الآية رقم (٦) من سورة النساء.

(١١٢)راجع البناية (٤/ ٥٩٧).

(١١٣) راجع بدائع الصنائع (٢/ ٣٨٢)، فتح القدير (٣/ ٢٠٩)، البناية على الهداية (٥١٥/٤)، حاشية ابن عابدين (٣/ ٢٩).
وراجع بداية المجتهد (٢/ ٣٧)، الكافي (٢/ ٥٣٥)، مقدمات ابن رشد (٣٤/٢)، الشرح الكبير للدردير (٢/ ٢٥٠).
و المجموع (٢٦/ ٢١٣)، مغني المحتاج (٣/ ٢٢٤).
و المغني (٩/ ٥١٤)، المقنع (٢٠/ ٢٧٥)، الشرح الكبير (٢٠/ ٢٧٦)، شرح الزركشي (٥/ ١٤٨)، الإنصاف (٢٠/ ٢٧٦)، كشاف القناع (٥/ ٦٩).

(١١٤) من الآية رقم (٢٣) من سورة النساء.

ثانيها:

زوجة الابن وابن البنت، وهذا الموضع لا خلاف فيه بين أهل العلم[١١٥].

دليل ذلك: قوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ... وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ...)[١١٦] الآية.

ثالثها:

البنت من الرضاعة، وهذا الموضع لا خلاف فيه بين أهل العلم[١١٧].

دليل ذلك:

ما أخرجه البخاري ومسلم واللفظ له عن عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ: "يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة "[١١٨].

رابعها:

إذا وطيء الرجل امرأة بشبهة[١١٩] حرمت على أبيه وهذا الموضع لا خلاف فيه بين أهل العلم[١٢٠].

---

(١١٥) راجع بدائع الصنائع (٢/ ٣٨٦)، فتح القدير (٣/ ٢١١)، البناية على الهداية (٥١٢/٤)، حاشية ابن عابدين (٣/ ٣١).
و بداية المجتهد (٢/ ٣٨)، الكافي (٢/ ٥٣٦)، مقدمات ابن رشد (٢٤/٢)، الشرح الكبير للدردير (٢/ ٢٥٠).
و المجموع (١٦/ ٢١٦)، مغني المحتاج (٣/ ٢٢٦)، فتح الباري (٩/ ٦٢)، وراجع المغني (٩/ ٥١٨)، المقنع (٢٠/ ٢٨١ – ٢٨٢)، الشرح الكبير (٢٠/ ٢٨٢)، شرح الزركشي (٥/ ١٥١)، الإنصاف (٢٠/ ٢٨٢)، كشاف القناع (٥/ ٧١).

(١١٦) من الآية رقم (٢٣) من سورة النساء.

(١١٧) راجع بدائع الصنائع (٢/ ٣٨٩)، (٤/٤)، فتح القدير (٣/ ٢١٢)، حاشية ابن عابدين (٣١/٣)، وبداية المجتهد (٢/ ٤٠)، الكافي (٢/ ٥٣٩)،
و المجموع (١٦/ ٢١٩)، ومغني المحتاج (٣/ ٢٢٦)،
والمغني (٩/ ٥١٩ – ٥٢٠)، المقنع (٢٠/ ٢٧٨)، الشرح الكبير (٢٠/ ٢٧٩)، الإنصاف (٢/ ٢٧٨)، كشاف القناع (٥/ ٧٠).

(١١٨) أخرجه البخاري كتاب النكاح باب (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم) برقم (٥٠٩٩)، ومسلم كتاب الرضاع باب يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة برقم (١٤٤٤)، ومالك في الموطأ كتاب الرضاع باب جامع ما جاء في الرضاعة (الموطأ ٦٠٧/٢).

(١١٩) وطء الشبهة: هو الوطء في النكاح الفاسد أو الشراء الفاسد أو من يطأ امرأة يظنها زوجته أو أمته أو أن يطأ أمه مشتركة بينه وبين غيره. (راجع المغني ٩/ ٥٢٨).

(١٢٠) راجع بدائع الصنائع (٣٨٧/٢).
وبداية المجتهد (٣٩/٢- ٤٠)، الكافي (٢/ ٥٤٢)، حاشية الدسوقي (٢/ ٢٥٠).
و المجموع (٢٦/ ٢١٧)، مغني المحتاج (٢٢٨/٣).
و المغني (٩/ ٥٢٨)، الشرح الكبير (٢٨٩/٢٠)، شرح الزركشي (١٦٢/٥)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/ ٦٦ – ٦٧)، الإنصاف (٢٨٧/٢٠)، كشاف القناع (٧٢/٥).

أدلة ذلك:

الدليل الأول:

الإجماع: قال ابن المنذر: أجمع كل من نحفظ عنه من علماء الأمصار على أن الرجل إذا وطئ امرأة بنكاح فاسد أو شراء فاسد أنها تحرم على أبيه وابنه وأجداده وولد ولده[١٢١].

الدليل الثاني:

قياس وطء الشبهة على الوطء المباح بجامع أن كلا منهما وطء يلحق به النسب[١٢٢].

خامسها:

البنت من الزنى.

اختلف العلماء في حكم نكاح الرجل ابنته من الزنى على قولين هما:

القول الأول:

ذهب الحنفية[١٢٣] والحنابلة[١٢٤] إلى أنه يحرم على الرجل نكاح ابنته من الزنى وهو ظاهر المذهب عند المالكية[١٢٥].

القول الثاني:

ذهب الشافعية[١٢٦] وبعض المالكية[١٢٧] إلى جواز نكاح الرجل ابنته من الزنى.

الأدلة:

أدلة القول الأول:

وهم القائلون بحرمة نكاح الرجل ابنته من الزنى.

استدلوا بما يلي:

الدليل الأول: قوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ...) [١٢٨] الآية.

---

(١٢١) المغني (٥٢٨).
(١٢٢) راجع المصدر السابق (٩/ ٥٢٨).
(١٢٣) راجع بدائع الصنائع (٣٨٢/٢)، فتح القدير (٣/ ٢٠٩، ٢١٩)، البناية على الهداية (٤/ ٥٢٦)، حاشية ابن عابدين (٣/ ٣٢).
(١٢٤) راجع المغني (٥٢٩/٩)، والمقنع (٢٠/ ٢٧٦)، الشرح الكبير (٢٠/ ٢٧٧)، مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣٤/٣٢)، شرح الزركشي (٦٩/٥)، الإنصاف (٢٠/ ٢٧٦)، كشاف القناع (٦٩/٥).
(١٢٥) راجع حاشية الدسوقي (٢/ ٢٥٠).
(١٢٦) راجع المجموع (٢٦/ ٢١٩)، مغني المحتاج (٣/ ٢٢٥)، فتح الباري (٩/ ٦١).
(١٢٧) راجع الموطأ (٢/ ٥٣٤)، بداية المجتهد (٢/ ٤٠)، الكافي (٢/ ٥٤٢).
(١٢٨) من الآية رقم (٢٣) من سورة النساء.

وجه الدلالة من الآية:

أن البنت من الزنى بنت للزاني حيث إنها خلقت من مائه، وكونها بنته حقيقة لا تختلف بالحل والحرمة، دليل ذلك ما يلي:

أولاً: ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك في قصة لعان هلال بن أمية وفيه أن رسول الله ﷺ قال: " أبصروها فإنْ جاءت به أبيض سبطا[١٢٩] قضيء[١٣٠] العينين فهو لهلال بن أمية وإنْ جاءت به أكحل[١٣١] جعدا[١٣٢] حمش[١٣٣]الساقين فهو لشريك ابن سحماء..."[١٣٤][١٣٥] الحديث.

وجه الدلالة من الحديث:

حيث نسب ولد الزنى للرجل المرمي بالزنى.

ثانياً: قياس تحريم البنت من الزنى على أبيها على تحريم نكاح الابن من الزنى لأمه، وهذا محل اتفاق بين أهل العلم، فعلم بذلك أن حكم الحرمة مما اعتبر فيه حقيقة الجهة[١٣٦].

ثالثاً: أن الأصل في الألفاظ حملها على معانيها اللغوية ما لم يرد نقلها إلى معان أخرى ولفظ (البنت) لم ينقل فيبقى على حقيقته اللغوية.

اعتراض:

اعترض على هذا الدليل بما يلي:

أن بنت الزنى وإن كانت بنتاً من الناحية اللغوية فالحكم المتعلق بها حكم شرعي وهو التحريم وهذا الحكم إنما يتعلق بالوطء الحلال لقوله تعالى: (وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ...)[١٣٧]الآية فحرم على الابن نكاح من ينكحها أبوه فقط.

أما الحديث فيمكن أنْ يعترض على الاستدلال به بما يلي:

أنه لا دلالة فيه على مسألتنا فقوله (فهو لشريك ابن سحماء) لا يعني أنه ابن له

(١٢٩) قوله (سبطا) بكسر الباء وإسكانها يراد بها الشعر المسترسل. (راجع النهاية (٢/ ٣٣٤).
(١٣٠) قوله (قضيء) على وزن فعيل أي فاسد العين بكثرة دمع أو حمرة. (راجع النهاية ٤/ ٧٦).
(١٣١) الكَحَل: سواد في أجفان العين خلقه. (النهاية في غريب الحديث ٤/ ١٥٤).
(١٣٢) الجعد: بفتح الجيم وسكون العين هو الشعر غير المسترسل. (النهاية ٣٣٤/٢، حاشية السندي على سنن النسائي ١٧٢/٦).
(١٣٣) قوله حمش: بفتح الحاء وسكون الميم: أي دقيق الساقين. (راجع النهاية ٤٤٠/١).
(١٣٤) هو شريك ابن سحماء بفتح السين وسكون الحاء وسحماء أمه واسم أبيه عبدة بن مغيث بن العجلان البلوي حليف الأنصار، كان أخ البراء بن مالك لأمه، بعثه أبو بكر رسولاً إلى خالد بن الوليد باليمامة ليأمره بالاتجاه إلى العراق، كان أحد الأمراء بالشام في عهد أبي بكر. (راجع الإصابة ١٥٠/٢ رقم ٣٨٩٨).
(١٣٥) أخرجه مسلم كتاب اللعان برقم (١٤٩٦).
(١٣٦) راجع فتح القدير (٣/ ٢١٩). مغني المحتاج (٢٢٥/٣).
(١٣٧) الآية رقم (٢٢) من سورة النساء.

ويلحقه نسبه بل يعني صحة ما قاله هلال بن أمية في قذفه لامرأته، دليل ذلك ما أخرجه البخاري عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ لاعن بين رجل وامرأة فانتفى من ولدها ففرق بينهما وألحق الولد بالمرأة[١٣٨].

الدليل الثاني:

قياس وطء الزنى على وطء الشبهة[١٣٩].

الدليل الثالث:

قياس البنت من الزنى على بنت الرضاع بطريق الأولى فبنت الرضاع تحرم على أبيها بسبب كونها تغذت بلبن در بوطئه فكيف تحل بنت الزنى لأبيها مع أنها خلقت من مائه[١٤٠].

أدلة القول الثاني:

وهم القائلون بجواز نكاح الرجل ابنته من الزنى.

الدليل الأول:

أن التحريم إنما يتعلق بالوطء الحلال لا الحرام لقوله تعالى: (وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ ...) [١٤١] الآية.

وجه الدلالة من الآية:

حيث حرم على الرجل منكوحة أبيه لا من زنى بها أبوه.

الدليل الثاني:

أن البنت من الزنى لا تنتسب إلى الزاني شرعاً فلم تحرم عليه إذ الأحكام لا تتبعض[١٤٢].

اعتراض:

اعترض على هذا الدليل بما يلي:

الأول: أن تخلف بعض الأحكام لا ينفي كونها بنتا كما لو تخلف بعضها لرق أو اختلاف دين[١٤٣].

(١٣٨) أخرجه البخاري كتاب الطلاق باب يلحق الولد بالملاعنة برقم (٥٣١٥).
(١٣٩) راجع فتح القدير (٣/ ٢٠٩)، المغني (٩/ ٥٢٩ – ٥٣٠).
(١٤٠) راجع مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/ ١٣٦).
(١٤١) من الآية رقم (٢٢) من سورة النساء.
(١٤٢) راجع الموطأ (٢/ ٥٣٤)، المجموع (١٦/ ٢١٩).
(١٤٣) المغني (٩/ ٥٣٠)، بتصرف يسير.

الثاني: أن بنت الرضاع لا يثبت في حقها شيء من أحكام النسب سوى التحريم والمحرمية ومع ذلك تحرم على أبيها[١٤٤].

الترجيح:

يظهر أن الراجح والله أعلم هو القول الأول إذ لم يظهر الخلاف في هذه المسألة إلا بعد عصر الصحابة والتابعين يقول ابن تيمية رحمه الله -: لا يحل ذلك (أي نكاح البنت من الزنى) عند جماهير العلماء ولم يحل ذلك أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولهذا لم يعرف أحمد بن حنبل وغيره من العلماء مع كثرة اطلاعهم في ذلك نزاعاً بين السلف فأفتى أحمد بن حنبل إنْ فعل ذلك قُتِلَ فقيل له إنه حكى فلان في ذلك خلافاً عن مالك فقال يكذب فلان.[١٤٥] كما أنه وإنْ لم يكن مع أحد الفريقين نص خاص في المسألة إلا أنه من المتقرر أن الأعراض والفروج يحتاط لها[١٤٦]كما أن بالقول بالتحريم خروجا من الخلاف.

سادسها:

إذا زنى الرجل بامرأة حرمت على أبيه.

وقد اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين هما:

القول الأول:

ذهب الحنفية[١٤٧] والحنابلة[١٤٨] إلى أن الرجل إذا زنى بامرأة حرمت على أبيه وهو رواية عن الإمام مالك[١٤٩] وبه قال الحسن وعطاء وطاووس ومجاهد والشعبي والنخعي وإسحاق والثوري [١٥٠].

القول الثاني:

وذهب المالكية[١٥١] والشافعية[١٥٢] إلى أنها لا تحرم على أبيه وهو مروي عن ابن

(١٤٤) راجع مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/ ١٣٦).
(١٤٥) مجموع الفتاوى (٣٢/ ١٣٨ – ١٣٩).
(١٤٦) يقول الألباني: والمسألة اختلف فيها السلف وليس فيها نص مع أحد الفريقين وإنْ كان النظر والاعتبار يقتضي تحريم ذلك (أي نكاح البنت من الزنى). (سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/ ٥٦٦).
(١٤٧) راجع فتح القدير (٣/ ٢١٩)، البناية على الهداية (٤/ ٥٢٦)، حاشية ابن عابدين (٣/ ٣٢).
(١٤٨) راجع المغني (٩/ ٥٢٦)، المقنع (٢٠/ ٢٨٦)، الشرح الكبير (٢٠/ ٢٨٧)، مجموع فتاوى ابن تيمية (١٤٠/٣٢)، شرح الزركشي (٥/ ١٦٢)، الإنصاف (٢٠/ ٢٨٦)، كشاف القناع (٧٢/٥).
(١٤٩) راجع بداية المجتهد (٤٠/٢)، الكافي (٢/ ٥٤٢).
(١٥٠) راجع المغني (٩/ ٥٢٦).
(١٥١) راجع الموطأ (٥٣٤/٢)، المدونة (٢/ ١٨٧)، بداية المجتهد (٤٠/٢)، الكافي (٥٤٢/٢)، حاشية الدسوقي (٢٥١/٢).
(١٥٢) راجع المجموع (١٦/ ٢١٩)، مغني المحتاج ٢٢٩/٣)، فتح الباري (٩/ ٦١).

عباس وبه قال سعيد بن المسيب ويحيى بن يعمر[١٥٣] وعروة والزهري وأبو ثور وابن المنذر[١٥٤].

الأدلة:

أدلة القول الأول: وهم القائلون بالتحريم.

استدلوا بما يلي:

الدليل الأول:

قياس الزنى على الوطء حال الحيض فكلاهما محظور ومع ذلك تتعلق الأحكام بالوطء حال الحيض فكذلك وطء الزنى [١٥٥].

الدليل الثاني:

قياس الزنى على وطء الشبهة إذ أنه يحرّم فكذلك الزنى [١٥٦].

أدلة القول الثاني: وهم القائلون بحل المزني بها لأبِ الزاني.

استدلوا بما يلي:

الدليل الأول:

قوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ...) (٨)الآية (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ ... وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ ...) (٩)الآية.

وجه الدلالة من الآيتين:

أن الله سبحانه وتعالى بيَّن المحرمات ولم يذكر من بينهن ما نحن فيه ثم عَقَّب ذلك بحليَّة مَنْ عداهن فدل على أن المزني بها لا تحرم على أبِ الزاني.

مناقشة:

ونوقش هذا الاستدلال بما يلي: أن آية التحريم لم تذكر جميع المحرمات بل إن السنة وردت بتحريم بعض النساء كالعمة والخالة وهما لم يذكرا في الآية.

---

(١٥٣) هو يحيى بن يعمر البشري، كنيته أبو سليمان، قال عنه ابن حبان: كان من فصحاء أهل زمانه وأكثرهم علماً باللغة مع الورع الشديد، وقال الحاكم: يحيى بن يعمر فقيه أديب نحوي مروزي تابعي وأكثر روايته عن التابعين، توفي سنة (٨٩ هـ). (راجع تهذيب التهذيب ١١/ ٢٦٤).

(١٥٤) راجع المغني (٥٢٦/٩)، والرواية عن ابن عباس صححها الألباني كما في الإرواء (٦/ ٢٨٧ رقم ١٨٨١).

(١٥٥) راجع المغني (٩/ ٥٢٧).

(١٥٦) راجع المرجع نفسه (٩/ ٥٢٧).

(٨) من الآية رقم (٢٣) من سورة النساء.

(٩) من الآية رقم (٢٤) من سورة النساء.

الدليل الثاني:

ما أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ قال: " لا يحرِّم الحرام الحلال"[١٥٧].

وجه الدلالة من الحديث:

حيث بين النبي ﷺ أن الوطء الحرام لا يحرم النكاح.

الدليل الثالث:

أن المرأة لا تصير بالزنى فراشا وعليه فلا يتعلق به تحريم المصاهرة [١٥٨].

اعتراض:

اعترض على هذا الدليل بما يلي:

أن هذا الدليل منقوض بوطء الشبهة إذ لا تصير به المرأة فراشا ومع ذلك يحرّم [١٥٩].

الترجيح:

لم يظهر لي رجحان أي من القولين على الآخر.

المطلب الثامن

حكم اشتراط الأب لنفسه شيئاً من صداق ابنته

اختلف العلماء في حكم هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

القول الأول:

أن الأب إذا اشترط لنفسه شيئاً من صداق ابنته فلا حق له فيه بل هو لابنته وبه قال عطاء وطاووس وعكرمة وعمر بن عبدالعزيز والثوري وأبو عبيد القاسم بن سلام [١٦٠]، وهو قول مالك فيما إذا كان عند العقد أما إذا كان بعد العقد فهو للأب [١٦١].

قال ابن قدامة: "وقال عطاء وطاووس وعكرمة وعمر بن عبدالعزيز والثوري وأبو

(١٥٧) أخرجه ابن ماجه كتاب النكاح باب لا يحرم الحرام الحلال(السنن ٦٤٩/١ رقم ٢٠١٥) وقال: في إسناده عبدالله بن عمر (يعني العمري) وهو ضعيف، وضعفه الألباني كما في السلسلة الضعيفة (١٠/ ٥٦٤ رقم ٣٨٥)، وقال في الإرواء: وقد روي مرفوعاً من حديث ابن عمر وعائشة ولا يصح. الإرواء (٦/ ٢٨٨ رقم ١٨٨١).

(١٥٨) راجع المغني (٩/ ٥٢٧).

(١٥٩) راجع المرجع نفسه (٩/ ٥٢٧).

(١٦٠) راجع المغني (١٠/ ١١٨ – ١١٩)، فتح الباري (٩/ ١٢٥).

(١٦١) راجع بداية المجتهد (١٠/ ١١٨ – ١١٩)، فتح الباري (٩/ ١٢٥).

عبيد يكون كل ذلك للمرأة"[١٦٢].

وقال ابن رشد: "وقال مالك إذا كان الشرط عند النكاح فهو لابنته وإن كان بعد النكاح فهو له" [١٦٣].

القول الثاني:

وذهب الشافعية إلى أن اشتراط الأب لنفسه شيئاً من صداق ابنته يفسد الصداق ولها مهر المثل[١٦٤].

قال الثوري: "ولو نكح بألف على أن لأبيها أو أنْ يعطيه ألفا فالمذهب فساد الصداق ووجوب مهر المثل"[١٦٥].

القول الثالث:

وذهب الحنفية[١٦٦] والحنابلة إلى أنه يجوز للأب أنْ يشترط شيئاً من الصداق لنفسه وله ما اشترط[١٦٧].

قال ابن رشد: "واختلف العلماء فيمن نكح امرأة واشتُرط عليه في صداقها حباء يحابي به الأب على ثلاثة أقوال فقال أبو حنيفة وأصحابه الشرط لازم والصداق صحيح"[١٦٨].

قال ابن قدامة: "وجملة الأمر أنه يجوز لأبِ المرأة أنْ يشترط شيئاً من صداق ابنته لنفسه"[١٦٩].

الأدلة:

أدلة القول الأول:

وهم القائلون بأن الأب لا يستحق شيئاً من صداق ابنته إذا اشترط لنفسه.

لم أجد لهم أدلة فيما اطلعت عليه لكن يُستدل لمالك على التفريق بما يلي:

---

(١٦٢) المغني (١٠/ ١١٨ – ١١٩).
(١٦٣) بداية المجتهد (٢/ ٣٢).
(١٦٤) راجع المجموع (١٦/ ٣٣٥)، مغني المحتاج (٣/ ٢٨٨ – ٢٨٩)، فتح الباري (٩/ ١٢٥)، وزاد في الفتح: إنْ كان ذلك في نفس العقد وإنْ كان خارجاً فلا تجب.
(١٦٥) منهاج الطالبين (٣/ ٢٨٨ – ٢٨٩).
(١٦٦) راجع بداية المجتهد (٢/ ٣٢)، وقد رجعت إلى كتب الحنفية التي بين يدي، فلم أعثر على هذه المسألة في مظانها، ككتاب بدائع الصنائع، وفتح القدير، وحاشية ابن عابدين.
(١٦٧) راجع المقنع (٢١/ ١٣٩)، الشرح الكبير (٢١/ ١٣٩)، شرح الزركشي (٥/ ٢٩٣ – ٢٩٤)، الإنصاف (١٣٩/٢١ – ١٤٠).
(١٦٨) بداية المجتهد (٢/ ٣٢).
(١٦٩) المغني (١٠/ ١١٨).

الدليل الأول:

ما أخرجه أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: "أيما امرأة نكحت على صداق أو حباء[١٧٠] أو عدة[١٧١] قبل عصمة النكاح فهو لها وما كان بعد عصمة النكاح فهو لمن أعطيه وأحق ما أكرم علي الرجل ابنته أو أخته "[١٧٢].

وجه الدلالة من الحديث:

حيث بين النبي ﷺ أن المرأة تستحق جميع ما يذكر قبل العقد ولو كان ذلك الشيء مذكوراً لغيرها، وما كان بعد العقد فهو لمن جُعلَ له من ولي أو غيره[١٧٣].

الدليل الثاني:

أن الأب متهم فيما اشترط لنفسه عند عقده لنكاح ابنته في انقاصها عن صداق مثلها أما بعد العقد والاتفاق على الصداق فلا تهمة[١٧٤].

دليل القول الثاني:

وهم القائلون بفساد الصداق ووجوب مهر المثل.

دليل فساد الصداق:

أنه نقص من صداق ابنته لأجل هذا الشرط الفاسد وإذا أردنا أن نضم إلى المهر ما نقص منه فإن ذلك متعذر لأن مقدار النقص مجهول وعليه فيفسد المهر[١٧٥].

اعتراض:

اعترض على هذا الدليل بما يلي:

المنع: فنمنع أن يكون هذا الشرط فاسداً بدليل قصة شعيب الآتي ذكرها في أدلة القول الثالث[١٧٦].

(١٧٠) قوله (الحباء: بكسر الحاء وتخفيف الباء: العطية للغير أو للزوجة زائد على مهرها). (راجع سبل السلام ٢٦١/٣، النهاية ٣٣٦/١، عون المعبود ٦/ ١١٦).
(١٧١) قوله (عدة) بكسر العين وفتح الدال: ما وعد به الزوج وإن لم يحضره. (راجع سبل السلام ٣/ ٢٦١).
(١٧٢) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح باب في الرجل يدخل بامرأته قبل أن ينقدها شيئاً. (السنن ٢٤١/٢ رقم ٢١٢٩) وقال الشوكاني: الحديث سكت عنه أبو داود وأشار المنذري إلى أنه من رواية عمرو بن شعيب وفيه مقال معروف... ومَنْ دون عمرو بن شعيب ثقات. (نيل الأوطار ١٨٤/٦).
(١٧٣) راجع نيل الأوطار (٦/ ١٨٤).
(١٧٤) راجع بداية المجتهد (٢/ ٣٣)، سبل السلام (٣/ ٢٦١ – ٦٢٦).
(١٧٥) راجع المجموع (١٦/ ٣٣٥ – ٣٣٦).
(١٧٦) راجع المغني (١٠/ ١١٩).

دليل وجوب مهر المثل:

أن المهر لا يستحقه إلا المرأة إذ هو عوض بُضْعها[١٧٧].

أدلة القول الثالث:

وهم القائلون بجواز اشتراط الأب لنفسه شيئاً من صداق ابنته.

الدليل الأول:

قوله تعالى حكاية عن الرجل الصالح شعيب أنه قال لموسى: (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ...)[١٧٨] الآية.

وجه الدلالة من الآية:

حيث شرط الصداق لنفسه وهو الإجارة على رعاية غنمه[١٧٩].

الدليل الثاني:

ما أخرجه ابن ماجه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال لرجل (أنت ومالك لأبيك)[١٨٠].

وما أخرجه الترمذي عن عائشة أن النبي ﷺ قال: "إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم "[١٨١].

وجه الدلالة من الحديثين:

أن الأب وإنْ اشترط شيئاً من صداق ابنته لنفسه فقد تملك من مالها وتملك الأب من مال ولده جائز[١٨٢].

الترجيح:

يظهر أن الراجح والله أعلم قول مالك وذلك لقوة دليله.

---

(١٧٧) البضع: بضم الباء أي الفرج. (راجع القاموس ٩٠٨).
(١٧٨) من الآية رقم (٢٧) من سورة القصص.
(١٧٩) راجع المغني (١٠/ ١١٩)، تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٦).
(١٨٠) الحديث أخرجه ابن ماجه كتاب التجارات باب (ما للرجل من مال ولده) السنن (٧٦٩/٢) رقم (٢٢٩٢) وأبو داوود كتاب البيوع باب في الرجل يأكل من مال ولده السنن (٢٨٩/٣) رقم (٣٥٣٠) قال ابن حجر فمجموع طرقه لا تحطه عن القوة وجواز الاحتجاج به. الفتح (٢٥٠/٥) وصحح إسناده أحمد شاكر في تعليقه على المسند (١٥٧/١٠) وصححه الألباني في الإرواء (٦٥/٦).
(١٨١) الحديث أخرجه الترمذي كتاب الأحكام باب (ما جاء أن الوالد يأخذ من مال ولده) السنن (٦٣٩/٣) رقم (١٣٥٨) وأبو داوود كتاب البيوع (باب الرجل يأخذ من مال ولده) السنن (٢٨٨/٣) رقم (٣٥٢٨) والنسائي كتاب البيوع باب الحث على الكسب المجتبى (٢٤٠/٧) رقم (٤٤٤٩) وابن ماجه كتاب التجارات باب ما للرجل من مال ولده السنن (٧٦٨/٢) رقم (٢٢٩٠) وصححه الألباني كما في الإرواء (٦٥/٦).
(١٨٢) راجع المغني (١٠/ ١١٩).

المبحث الخامس

أحكام الأب في الطلاق والخلع

المطلب الأول:

حكم طلاق الأب زوجة ابنه الصغير[١٨٣]

اختلف العلماء في حكم هذه المسألة على قولين هما:

القول الأول:

ذهب الحنفية[١٨٤] والشافعية[١٨٥] والحنابلة[١٨٦] إلى أنه لا يجوز للأب أن يطلق زوجة ابنه الصغير وهذا هو قول الإمام مالك وابن القاسم من أصحابه[١٨٧].

قال الكاساني: "وليس له (أي الولي) أن يطلق امرأته (أي امرأة الصغير) "[١٨٨].

وقال الدردير: "ولا يجوز عند مالك وابن القاسم أن يطلق الولي عليهما (أي الصبي والمجنون) بغير عوض"[١٨٩].

وقال الشيرازي: "ولا يجوز للأب أن يطلق امرأة الابن الصغير بعوض وغير عوض"[١٩٠].

وقال المرداوي: "قوله (وهل للأب خلع زوجة ابنه الصغير أو طلاقها على روايتين... إحداهما ليس له ذلك وهو المذهب"[١٩١].

القول الثاني:

ذهب المالكية[١٩٢] إلى أنه يجوز للأب طلاق زوجة ابنه الصغير إذا كان ثَمَّ مصلحة للصغير وهو الرواية الأخرى عند الحنابلة[١٩٣].

---

(١٨٣) الطلاق في اللغة: التخلية. (القاموس ١١٦٨)، وهو حل قيد النكاح أو بعضه. (الروض المربع ٤٨٢/٦، المغني ١٠/ ٣٢٣).
(١٨٤) راجع بدائع الصنائع (٥/ ٢٢٨)، فتح القدير (٩/ ٢٥٧ – ٢٥٨)، البناية على الهداية (١٠/ ٩٦).
(١٨٥) راجع المجموع (١٧/ ٩)، مغني المحتاج (٢/ ٢٣٩).
(١٨٦) راجع المغني (١٠/ ٣١٢)، المقنع (٢٢/ ١٧)، الشرح الكبير (٢٢/ ١٧ – ١٨)، كشاف القناع (٥/ ٢١٤).
(١٨٧) راجع المدونة (٢/ ٢٤٢)، حاشية الدسوقي (٢/ ٣٥٢).
(١٨٨) بدائع الصنائع (٥/ ٢٢٨).
(١٨٩) حاشية الدسوقي (٢/ ٣٥٢).
(١٩٠) المجموع (١٧/ ٩).
(١٩١) الإنصاف (٢٢/ ١٧ – ١٨).
(١٩٢) راجع حاشية الدسوقي (٢/ ٣٥٢)، الشرح الكبير للدردير (٢/ ٣٥٢).
(١٩٣) راجع الإنصاف (٢٢/ ١٧ – ١٨).

قال الدسوقي المالكي: قال اللخمي: يجوز أنْ يطلق الولي على الصغير والسفيه بدون شيء يؤخذ.

وقال أيضاً: لا يوقع الطلاق على الصبي والمجنون واحد ممن ذكر إلا إذا كان على وجه النظر والمصلحة(١٩٤).

وقال المرداوي: "والرواية الثانية له ذلك (أي له طلاق زوجة ابنه الصغير) (١٩٥).

الأدلة:

أدلة القول الأول:

وهم القائلون بعدم جواز طلاق الأب زوجة ابنه الصغير.

استدلوا بما يلي:

الدليل الأول:

ما أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: "إنما الطلاق لمن أخذ بالساق"(١٩٦).

وجه الدلالة من الحديث:

حيث بيَّن النبي ﷺ أن الذي يختص بإيقاع الطلاق إنما هو الزوج(١٩٧).

الدليل الثاني:

ما أخرجه عبدالرزاق في المصنف عن سعيد بن جبير أنه قال: "إنما الطلاق بيد الذي يحل له الفرج"(١٩٨).

الدليل الثالث:

أن الطلاق من التصرفات الضَّارة بالابن فلم يملكه الأب إذ تصرفه منوط بمصلحة ابنه(١٩٩).

(١٩٤) حاشية الدسوقي (٢/ ٣٥٢).
(١٩٥) الإنصاف (٢٢/ ١٧ – ١٨).
(١٩٦) سنن ابن ماجه كتاب الطلاق باب طلاق العبد (٦٧٢/١)برقم ٢٠٨١)، وحسنه الألباني كما في الإرواء (١٠٨/٧ رقم ٢٠١٤).
(١٩٧) راجع المغني (١٠/ ٣١٢).
(١٩٨) المصنف كتاب الطلاق باب طلاق العبد بيد سيده (٧/ ٢٣٩)برقم (١٢٩٦٦).
(١٩٩) راجع بدائع الصنائع (٥/ ٢٢٨).

الدليل الرابع:

أن النكاح طريقه الشهوة فلم يدخل في الولاية[٢٠٠].

أدلة القول الثاني: وهم القائلون بجواز طلاق الأب زوجة ابنه الصغير للمصلحة.

الدليل الأول:

أن الأب ولي على ولده ولاية يملك بها التزويج فجاز أن يملك بها التطليق إذا لم يكن متهما[٢٠١].

الدليل الثاني:

أنه قد يكون في بقاء الزوجة في عصمته ضرر عليه وذلك كأن تكون غير صالحة[٢٠٢].

الترجيح:

يظهر أن الراجح والله أعلم هو القول الثاني وذلك لما يلي:

١- لوجاهة ما عللوا به.

٢- ولأنه مقيد بالمصلحة والولاية على الصغير منوطة بذلك.

المطلب الثاني

حكم مخالعة[٢٠٣] الأب زوجة ابنه الصغير

اختلف العلماء في حكم هذه المسألة على قولين:

القول الأول:

ذهب الحنفية[٢٠٤] والشافعية[٢٠٥] والحنابلة[٢٠٦] إلى أنه لا يجوز للأب أن يخالع زوجة ابنته الصغير.

قال ابن عابدين: "لو خلع (أي الأب) ابنه الصغير لا يصح "[٢٠٧].

---

(٢٠٠) المغني (١٠/ ٣١٢).
(٢٠١) راجع المغني (١٠/ ٣١٢).
(٢٠٢) راجع حاشية الدسوقي (٢/ ٣٥٢).
(٢٠٣) الخلع في اللغة: النزغ. (القاموس المحيط ٩٢١)، وهو فراق الزوجة بعوض بألفاظ مخصوصة. (الروض المربع ٤٥٩/٦، كشاف القناع ٥/ ٢١٢).
(٢٠٤) راجع حاشية ابن عابدين (٣/ ٤٥٧)، بداية المجتهد (٢/ ٨١).
(٢٠٥) راجع المجموع (١٧/ ٩)، مغني المحتاج (٢/ ٢٣٩).
(٢٠٦) راجع المغني (١٠/ ٣١٢)، الإنصاف (٢٢/ ١٧ – ١٨)، كشاف القناع (٥/ ٢١٤).
(٢٠٧) حاشية ابن عابدين (٣/ ٤٥٧).

وقال الشيرازي: "ولا يجوز للأب أن يطلق امرأة الابن الصغير بعوض وغير عوض"[٢٠٨].

وقال البهوتي: "وليس للأب خلع زوجة ابنه الصغير"[٢٠٩].

القول الثاني:

"وذهب المالكية إلى أنه يجوز للأب مخالعة زوجة ابنه الصغير لمصلحته"[٢١٠].

قال خليل المالكي في مختصره:

ومُوجبُه (أي موقع الخلع) زوج مكلف ولو سفيها أو ولي صغير أو سيدا أو غيرهما[٢١١].

ثم قال الدردير: "إذا كان الخلع لمن ذكر على وجه النظر"[٢١٢].

الأدلة:

هي أدلة المسألة السابقة.

كما يمكن أنْ يُستدل لأصحاب القول الثاني: بأنه عند تعذر استمرار عقد الزوجية فيصار إلى حله بطلاق أو خلع والأخير أحظ للصغير إذ التصرف له مقيد بالمصلحة.

الترجيح:

الراجح والله أعلم هو القول الثاني؛ ذلك أنه مقيد بالمصلحة، والولاية على الصغير منوطة بذلك.

(٢٠٨) المجموع (١٧/ ٩).
(٢٠٩) كشاف القناع (٥/ ٢١٤).
(٢١٠) راجع المدونة (٢٤٢/٢)، بداية المجتهد (٨١/٢)، الشرح الكبير للدردير (٢/ ٣٥٢)، حاشية الدسوقي (٣٥٢/٢).
(٢١١) مختصر خليل (٢/ ٣٥٢).
(٢١٢) الشرح الكبير (٢/ ٣٥٢).

المطلب الثالث

حكم مخالعة الأب عن ابنته الصغيرة من مالها

اختلف الفقهاء في حكم هذه المسألة على قولين:

القول الأول:

ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية[٢١٣] والشافعية[٢١٤] والحنابلة[٢١٥] إلى أنه لا يجوز للأب أن يخالع عن ابنته الصغيرة بشيء من مالها، فإنْ فعل ذلك لم يستحق شيئاً من مالها.

قال المرغيناني: "ومن خلع ابنته وهي صغيرة بمالها لم يجز عليها"[٢١٦].

وقال الشيرازي: "لا يجوز أن يخلع البنت الصغيرة من الزوج بشيء من مالها"[٢١٧].

وقال ابن قدامة: "وليس له خلع ابنته الصغيرة بشيء من مالها "[٢١٨].

القول الثاني:

وذهب المالكية[٢١٩] إلى أنه يجوز للأب أن يخالع عن ابنته الصغيرة من مالها، وذكره ابن قدامة احتمالاً إذا رأى لها مصلحة في ذلك[٢٢٠].

قال ابن رشد: "وقال مالك يخالع الأب على ابنته الصغيرة"[٢٢١].

وقال ابن قدامة: "ويحتمل أن يملك ذلك (أي المخالعة عن ابنته الصغيرة) إذا رأى الحظ فيه"[٢٢٢].

وقال المرداوي: "قلت هو الصواب"[٢٢٣].

(٢١٣) راجع فتح القدير (٤/ ٢٣٧)، البناية على الهداية (٣١٨/٥)، حاشية ابن عابدين (٤٥٧/٣).
(٢١٤) راجع المجموع (١٧/ ٩)، مغني المحتاج (٣/ ٣٥٣).
(٢١٥) راجع المغني (١٠/ ٣٠٧)، المقنع (٢٢/ ٢٠)، الإنصاف (٢٢/ ١٠ – ٢١)، كشاف القناع (٢١٤/٥).
(٢١٦) بداية المبتدي (٤/ ٢٣٧).
(٢١٧) المجموع (١٧/ ٩).
(٢١٨) المقنع (٢٢/ ٢٠).
(٢١٩) راجع المدونة (٢٤٢/٢)، بداية المجتهد (٨١/٢)، الكافي (٢/ ٥٢٣)، حاشية الدسوقي (٢/ ٣٤٨).
(٢٢٠) راجع المغني (١٠/ ٣٠٧).
(٢٢١) بداية المجتهد (٢/ ٨١).
(٢٢٢) المغني (١٠/ ٣٠٧).
(٢٢٣) الإنصاف (٢٢/ ٢١).

الأدلة:

دليل القول الأول:

وهم القائلون بعدم جواز مخالعة الأب عن ابنته الصغيرة من مالها.

استدلوا بما يلي:

أن الأب إنما يملك التصرف بمال ابنته الصغيرة على وجه الحظ والمصلحة لها ومخالعته عنها بمالها لا مصلحة لها فيه بل فيه مضرة عليها من ذهاب مالها وما يجب لها من نفقة وسكنى(٢٢٤).

أدلة القول الثاني:

وهم القائلون بجواز مخالعة الأب عن ابنته الصغيرة.

استدلوا بما يلي:

الدليل الأول:

أنه يجوز للأب أن يُنكح ابنته الصغيرة فكذا يجوز له المخالعة عنها (٢٢٥).

الدليل الثاني:

أن المصلحة قد تكون في المخالعة عنها كما لو كان الزوج ممن لا يؤمن في دينه(٢٢٦).

الترجيح:

يظهر أن الراجح والله أعلم هو القول الثاني مقيداً بالمصلحة وذلك لوجاهة ما عللوا به.

(٢٢٤) راجع فتح القدير (٤/ ٢٣٧)، المجموع (١٧/ ٩)، المغني (١٠/ ٣٠٧).
(٢٢٥) راجع المدونة (٢/ ٢٤٢)، بداية المجتهد (٢/ ٨١).
(٢٢٦) راجع المغني (١٠/ ٣٠٧).

الخاتمــة

وختاما فقد توصلت إلى النتائج المتمثلة في الآتي:

١- أب المرأة مقدم على ابنها في ولاية نكاحها.

٢- للأب تزويج ابنته البكر الصغيرة من دون رضاها.

٣- ليس للأب تزويج ابنته البكر البالغ إلا برضاها.

٤- يستحب للأب استئذان ابنته البكر البالغة في النكاح عند من يرى جواز إجبارها عليه.

٥- ليس للأب تزويج ابنته الثيب الصغيرة حتى تبلغ.

٦- ليس للأب تزويج ابنته الثيب البالغ حتى يستأمرها.

٧- للأب أن يزوج ابنته بدون صداق مثلها.

٨- للأب تزويج ابنه الصغير.

٩- يحرم على الأب نكاح ابنته، وزوجة ابنه، وابنته من الرضاعة، وموطوءة ابنه بشبهة، وابنته من الزنى، ومن زنى بها ابنه.

١٠- إذا اشترط الأب شيئًا من صداق ابنته لنفسه فإن كان قبل العقد فهو لها وإن كان بعد العقد فهو له.

١١- للأب طلاق زوجة ابنه الصغير إذا كان ثَمَّ مصلحة له.

١٢- للأب مخالعة زوجة ابنه الصغير إذا كان ثَمَّ مصلحة له.

١٣- للأب المخالعة عن ابنته الصغيرة من مالها إذا كان فيه مصلحة لها.

التوصيات

١- على العلماء أنْ يُعنوا عناية فائقة بهذا الميثاق الغليظ وبيان أحكامه للأمة.

٢- على دُور الإصلاح ومراكزه والجهات الحكومية المختصة القيام بدورها حيال التثقيف الأسري للمجتمع.

٣- على الجهات الحكومية المختصة القيام بالدور الرقابي حيال ما يقع من تجاوزات عند ابرام عقد النكاح تقع المرأة فيه تحت وطأة الظلم طيلة حياتها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي، تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

٣- الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، للسيوطي، تحقيق: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثانية، ١٤١٤هـ.

٤- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، مكتبة المثنى، بغداد، ط الأولى، ١٣٢٨هـ.

٥- الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط الحادية عشرة، ١٩٩٥م.

٦- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، للمرداوي، تحقيق: د. عبدالله التركي، د. عبدالفتاح الحلو، دار هجر، القاهرة، ط الأولى، ١٤١٥هـ (مع المقنع).

٧- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للكاساني، دار الفكر، بيروت،، ط الأولى، ١٤١٧هـ.

٨- بداية المبتدي، للمرغيناني، دار الفكر، بيروت، (مع فتح القدير).

٩- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد، تعليق عبدالحليم محمد عبدالحليم، دار الكتب الإسلامية، مصر، ط الثانية، ١٤١٣هـ.

١٠- البناية في شرح الهداية، للعيني، دار الفكر، بيروت، ط الثانية، ١٤١١هـ.

١١- التاج والإكليل لمختصر خليل، للمواق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٦هـ (مع مواهب الجليل).

١٢- تهذيب سنن أبي داود، لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت (مع معالم السنن للخطابي).

١٣- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٥هـ.

١٤- تكملة المجموع، للسبكي، دار الفكر، بيروت.

١٥- الجامع الصحيح المسند من حديث الرسول ﷺ وسننه وأيامه، للبخاري، المكتبة السلفية، القاهرة، ط الثانية، ١٤٠١هـ (مع فتح الباري).

١٦- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، للدسوقي، دار الفكر، بيروت.

١٧- حاشية رد المحتار على الدر المختار، لابن عابدين، دار الفكر، بيروت، ط الثانية، ١٤١٢هـ.

١٨- حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، لعبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط الثانية، ١٤٠٥هـ.

١٩- حاشية السندي على سنن النسائي، للسندي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٩هـ.

٢٠- الدر المختار شرح تنوير الأبصار، للحصفي، دار الفكر، بيروت، ط الثانية، ١٤٢٢هـ (مع حاشية رد المختار).

٢١- سبل السلام شرح بلوغ المرام، للصنعاني، تعليق: د. خليل ملا خاطر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط الثالثة، ١٤٠٥هـ.

٢٢- سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء في الأمة، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط الأول، ١٤١٢هـ.

٢٣- السنن الكبرى، للبيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٤- سنن ابن ماجه، لابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٥- سنن النسائي، للنسائي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٩هـ.

٢٦- شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، للقرافي، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، دار الفكر، القاهرة، ط الأولى، ١٣٩٣هـ.

٢٧- شرح الزركشي على مختصر الخرقي، للزركشي، تحقيق: د. عبدالله الجبرين، دار أولي النهى، بيروت، ط الثانية، ١٤١٤هـ.

٢٨- شرح صحيح مسلم، للنووي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ.

٢٩- شرح العناية على الهداية، للبابرتي، دار الفكر، بيروت (مع فتح القدير).

٣٠- الشرح الكبير لمختصر خليل، للدردير، دار افكر، بيروت،، مع حاشية الدسوقي.

٣١- الشرح الكبير، لأبي الفرج عبدالرحمن ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله التركي، د عبدالفتاح الحلو، دار هجر، القاهرة، ط الأولى، ١٤١٥هـ مع المقنع.

٣٢- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

٣٣- عون المعبود على سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد العظيم آبادي، دار الكتب

العلمية، بيروت، ط الثانية، ١٤١٥هـ.

٣٤- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، ط الثانية، ١٤٠١هـ.

٣٥- فتح القدير، للكمال ابن الهمام، دار الفكر، بيروت.

٣٦- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٧هـ.

٣٧- الكافي في فقه أهل المدينة، لابن عبد البر، تحقيق: د. محمد الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ط الثانية، ١٤٠٦هـ.

٣٨- كشاف القناع على متن الإقناع، للبهوتي، تعليق هلا مصطفى هلال، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣٩- اللباب في شرح الكتاب، لعبدالغني الغنيمي الميداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٠- المبسوط، للسرخسي، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية.

٤١- المجموع شرح المهذب، للنووي، دار الفكر، بيروت.

٤٢- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبدالرحمن بن قاسم، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ.

٤٣- مختصر الخرقي، للخرقي، دار هجر، القاهرة، ط الثانية، ١٤١٢هـ (مع المغني).

٤٤- مختصر خليل/ لخليل بن إسحاق المعروف بالجندي، دار الفكر، بيروت (مع حاشية الدسوقي).

٤٥- المدونة الكبرى، للإمام مالك برواية سحنون عن عبدالرحمن القاسم، دار الفكر، بيروت،، ١٤١١هـ.

٤٦- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، شرح أحمد شاكر، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة.

٤٧- المصنف، لعبدالرزاق الصنعاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٣هـ.

٤٨- المغني، لابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله التركي، ود. عبدالفتاح الحلو، دار هجر، القاهرة، ط الثانية، ١٤١٢هـ.

٤٩- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للشربيني، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

٥٠- المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته المدونة من الحكام، لأبي الوليد ابن رشد، دار الفكر، بيروت، ١٤١١هـ (مع المدونة الكبرى).

٥١- المقنع، لابن قدامة، تحقيق: عبدالله التركي، ود. عبد الفتاح الحلو، دار هجر، القاهرة، ط الأولى، ١٤١٥هـ.

٥٢- منهاج الطالبين، للنووي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

٥٣- المهذب، لأبي إسحاق الشيرازي، دار الفكر، بيروت، (مع المجموع).

٥٤- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، للحطاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٦هـ.

٥٥- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، تعليق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث، القاهرة.

٥٦- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، دار الفكر، بيروت.

٥٧- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، للشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٥هـ.

٥٨- الهداية شرح بداية المبتدي، للمرغيناني، دار الفكر، بيروت (مع فتح القدير).

مكانة المرأة ومشاركتها في المجال الاجتماعي في العهد النبوي

سمية ياسين جعفر السقاف
باحثة في مرحلة الدكتوراه

ملخص البحث:

عنوان البحث: مكانة المرأة ومشاركتها في المجال الاجتماعي في العهد النبوي

ما زالت المرأة ودورها يُمثِّلان محورًا رئيسًا في حياة الإنسان، فقد شغَلَت المرأة بقضيتها البشريَّةَ قديمًا وحديثًا، وجاء هذا البحث ليلقي الضوء على تلك القضية؛ مُبرِزًا مكانتها في الإسلام، ومُبيّنًا كيف أكرمها، وصانها، ورفع من قدرها، وكيف طبَّق النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وصحابته الأحكام الشرعية التي شُرِعت صيانةً لها، كما يكشِفُ عن تميُّز المرأة على الصعيد الاجتماعي في العهد النبوي، ويُظهِر أثرها الفعال في بناء المجتمع.

وقد استعرض في خاتمته أهم النتائج؛ ومنها:

أولًا: العهد النبوي شكَّل فترة زمنية متميزة في تاريخ المرأة؛ حيث أحدث تغَيُّرًا اجتماعيًّا هائلًا في حياتها، بنصوص الكتاب والسنة، وقد سُجِّل ذلك في كُتُب السِّيَر والطَّبَقات التي حفِظت لنا أحداث ذلك التغير.

ثانيًا: بلغت مشاركة المرأة في الأمور الاجتماعية في العهد النبوي أوجها؛ لكن الضعف الناتج عن البُعْد عما كان عليه المجتمع النبوي؛ انعكس سلبًا على مشاركة المرأة؛ فأصبحتِ التقاليد والعادات هي التي تتحكم في النظرة إلى المرأة؛ بدلًا من أحكام الشريعةِ، وتجاهل المجتمع كيف طبَّق رسول الأمة ﷺوصحابته –رضوان الله عليهم- النصوص الكريمة.

ثالثًا: تاريخ المجال الاجتماعي في الإسلام - وفي العهد النبوي خاصة - حافل بالنماذج النسائية الرائعة.

وخُتِم البحث بكَشَّاف للموضوعات؛ ليُعِين القارئ على الوصول إلى بُغْيته.

المقدمة:

الحمدُ لله الذي قدَّر فهدى، خالق الزوجين الذكر والأنثى، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، له الحمد في الأولى والآخرة، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله، وصَفِيُّه وخليله، خيرُ البرية أقصاها وأدناها، صلاة ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين؛ وبعدُ:

فمن أعظم القضايا التي شغَلَت البشرية في الزمن القديم، وهي ذاتها ما يشغلهم وسيشغلهم في الزمن الحاضر: «قضية المرأة».

ولا تزال تلك القضية تشغل العالم أجمع: الغربي، والإسلامي؛ يتناولونها تحت شعار الحريات، أو دَعْوى المساواة، أو تحريرها بإسقاط الولاية، وغير ذلك من الافتراءات.

ومن خلال هذا البحث: أُسلِّط الضَّوء على دور المرأة المسلمة في المجال الاجتماعي، وإسهامها الكبير، ودورها الرائد في حماية الوطن كما كان في المجتمع النبوي من خلال ما ورَدَ لنا في كتب السُّنَّة النبوية، وكتُب التراجِم التي ذكرت لنا من قصص الصحابيات أعظمها، ومن أدوارهم المشرِّفة أقواها وأبرزها.

فاخترتُ أن يكون عنوان البحث: «**مكانة المرأة ومشاركتها في المجال الاجتماعي في العهد النبوي** »، بيانا لما جاء في السنة النبوية من إظهار دور المرأة وإسهامها في حماية الدين.

ثمَّ إن كان شرف خدمة السنة النبوية، واللَّحاقِ برَكْبِ المعتنين بخدمتها الغاية الأولى، فإنَّ ثَمَّة غاياتٍ أُخَرَ أسهمت في ذلك؛ **منها:**

١) ترسيخ الوعي بمدى قدرة المرأة المسلمةِ الملتزمةِ بأحكامِ شريعتها، على المساهمة في حماية وطنها، سائرة على منهج مَن سبقها من أمَّهات المؤمنين، والصحابيات الممتثلات خير امتثال لأوامر الله ورسوله.

٢) التأكيد على رِيادة السُّنَّة النبوية في حلِّ مشكلات العصر، وأنَّ لها الدور الأكبر في تقويم المرأة، وتصحيح دورها للعمل في المجال الاجتماعي.

٣) إبرازُ كيفية تعامل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع المرأة، واهتمامه بها، ورعايته لشؤونها، وذلك من الأمور المهمة التي يحتاج إليها المجتمع المسلم في هذه الآونة؛ بل وتحتاجه البشرية أجمع.

- **أهداف البحث:**

١. إبراز المكانة المَرْموقة التي حظِيَت بها نساء العهد النبوي، والنساء عامة تحت مِظَلَّة الشريعة الإسلامية.

٢. التعرُّف على المكانة الاجتماعية التي بلغتها النساء في العهد النبوي.

٣. إبراز بعض الحقائق الداعية إلى إعادة النظر في ضرورة الاعتناء بشأن المرأة؛ مما من شأنه إعانتها على القيام بما يتوجب عليها من مهام اجتماعية تتناسب وقدراتها.

٤. إبراز مدى النجاح الذي يمكن للمرأة أن تحققه في المجال الاجتماعي؛ إن أُعطِيت حقَّها من المكانة والحقوق التي شُرِعت لها.

حدود البحث:

يقتصر البحث على دراسة مشاركة المرأة في المجال الاجتماعي في العهد النبوي.

- **الدراسات السابقة:**

تنوعت الدراسات المتعلقة بدور المرأة في العهد النبوي وكثُرَت، فبعضها تحدَّث عن الناحية التربوية، والآخر السياسية، والاجتماعية، والفكرية، ومنها الرسائل الجامعية، ومنها المؤلَّفات، والمقالات والخُطَب، والنَّدَوات، وهي كثيرة، وكلها كانت إما في نشر الوَعْي والثقافة على الصعيد العام، أو لتفعيل أدوار أمَّهات المؤمنين والصحابيات في عصرنا، أو لإقناع أهل الفكر المنحرف، ودُعَاة التغريب، وغيرهم، أو للردِّ على مطاعن أهل الضلال في الأحكام الشرعية التي شُرِعت في حق المرأة، ومن تلك الدراسات على سبيل المثال، لا الحصر:

١) دور أمَّهات المؤمنين السياسي، والفكري، والاجتماعي، منذ وفاة النبي ﷺ حتى نهاية الدولة الأُمَويَّة. للباحثة: هناء طه محمود، رسالة جامعية نالت بها الطالبة درجة الماجستير من جامعة تكريت في العراق، قسم التاريخ الإسلامي، كلية التربية، عام ١٤٣٠هـ.

لم أقف على الرسالة كاملة؛ لعدم توَفُّرها على الشبكة الإلكترونية كاملة، والذي يظهر من خلال عنوان البحث، وبعض الصفحات المتاحة على الشبكة أن هذه الرسالة اكتفت بتخصيص دور أمهات المؤمنين فقط، وكذا تناولت دورهن من بعد وفاة النبي ﷺ حتى نهاية الدولة الأُمويَّة.

٢) الدور التربوي للمرأة المسلمة في العهد النبوي المكي. نجلاء بنت زين العابدين بن محمد المعلمي، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية المقارنة، اكتفت الباحثة في ذلك البحث بالتربية الإسلامية للمرأة المسلمة، وخصصته بالعهد المكي، من بعد البعثة النبوية إلى قبل الهجرة النبوية.

٣) حقوق المرأة في ضوء السنة النبوية. نوال العيد، احتوى البحث على حقوق المرأة كاملة من خلال الأحاديث الواردة في السُّنَّة النبوية.

٤) المرأة في السُّنَّة النبوية المطهرة. صادق بن محمد الهادي، مادة مرشحة للفوز في مسابقة كاتب الألوكة، ذكر فيه الباحث الأحاديث الصحيحة والضعيفة في المرأة، ثم ذكر من الأحاديث الصحيحة الوظائف التي قامت بها المرأة.

٥) مَناقب النساء الصحابيات. لعبد الغني المقدسي، تحدث فيه عن صحابيتين فقط: صفية بنت عبد المطلب، أم عُمارة نُسَيْبة بنت كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٦) تفعيل الأداء الاجتماعي للمرأة المسلمة من خلال الهَدْي النبوي الشريف. مقال نشرته رسالة الإسلام، الملتقى الفقهي. بقلم د/ فريدة صادق زوزو.

أضيف في ١٤٣٣/٨/٢٤هـ، الموافق ٢٠١٢/٧/١٤م، ١١:٤١ص، وهو يتكلم عن كيفية تفعيل الأداء الاجتماعي للمرأة المسلمة، من أجل مساهمتها في وَحْدة الأمة، وتحديد المعوقات أو التحديات الأساسية التي تواجهها، والحلول المعينة لذلك التفعيل.

- **منهج البحث وإجراءاته:**

يسير هذا البحث وَفْق منهجين أساسيين:

المنهج الأول: الاستقرائي؛ إذ يتتبع أخبار الصحابيات من كتُب الحديث، أو السِّيَر، ويختار بعض النماذج منها، ويعضُدُها بآثارٍ من السُّنَّة الشريفة.

المنهج الثاني: التحليلي الاستنباطي؛ وذلك بإبراز دور بعض النماذج لأمَّهات المؤمنين في خدمة الدين الإسلامي، وبعض الصحابياتِ الأطهار، وكيفية تعامل النبي عليه الصلاة والسلام، وصحابته الأبرار معهنَّ، ومقارنة ذلك التعامل مع التعامل مع المرأة في الواقع المعاصر.

ومن إجراءات البحث أيضًا:

١) عزو الآيات القرآنية في المتن، بذكر اسم السورة، ورقم الآية، وجعلت ذلك بين معقوفتين [...].

٢) الاكتفاء بالأحاديث الواردة في الصحيحين، أو أحدهما، فإن لم تُوجَد ففي كتب الأحاديث المسندة، مع ذكر الحكم على الأحاديث في غير الصحيحين.

٣) الاكتفاء بتخريج الحديث من موضع واحد؛ إن ورد في عدة مواضع في الصحيحين، أو غيرها.

٤) الاكتفاء بتخريج الحديث من كتاب واحد؛ إن وجد في الكتب الأربعة جميعها، أو بعضها.

٥) الاكتفاء في ترجمة العلم في الموضع الأول بإيجاز، والاقتصار في الترجمة على اسم العلم، والنسب، والكنية، والوفاة، ووجه شهرته، عدا الصحابة؛ فإني أزيد في ترجمتهم شيئًا قليلًا.

٦) إن قلَّت عناصر الترجمة عمَّا أشرت إليه؛ فإنَّ هذا يعني أني لم أقف على غير ذلك في الموارد والمراجع.

٧) التعريف بالأماكنِ عند أول موضع ترد فيه، عدا المدن الإسلامية المقدسة، وعواصم الخلافات الإسلامية على اختلاف العصور.

٨) يتضمن التعريف بالأماكن موضعها قديمًا وحديثًا، معتمدة في ذلك على المصادر الحديثة.

٩) قد تُختصَر عناوين المصادر في الحاشية، ويُجعَل بيانها كاملًا ضمن ثبت المصادر والمراجع.

- **خطة البحث**:

تتكوَّن خطة البحث من مقدمة، ومطلبين، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: واحتوت على أهمية البحث، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وإجراءاته، وخطة البحث.

المطلب الأول: المرأة بين التكريم والمساواة في الإسلام

المطلب الثاني: دور المرأة الاجتماعي في العهد النبوي

وفيه: ست مسائل:

- **المسألة الأولى:** التثبيت والمُؤَازَرة.
- **المسألة الثانية:** تربية الرجال منهج وضرورة.
- **المسألة الثالثة:** المَشُورة الحكيمة.
- **المسألة الرابعة:** التعليم ونَشْر العلم.
- **المسالة الخامسة:** البطولات النادرة.
- **المسألة السادسة:** الصحابيات الطبيبات.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، وعدد من التوصيات.

واللهَ أسأل التوفيق والفتح والرَّشاد، وأرجوه التجاوز عن الزَّلَّة، وحُسْنَ التوفيقِ لما يُحِب ويرضى، إنَّه خير مسؤول، وأفضل مأمول.

وما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، والله المستعان، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله.

والآن أشرع في المقصود، وأسأله تعالى التأييد والتسديد، إنه هو الوليُّ الحميد.

- **المطلب الأول: المرأة بين المساواة والتكريم في الإسلام**

رفع الإسلام من شأن المرأة، وأنزلها منزلة رفيعة؛ إذ لم تكن في الجاهلية ذات حَظْوة بقدر ما منحها الإسلام، وكذلك في اليهودية والنصرانية والمجوسية وغير ذلك من سائر الأديان الفاسدة الباطلة، فرفعها الإسلام وأنصفها، وأعطاها من الحقوق أكملها، وساوى بينها وبين الرجل «مساواة كاملة»، وهو الأصل العام الذي ارتكزت عليه أحكام الشريعة الإسلامية؛ إلا ما بينت الشريعة اختصاص أحدهما على الآخر، سواء كان الاختصاص بها، أو كانت الخصوصية له، وليس في ذلك الاختصاص ظلم لأحدهما، ولا إجحاف، أو تمييز لأحدهما على الآخر، وإنما هو مقتضى كَمال علم العليم الخبير، وكمال قدرته، وكمال إرادته، وكمال عدله. ولعلَّ المتتبع للأحكام الخاصة بالمرأة يجد فيها مراعاة لتكوينها الجسدي والعاطفي.

وقد بيَّن الله تعالى ذلك في كتابه مجملًا؛ فقال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

ومما يبين ذلك أيضًا أسلوب الحصر الذي استخدمه النبي ﷺ في قوله: «**إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ**»[(١)].

وكذلك ما كان من رده على أسماء بنت يزيد الأنصاريَّة[(٢)]؛ حين أتَتْ إليه سائلة، ترجوه أن يُبيِّن لها ما للمرأة من قدر وفَضْل، فقد أخرج البيهقي في "شُعَبه" عنها: أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه، فقالت: «بأبي أنت وأمِّي، إني وافدة النِّساء إليك، واعلم - نفسي لك الفِدَاء -: أما إنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا، أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي، إنَّ الله بعَثَكَ بالحق إلى الرجال والنساء؛ فآمَنَّا بك، وبإلهك الذي أرسلَكَ، وإنا معشرَ النِّساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شَهَواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم - معاشر الرجال - فُضِّلْتُم علينا بالجمعة والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإنَّ الرجل منكم إذا أخرج حاجًّا أو معتمرًا، أو مُرابطًا؛ حفِظْنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، ورَبَّيْنا لكم أولادكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟!».

فالتفَتَ النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله، ثم قال: «**هَلْ سَمِعْتُمْ مَقَالَةَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ مَسْأَلَتِهَا فِي أَمْرِ دِينِهَا مِنْ هَذِهِ؟**»، فقالوا: يا رسول الله، ما ظنَنَّا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها، ثم قال لها: «**انْصَرِفِي**

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب الرجل يجد البلة في منامه، حديث رقم: ٣٦٣. حسن لغيره.
(٢) أسماء بنت يزيد الأنصارية، رسولُ النِّساء إلى النبي ﷺ. ينظر: أسد الغابة، لابن الأثير (١٤٧٦)، والإصابة لابن حجر، (٤٣/٨).

أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ، وَأَعْلِمِي مَنْ خَلْفَكِ مِنَ النِّسَاءِ أَنَّ حُسْنَ تَبَعُّلِ إِحْدَاكُنَّ لِزَوْجِهَا، وَطَلَبَهَا مَرْضَاتِهِ، وَاتِّبَاعَهَا مُوَافَقَتَهُ تَعْدِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ»[٣].

وبناءً على ذلك: فليس ثَمَّة أسباب تدفع لاستقصاء جميع الأحكام التي ساوت بين الطرفين؛ طالما أن الأصل أنهم في جميع الأحكام سواء؛ إلا من خصته الشريعة كما أسلفت، وأذكر بعض الأمثلة على سبيل المثال لا على الحَصْر:

خلق الله كلًّا من الرجلِ والمرأةِ على الفطرة، قال ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**»، ثم يقول أبو هريرة[٤] رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا...﴾ [الروم: ٣٠] الآية[٥].

وكذا ساوى بينهم في الكرامة الإنسانية التي خلقهم عليها، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

قال السمعاني في "تفسيره": «فيه أقوال: رُوِي عن ابن عباس[٦] أنه قال: هو أكلهم باليد، وسائر الحيوانات يأكلون بأفواههم.

وقيل: امتداد القامة وانتصابها، والدواب مُنكَبَّة على وجوهها.

وقيل: بالعقل، والتمييز.

وقيل: بأن سخَّر جميع الأشياء لهم. وقيل: بأن جعل فيهم خير أُمَّة أُخرجت للناس.

وَقيل: بالخَطِّ والقلم»[٧].

---

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب: في حقوق الأولاد والأهلين، حديث رقم: (٨٣٦٩). في الإسناد رجل غير معروف.

(٤) عبد الرحمن بن صخر، وقيل: عبد الله بن عمرو، وقيل غير ذلك، أبو هريرة الدَّوْسي، الصحابي الجليل، أسلم يوم خيبر، وشهدها، توفي سنة سبع وخمسين، وقيل: ثمان وخمسين، وقيل غير ذلك. ينظر: الاستيعاب، لابن عبد البر (١٧٦٨/٤-١٧٧٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يُصلَّى عليه، وهل يُعرَض على الصبي الإسلام، حديث رقم: (١٣٥٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى «**كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ**»، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، حديث رقم: (٢٦٥٨).

(٦) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، أبو العباس القرشي الهاشمي، الصحابي الجليل، ابن عمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، حَبْر الأمة وفقيهها، تُوفِّي سنة ثمان وستين، وقيل: سنة سبعين. ينظر: الاستيعاب، لابن عبد البر (٩٣٣/٣-٩٣٤)، وأُسْد الغابة، لابن الأثير (٢٩١/٣-٢٩٤).

(٧) تفسير القرآن، السمعاني (٢٦٢/٣).

كما ساوى بينهم في أخذ الميثاق الإلهي؛ فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وساوى بينهم في: خَلْقِهم في أحسن تقويم، وفي التمَلُّك، والإجارة، والبيع والشراء، والتعليم، والعمل، وفي غير ذلك من الحقوق؛ بما لا يخالفُ أحكام الشريعة، وبما يتماشى مع الخِلْقة التي خلقهم الله عليها.

ولم يساوِ الله بينهما في شؤون الحياة الدنيوية فقط؛ بل وفي الأمور الأخروية؛ من الفوز بجنات النعيم، والتمتُّع بِمَتاعها، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧].

قال الطبري في "تفسيره" للآية الكريمة: «من عمل بطاعة الله، وأوفى بعهود الله إذا عاهد، ﴿ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾: من بني آدم، ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾: يقول: وهو مُصدِّق بثواب الله الذي وعد أهل طاعته على الطاعة، وبوَعيد أهل معصيته على المعصية؛ ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾»[٨]، وغير ذلك من الأدلة كثير.

وهذه المساواة الكاملة تنطبق على جميع الأحكام التشريعية التي ورد خطاب الشارع فيها بصيغ العموم دون تخصيص، أو ما كان بصيغة التذكير؛ والمقصد منها تعميمه على كلا الجنسين، وهذا لا يخفى على كل من له تمرُّس بأساليب اللغة العربية.

وجمعت الشريعة الإسلامية مع المساواة تكريمَ المرأة، ورفعت من قدرها، وهذا التكريم له صُوَر كثيرة في شريعتنا، وهي مما يطول استقصاؤه، والتعليق عليه، ولكن أذكر بعضها للتمثيل، والتذكير والبيان، فقد جعلها الإسلام:

أُمًّا كريمة، مأمورًا ببِرّها في حياتها، وبعد مماتها، وجعل برَّها مقرونًا بحق الله تعالى.

وزوجةً مكرمةً، مأمورًا بالإنفاق عليها، والإحسان إليها، وكفِّ الأذى عنها.

وابنةً معطوفًا عليها مرحومة، يُلزَم المرء بالإحسان إليها: تربيةً، وتوجيهًا، ورعايةً، ونفقةً حتى تستقلَّ بنفسها، أو تنتقل لبيت زوجها.

وأختًا مأمورًا بصِلَتها، وإكرامها، والحفاظ عليها.

وخالةً بمنزلة الأم في البِرّ والصِّلَة.

وجَدَّةً ذات قيمة بين أولادها، وأحفادها، لا يُرَدُّ لها طلب، ولا يُسَفَّهُ لها رأي.

(٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٣٥٠/١٤).

وكذا جُعِلت الخيرية في الرجال؛ فيمن كان فيه خير لأهله، وكان خير معينٍ، وخير سَنَد؛ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي، وَإِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ**»(٩).

وكذا حفِظَت الشريعة للمرأة المسلمة كَرامتها، وعِرضها، وحَسْبُنا في ذلك ما أنزله الله تعالى من فوق سبع سمواتٍ من عقوبةٍ، كتبها وقدَّرها على من تعدَّى على عِرْض مسلمة، أو قذَفَها، أو بَهَتها فقال عز من قائل: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٤].

فأغلظ العقوبة للقاذف، وأعقبها بعقوبة الخِزْي الأبدي له بعدم قبولِ شهادته؛ ما امتدت به الحياة، وختم ذلك كله بأن وصفه فاسقًا، خارجًا عن طاعة الله، فاجرًا.

وعاود في موضع آخر العقوبة لمن قذف مؤمنة عفيفة غافلة؛ لا يقع في قلبها فعل الفاحشة، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ٢٣].

فجعله ملعونًا مطرودًا من رحمته في الدنيا والآخرة، وله في الآخرة العذاب العظيم؛ جزاء تعَدِّيه على أعراض المسلمات، وقَذْفِه لهنَّ بما هنَّ بَريئات منه؛ ولولا مكانة المرأة المسلمة العفيفة، وعُلُوُّ قدرها عند خالقها؛ لما أوجَبَ هذا العذاب المهين، والخِزْي العظيم لمن تعَدَّى عليها، وفكَّرَ في النَّيْل من عِرْضها؛ رجلًا كان، أو امرأة.

ومن مكانة المرأة المسلمة في الشريعة الإسلامية أن أعطاها مطلق الحريَّة في التصرُّف في شؤونها، وفي ممتلكاتها تحت أحكام الشريعة السَّمْحة، وأعطاها الحقَّ المطلق في اختيار شريك حياتها، وليس لوَلِيِّها جَبْرها على أن تنكح مَن يريد، وليس له عَضْلها أو قَهْرها؛ بل حفظت لها الشريعة حقوقها؛ إن تزوجت، وتبين لها عدم التوافق بينهما، أو صعوبة إكمال حياتها معه، فأعطتها كامل الحقّ في فَسْخ نِكاحها، تأكَّدَ ذلك من

(٩) أخرجه الترمذي في سننه، باب: في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: (٣٨٩٥). حديثٌ حسنٌ صحيح.

فعلِ الخَنْساءِ بنت خِدَامٍ الأنصاريةِ[١٠] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ حيث ذكرَتْ: أنَّ أباها زوَّجَها وهي ثيِّبٌ، فكرِهَت ذلك، فأتَتِ النبي ﷺ، «فردَّ نِكاحَه»[١١].

ولا ننسَ بَريرة[١٢] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حين شفَعَ نبي الأمة ﷺ لترجع لزوجها مُغيث[١٣]؛ إذ كان يُحبُّها حبًّا شديدًا، وكانت له مُبغِضة؛ فرفضت، ولم يمنعها النبي ﷺ، ولم يُوَبِّخها؛ بل أعطاها مُطلق الحرية في رأيها، ويروي لنا البخاري في "صحيحه" خبر بَريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ حيث أخرج بسنده عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ زوج بَريرة كان عبدًا يُقال له مُغيث، كأنِّي أنظر إليه يطوف خلفها يبكي، ودموعه تسيل على لِحْيَته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعباس: «**يَا عَبَّاسُ، أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا**»، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لَوْ رَاجَعْتِهِ**»، قالت: يا رسول الله تأمُرُني؟ قال: «**إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ**»، قالت: لا حاجةَ لي فيه[١٤].

كما أبطل الإسلام عادة جاهلية؛ إذ كانوا يرِثون نساء آبائهم بعد وفاة آبائهم؛ كما يرِثون أموالهم، ويتصرَّفون فيهنَّ بالزواج، أو تزويجهنَّ لمن يشاؤون، أو يمنعونهنَّ الزواج، فكان في ذلك ظلم للمرأة، وإجحافٌ لها، فحرَّم الإسلام ذلك؛ فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا ﴾ [النساء: ١٩].

ومن مكانة المرأة في الإسلام قَبول تَعْديلِ بعضهنّ لبعض، ففي حادثة الإفْكِ التي تكلَّم فيها المنافقون في أمِّ المؤمنين عائشة[١٥] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كان النبي ﷺ يسأل الصحابة

(١٠) خنساء بنت خِدَام بن وديعة الأنصارية، روى عنها عبد الرحمن ومجمع ابنا يزيد. ينظر: الاستيعاب، لابن عبد البر (١٨٢٦/٤)، وأُسْد الغابة، لابن الأثير (٨٩/٧).

(١١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب: إذا زوَّج ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود، رقم الحديث: (٥١٣٨).

(١٢) بَريرة مولاة عائشة بنت أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنها، كانت مولاة لبعض بني هلال، وقيل لغيرهم، فكاتبوها، ثم باعوها من عائشة فاعتقتها. ينظر: الاستيعاب، لابن عبد البر (١٧٩٥/٤)، وأُسْد الغابة، لابن الأثير (٣٧/٧).

(١٣) مُغيث زوج بَريرة، كان عبدًا لبعض بني مطيع، اختُلِف في وقت عتق زوجته بريرة؛ هل كان وقتَها عبدًا، أو حرًّا؟ والأرجح الأول. ينظر: الاستيعاب، لابن عبد البر (١٤٤٣/٤).

(١٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب شَفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في زوج بَريرة، رقم الحديث: (٥٢٨٣).

(١٥) عائشة بنت أبي بكر الصديق، أمُّ المؤمنين¶، لم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم بِكْرًا غيرها، تُوفِّيت سنة سبع وخمسين، وقيل: ثمان وخمسين، روَتْ عن النبي كثيرًا، وروى عنها كثير من الصحابة والتابعين. ينظر: الاستيعاب، لابن عبد البر (١٨٨١/٤، ١٨٨٥)، وأُسْد الغابة، لابن الأثير (١٨٩/٧، ١٨٦).

والصحابيات عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فذهب لبَريرة يسألها، فقال: «**يَا بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ؟**»، فقالت بَريرةُ: لا، والذي بعَثَكَ بالحقِّ، إنْ رأيتُ منها أمرًا أغمِصُه عليها قطُّ، أكثر من أنها جارية حديثة السِّنِّ، تنام عن العَجين، فتأتي الداجِنُ فتأكُلُه...».

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم زينبَ بنت جَحْشٍ[١٦]عن أمر عائشة، فقال: «**يَا زَيْنَبُ، مَا عَلِمْتِ مَا رَأَيْتِ؟**»، فقالت: يا رسول الله، أَحْمي سَمْعي وبَصَري، واللهِ ما علمتُ عليها إلا خيرًا...»[١٧].

فلو لم تكن المرأة في شريعتنا ذات قَدْرٍ لم يقبل النبي ﷺ قولها، ولم يكن ليسألها في أحبِّ نسائه إليه.

وكذا إجارةُ مَن تُجير؛ فليس ذلك بالأمر السهل اليسير، أن تُقبَلَ إجارتُها، ومن ذلك ما جاء عن مولى أم هانئ بنت أبي طالب[١٨]، أنه سمع أمَّ هانئٍ بنتَ أبي طالب، تقول: ذهبتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح، فوجَدتْه يغتسِلُ، وفاطمة ابنته تستُرُه، فسلَّمتْ عليه، فقال: «**مَنْ هَذِهِ؟**»، فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب، فقال: «**مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ**»، فلما فرغ من غسله، قام فصلى ثماني ركعات ملتحفًا في ثوب واحد، فقلت: يا رسولَ الله زعم ابن أمي عليٌّ أنه قاتل رجلًا قد أجَرْتُه، فلانُ بن هُبَيرةَ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ**»، قالت أم هانئ: وذلك ضُحًى[١٩].

والمقام ليس مقام تفصيل عن مساواة المرأة بالرجل، أو مكانة المرأة في الشريعة الإسلامية، فهذا مما لا تكفيه البحوث والمجلات، والنَّدَوات والمؤتمرات، والرسائل العلمية؛ لإعطاءِ هذا الموضوع حقه؛ لأنه لا يوجد ديانة أعطت المرأة كامل حقوقها منذ طفولتها حتى مماتها مثلما أعطته الشريعة الإسلامية للنساء.

---

(١٦) زينب بنت جحش بن خزيمة، أمُّ لمؤمنين رضي الله عنها، تزَوَّجها النبي صلى الله عليه وسلم سنة خمس من الهجرة، وقيل: سنة ثلاث، ولا خلاف أنها كانت قبله تحت زيد بن حارثة، وهي أوَّل زَوجات النبي لحوقًا به بعد وفاته، تُوفِّيت سنة عشرين، وقيل غير ذلك. ينظر: الاستيعاب، لابن عبد البر (١٨٤٩/٤-١٨٥٠، ١٨٥٢).

(١٧) سؤال النبي صلى الله عليه وسلم لبَريرة وزينب، هو جزء من حديث مطولٍ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب تعديل النِّساء بعضهن لبعض، حديث رقم: (٢٦٦١).*ومعنى قول بريرة: "تنام عن العجين، فتأتي الداجن فتأكله..."، هو كناية عن أنها تعجن العجين وتتركه بلا غطاء، ويأتي الدجاج ويأكله، والداجن هو ما يُربى في البيوتِ من شاة وغيرها. ينظر: صحيح مسلم مع شرحه المسمى: إكمال اكمال المعلم (٢٠٧/٩).

(١٨) أمُّ هانئ بنت أبي طالب بن عبد المطلب القرشية الهاشمية، بنت عمِّ النبي صلى الله عليه وسلم، وأخت عليّ بن أبي طالب، شَقيقته، اختُلِف في اسمها؛ فقيل: هند، وقيل: فاختة، أسلمت عام الفتح. ينظر: الاستيعاب، لابن عبد البر (١٩٦٣/٤)، وأُسْد الغابة، لابن الأثير (٣٩٣/٧).

(١٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب أمان النِّساء وجِوَارهن، حديث رقم: (٣١٧١)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، وأنَّ أقلها ركعتان، وأكملها ثمان ركعات، وأوسطها أربع ركعات، أو ست، والحث على المحافظة عليها، حديث رقم: (٨٢).

وبذلك يعلم المُنصِف أنَّ أحكام الشريعة عندما نزلَتْ على المصطفى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولقَّنَها صحابته الأبرار ﷺ؛ أنهم فهِموا أنَّ المرأة مساوية للرجل في الأصل، وأنَّ لها قدرًا كبيرًا، ومَكانة عالية، وطبَّقوا ذلك تطبيقًا عمليًّا دقيقًا، وأحسنوا التعامل مع تلك الأحكام، فحينئذ خرج للنساء في عهدهم من الأدوارِ ما لم يخرج في زماننا هذا، فتميز عطاؤها على الصعيد الاجتماعي، والسياسي، والتنموي، والاقتصادي، وغير ذلك، وأصبح بعضهن مَضرِبَ المَثَل في كل زمان ومكان، وقدوة يُقتدَى بها.

ومن هذا المنطلق سأكتفي في المطلب التالي بتسليط الضوء على دور المرأة الاجتماعي في العهد النبوي، وكيف استطاعت أن تتميز بدورها، وتعطي فيه بكامل حريتها، وكيف كان المنهج النبوي في التعامل معها.. والله ولي التوفيق.

المطلب الثاني: دور المرأة الاجتماعي في العَهْد النبوي

قام الإسلام بالمرأة، وشاركت في القيام به، وكان أثرها في تكوين رجاله، وتصريف حَوادثه، أشبه ما يكون بأثر الغَدير الهادئ الفَيَّاض في زَهْر الرِّياض(٢٠).

كانت قوية، ناصرة لدين الله القويم الذي انتسبت إليه منذ بُزوغ فَجْره، فكانت سَبَّاقة مسارعة لتساهم في بناء أول لَبِناتِه، فشاركت في كل فروع الحياة في العَهْد النبوي؛ منذ نزول جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالوَحْي على نبي الأمة صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ؛ حتى أعجزت من خلفها.

فلم يشبه النساء الصحابيات أحد من العالمين، في عظمة حياتهنَّ، وعُلُوِّ منزلتهنَّ، وقوَّةِ إيمانهنَّ، وصدقِ تضحيتهنَّ، بل أصبح كل من ورائهنَّ يجاهد ليَحْذُو حذوهنَّ، ويسير مسيرهنَّ، ويبلُغَ في النُّصْرةِ لهذا الدِّين مَبْلَغهنَّ؛ وهَيْهات هَيْهات!

ولْنَرَ من خلال المواقف التي ستُذكَر: كيف كان لنساء العهد النبوي الأثر الكبير، والإسهام الرائد في المجال الاجتماعي في الحِقْبة الزَّمَنية التي عِشْنَها، وكيف ترجمْنَ الإيمان الثابت، واليقين الراسخ إلى سلوك عملي ناشط في مجتمعهنَّ.

❁ المسألة الأولى: التثبيت والمُؤَازَرة

منذ أن نزل جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالوَحْي على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، جسدت معه – زوجه خديجة رضي الله عنها- سيدة نساء العالمين، أسمى معاني الحب والتضحية والمُؤَازَرة ممَّا تتَّسِم به الزوجة الصالحة، وتمثَّل موقفها معه تمثيلًا عمليًّا دقيقًا موافقًا لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٩]، فكانت خير سَكَنٍ له، أسكَنَتْ خوفه، وأزالت قَلَقه، فشكلت علامة بارزة ومؤثرة في سيرة

(٢٠) ينظر: المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، عبد الله عفيفي (٨/١).

النبي ﷺ الدَّعْوية، فساندته برأيها، وبجاهها، وبحكمتها، ومَشورتها، ومالها، فساهمت في دَعْمه بكل ما تملك، دثَّرَت، وزَمَّلَت عندما جاء يشكو إليها ثِقَل الوَحْي؛ فطمأنت نفسه الطاهرة بكلمات خالدة، أبانت عن حِنْكَتها، وحسن تصرُّفها، وإدارتها للموقف، واحتوائها لمن هو لها سَكَن؛ فقالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَلَّا أَبْشِرْ، فواللهِ، لا يُخْزِيكَ اللهُ أبدًا، واللهِ، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتصدُقُ الحديثَ، وتحمِلُ الكَلَّ، وتَكْسِبُ المَعْدومَ، وتَقْري الضَّيْفَ، وتُعينُ على نَوائبِ الحَقِّ...»[٢١].

فاستمرت خديجة[٢٢] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في تثبيت قلب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فكانت أوَّلَ مَن آمَنَ به، وأيَّدَ أمره، وكانت تحاول أن تُخفف كلَّ حُزِن عن قلبه.

كانت له العَوْن والمعين، والسَّنَد والنصير، والمشير بالرأي السديد، وقامت بما لم يقُمْ به أقوى الرِّجال وأحكمهم، فخُلِّد ذكرها بسيرة مُشرِقة، مُشرِّفة، فرضي الله عنها؛ إذ بشَّرَها ببيتٍ لا صَخَبَ فيه، ولا نَصَبَ؛ كما أخرجه الشيخان بإسنادهما في "صحيحيهما": عن أبي هُرَيرة رضي الله عنه، قال: أتى جِبريلُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فقال: «**يَا رَسُولَ اللهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ، أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ**»[٢٣].

نخلُصُ من هذا الموقف إلى: أن للمرأة دورًا مهمًّا في حياة الرجل عامة، وفي حياة الرجل المسؤولِ خاصة، فإن لم تكن حكيمة عاقلة، قادرة على الاحتواء والمُؤَازَرة؛ فلن تنجح مهمة الرجل كما ينبغي، فكل مسؤول يحتاج إلى زوجة كخديجة رضي الله عنها!

وعلى الرجل المسؤول أن يحفظ للمرأة حقَّها وقَدْرها؛ كما حفِظَه النبي ﷺ لخديجة رضي الله عنها؛ كما هو معلوم، ونلحَظ في واقعنا بعض النماذج من الأزواج- للأسف – الذي يتنكر لامرأته بعد عُلُوِّ قَدْره، وارتفاع شأنه، وتحقيق مُراده، بعد أن كانت له مُؤازِرةً طيلةَ مِشْواره، فلما وصل لما يريد، جعل ينظر إليها نظرة دونية، ويرى أن فكرها لا

(٢١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب: أول ما بُدِئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوَحْي الرؤيا الصادقة، رقم الحديث: (٦٩٨٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بَدْءِ الوَحْي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: (٢٥٢).

(٢٢) خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية الأسدية. زوج النبي صلى الله عليه وسلم، تزَوَّجها وعمرها أربعون سنة، وعمره: ابن خمس وعشرين سنة، ولَدَت له جميع أبنائه، وأول من آمَنَ به، تُوفِّيت قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل: بأربع، وقيل غير ذلك. ينظر: الاستيعاب، لابن عبد البر (١٨٢٥/٤)، وأُسْد الغابة، لابن الأثير (٨٠/٧).

(٢٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها، رقم الحديث: (٣٨٢٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين، رقم الحديث: (٧١).

يتماشى مع فكره، ولا يرقى لمستواه، فيبحث عن أخرى تناسب فكره، والمستوى الذي وصل إليه.

بخلاف ما كان من موقف النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الذي حفظ لخديجة رضي الله عنها حقَّها، وكان وَفِيًّا لها في حياتها، وبعد مماتها(٢٤).

المسألة الثانية: تربية الرجال منهج وضرورة

عندما استشعر الصحابِيَّات الأمانة المُلْقاة على أكتافهِنَّ من تربية الأبناء، وعلِمْنَ أنَّ الله استَخلَفَهنَّ في الأرض؛ كما استَخلَف الرجال، قُمْنَ بواجبهِنَّ على أتم وجه، وصبَرْنَ على تربية أبنائهِنَّ؛ إيمانًا بما لهنَّ من عظيم الأثر في تشييد دَعائم المجتمع الإسلامي، والذي لن يبلغ ذِروته وعِزَّه إلا برجاله ونسائه، فأخرجوا لنا من النماذجِ ما لم تخرجه لنا المعاهد والجامعات، فكانت الصحابِيَّات هُنَّ المعلمات بصدق؛ فتلك صَفِيَّةُ بنت عبد المُطَّلِب(٢٥) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أخرجت لنا حَوَاريَّ رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ الزُّبَير بن العَوَّام(٢٦) رضي الله عنه، فقد جاء في السِّيَر: «أن صَفِيَّة كانت تضرب الزُّبَير ضربًا شديدًا وهو يتيم، فقيل لها: قتلتِه، خلعتِ فؤاده، أهلكتِ هذا الغلام! قالت: إنما أضربه كي يلَبْ، ويجر الجيش ذا الجَلَبْ»(٢٧).

وقد حفِظ لنا التاريخ موقف أسماء بنت أبي بكر الصِّدِّيق(٢٨) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا مع ابنها عبد الله بن الزُّبَير(٢٩) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ كيف كانت رَجاحة عقلها، وشدة حَزْمها، وقوة إيمانها، عند اللقاء

---

(٢٤) يوضح ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده برقم: (٢٥٣٧٦) عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكَر خديجة أثنى عليها، فأحسن الثناء، قالت : فغِرْتُ يومًا، فقلت: ما أكثر ما تذكرها حَمْراءَ الشِّدْق، قد أبدلَكَ الله عز وجل بها خيرًا منها، قال : «**مَا أَبْدَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي؛ إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي؛ إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا؛ إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ**».

(٢٥) صَفِيَّة بنت عبد المطلب بن هاشم، عمة رسول الله رضي الله عنها، تُوفِّيت في خلافة عمر بن الخطاب سنة عشرين. ينظر: الاستيعاب، لابن عبد البر (١٨٧٣/٤)، وأسد الغابة، لابن الأثير (١٧١/٧).

(٢٦) الزبير بن العوَّام بن خويلد القرشي الأسدي، أبو عبد الله، أسلم الزبير وهو ابن خمس عشرة سنة، وقيل غير ذلك. غزا جميع الغزوات مع النبي صلى الله عليه وسلم، وهو حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن العشرة المبشرين بالجنة، تُوفِّي سنة ست وثلاثين. ينظر: الاستيعاب، لابن عبد البر (٥١٠/٢-٥١٦)، وأسد الغابة، لابن الأثير (٣٠٧/٢).

(٢٧) ينظر: الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد (٧٥/٣).

(٢٨) أسماء بنت أبي بكر الصديق القرشية الهاشمية، زوج الزبير بن العوام، ذات النطاقين، سماها به النبي ﷺ، روى عنها عبد الله بن عباس، وابنها عروة وغيرهم، تُوفِّيت سنة ثلاث وسبعين. ينظر: أُسْد الغابة، لابن الأثير (٧/٧)، والإصابة، لابن حجر (١٢/٨-١٤).

(٢٩) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر، وهو المشهور في كنيته، وكذا يُكنى بأبي خبيب، أول مولود في الإسلام للمهاجرين، أول شيء دخل جوفه ريق النبي صلى الله عليه وسلم، تُوفِّي سنة ثلاث وسبعين. ينظر: الاستيعاب، لابن عبد البر (٩٠٥/٣، ٩٠٧)، وأسد الغابة، ابن الأثير (٢٤١/٣).

الأخير الذي كان بينها وبينه حين حاقت به المكاره، وتخلَّى عنه أهله وأولاده وجيشه؟! إذ حاصره الحجاج بن يوسف[٣٠] في مكة، وكان قد بُويع بالخلافة، وحين علم أنه مقتول لا محالة، دخل عليها، وأراد أن يتيقَّنَ من صبرها وثباتها، فقال لها بعد حوارٍ دار بينهما: «...يا أمَّاه! لقد خذلني الناس وانحازوا عني؛ رهبةً من الحجَّاج، أو رغبةً بما عنده، حتى أولادي وأهلي انفضُّوا عني، ولم يبقَ معي إلا نفَر قليل من رجالي، وهم مهما عظم جَلَدهم فلن يصبروا إلا ساعة أو ساعتين، ورُسُل بني أُميَّة يفاوضونني على أن يعطوني ما شئت من الدنيا؛ إذا ألقيت السلاح، وبايعت عبد الملك بن مَرْوان[٣١]، فما ترَيْنَ؟!

فعَلَا صوتها، وقالت: الشأن شأنك يا عبد الله، وأنت أعلم بنفسك، فإن كنت تعتقد أنك على حق، وتدعو إلى حق؛ فاصبر وجالد كما صبر أصحابك الذين قُتِلوا تحت رايتك، وإن كنت إنَّما أردتَّ الدنيا فلبئس العبد أنتَ، أهلكتَ نفسك، وأهلكتَ رجالك.

قال: ولكنِّي مقتول اليوم لا محالة!

قالت: ذلك خيرٌ لك من أن تسلم نفسك للحجَّاج مختارًا، فيلعب برأسك غلمان بني أميَّة.

قال: لست أخشى القتل، وإنما أخاف أن يُمثِّلوا بي.

فقالت له مقولتها الشهيرة: «ليس بعد القتل ما يخافه المرء، فالشاة المذبوحة لا يؤلمها السَّلْخ».

ولم تتوقف في تعليم ولدها عند هذا الحد؛ بل في تعليم الأمهات من بعدها، فبثت روح الشجاعة فيه حتى آخر لحظة، فقالت: «اقترب منِّي يا بنيَّ لأتشمَّم رائحتك، وألمس جسدك، فقد يكون هذا آخر العهد بك.

فأكبَّ عبد الله على يديها ورجليها يوسعهما لَثْمًا، وأجالت هي أنفها في رأسه، ووجهه، وعنقه، تتشَمَّمه وتُقبِّله، وأطلقت يديها تتلمَّس جسده، ثم ما لبثت أن ردَّتهما عنه وهي تقول:

قال: درعي.

قالت: ما هذا يا بنيَّ لباس من يريد الشَّهادة.

قال: إنما لبِستُها لأطيب خاطِرِكِ، وأُسَكِّن قلبكِ.

---

(٣٠) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد، كان للحجاج في القتل وسفك الدماء والعقوبات غرائب لم يسمع بمثلها. ينظر: وَفَيَات الأعيان، لابن خلكان (٢٩/٢) وما بعدها.

(٣١) عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو الوليد، بُويع له بالخلافة بعد موت أبيه، وكان كريم الخصال قبل الخلافة، وعندما تولاها تبدل كما قال سعيد بن المسيّب، تُوفِّي سنة ست وثمانين. ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (٣٨٧/١٠، ٣٨٩-٣٩٠).

قالت: انزِعها عنكَ، فذلك أشد لحميتك، وأقوى لوَثْبتك، وأخَفُّ لحركتك؛ ولكن البَس بدلًا منها سراويل مضاعفة، حتى إذا صُرِعت لم تنكشِف عَوْرتكَ»[٣٢].

فهذه أسماء بنت أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، تقدِّم لنا أصدق مثال على التضحية والفِداء، تحكمت في عاطفتها، وجادت بفِلْذة كَبِدِها إلى ساحاتِ المجد في الدُّنيا والآخرة بعد عونِ الله وتوفيقه، فأخرجت للمجتمع رجلًا لن ينسى التاريخ شجاعته وإقدامه؛ مع ما رزقه الله من خشية وعبادة.

هذه النماذج التي وقَفْنا عليها في التربية، إنما هي ثمرة تربية الإسلام للمرأة، ومعاملة التكريم من النبي ﷺ وصحابته الأبرار رضي الله عنهم لها، فأثمرت تلك المعاملة نماذج من النساء أدرَكْنَ دورهنَّ في الحياة الاجتماعية، وفي تربية أبنائهن تربية يخدُمْنَ بها الإسلام والمسلمين، ويقُمْنَ بدورهنَّ في خدمته، وفي إعلاء شأنه.

❁ المسألة الثالثة: المَشورة الحكيمة

عندما خرج المسلمون في السنة السادسة للهجرة يريدون مكة المكرمة مع النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، ومنعهم كفار مكة من الدخول، تمَّ عقد صلح الحُدَيْبية[٣٣] بشروطه المعروفة، فبعد إبرام الصلح بين النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وقريش، أمر صحابته رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بالتحَلُّلِ ونَحْرِ الهَدْي، فقال ﷺ: «**قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا**»، فعزَّ عليهم ذلك، ولم يقُمْ منهم رجل واحد، فدخل على زوجه أم سَلَمة[٣٤]، وذكر لها ما لقِيَ من الناس، فقالت رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «يا نبي الله، أتُحِبُّ ذلك، اخرُجْ، ثم لا تكلِّم أحدًا منهم كلمة، حتى تنحَرَ بُدْنَكَ، وتدعُوَ حالِقَكَ فيحلِقَكَ»، فخرج، فلم يكلِّم أحدًا منهم؛ حتى فعل ذلك؛ نحر بُدْنَه، ودعا حالِقَه فحلَقَه، فلما رأوا ذلك قاموا، فنحروا، وجعل بعضهم يحلِقُ بعضًا؛ حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غَمًّا...»[٣٥].

---

(٣٢) ينظر: صور من حياة الصحابيات، عبد الرحمن رأفت الباشا (ص٦١) بتصرف.

(٣٣) الحُدَيْبية: بضم الحاء المهملة، مخففة الياء الآخرة، ساكنة الأولى، فيها كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، وتبعد عن مكة من جهة الغرب اثنين وعشرين كيلًا على طريق جُدَّة القديم، وهو الطريق الذي يمر بالحُدَيبية. ينظر: معجم ما استعجم، عبد الله البكري (٤٣٠/٢)، ومعجم المعالم الجغرافية، عاتق البلادي (ص٩٤).

(٣٤) هند بنت أبي أمية، أم سَلَمة، زوج النبي رضي الله عنها، أول من هاجر إلى أرض الحبشة مع زوجها أبي سلمة قبل وفاته، وقبل زواجها من النبي صلى الله عليه وسلم، وكذا من المهاجرات إلى المدينة، تُوفِّيت سنة ستين. ينظر: الاستيعاب، ابن عبد البر (١٩٢٠/٤)، وأسد الغابة، لابن الأثير (٣٢٩/٧).

(٣٥) حديثٌ مطولٌ، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم الحديث: (٢٧٣١).

وبهذا الرأي السَّديد، والعقل الرَّشيد، حفِظَت كِيان المجتمع النبوي من التصَدُّع، ووَقَتْه من التدهوُر، وجعلت الصحابة رضي الله عنهم يأتمرون بأمر نبيهم، ويجتازون الأزمة النفسية التي انتابتهم، فأنهت خلافًا عظيمًا، وأذهبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم همًّا كبيرًا، ففاقت بعقلها وحكمتها الرِّجال، فكيف لا تكون بتلك الحكمة، وهي مَن أعلاها الإسلام، وربَّاها محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وهنا نرى كيف قبِلَ رسول الأمة صلى الله عليه وسلم المَشورةَ من امرأة، ولم يُفرِّق بين رجل وامرأةٍ في قَبولِ أمر الشُّورى، رغم وجود كبار الصحابة معه، فضرب من المَثَل أروَعَه في تكريم زوجته، وأبان بموقفه كيف أعطى الإسلام المرأة حقَّها من التقدير، وأعلى شأنها؛ حتى أخذ نبي الأمة يعمل برأيها، وهو خلاف لما يصدر من بعض المتنطعين، فتجده لا يفكر أن يخبرها بشؤون حياته؛ فضلًا عن أن يأخذ برأيها ومَشورتها، ومَن يتحرَّج أمام أهله وأصحابه أن يقول: أشارت عليَّ فلانة.

بل زعم بعضهم أن الرسول ﷺ قال: «شاوروهنَّ، وخالفوهنَّ»[٣٦]، ولم يثبت رفعه للنبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وما علم هؤلاء أنَّ الشُّورى سلوك يُنظِّم شؤون الأسرة؛ بل الحياة كلها، وأنها مِن صفات مَن أجاب الله لكل ما أَمَر به؛ حيث قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى: ٣٧].

❁ المسألة الرابعة: التعليم ونَشْر العلم

أخرج البخاري في "صحيحه" عن أبي سعيد الخُدْري؛ قالت النِّساء للنبي صلى الله عليه وسلم: غلَبَنا عليك الرِّجال، فاجعَلْ لنا يومًا من نفْسِكَ، فوعَدهُنَّ يومًا لقِيَهنَّ فيه، فوعَظَهنَّ وأمَرهنَّ، فكان فيما قال لهن: «**مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ**»، فقالت امرأة: واثنتين؟ فقال: «**وَاثْنَتَيْنِ**»[٣٧].

من الحديث النبوي السابق نرى كيف تميَّزَ النِّساء في العَصْر النَّبَوي بأدب الخطاب والحوار، وكيف وجَدْنَ من المصطفى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الحرص على العَطاء، والكَرم، وحُسْن الخلق في الجواب، وكيف شجَّع رغبَتهُنَّ في العلم والتعلُّم، وحرصهنَّ على الفقه والتفقه.

(٣٦) قال السخاوي: «لم أَرَه مرفوعًا». ينظر: المقاصد الحسنة، للسخاوي (٤٠٠).
(٣٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: هل يُجعَل للنِّساء يومًا على حدة في العلم؟ رقم الحديث: (١٠١).

كما نرى كيف كان طموحهنَّ للعلم والتعلُّم، فلم تَحُلْ رعايتُهنَّ لبيوتِهنَّ، واحتواؤُهُنَّ لأزواجهنَّ، وتربيتُهنَّ لأولادِهِنَّ بين طلبِ العلم، وسُلوكِ طريقِ الخير والرَّشاد، ابتغاء ما عند الله من الأجورِ في الدنيا والآخرة.

فكان دورهنَّ في إثراء الحركة العلمية واضحًا، وجهدهنَّ في تنشيطها وتفعيلها واستمرارها بَيِّنًا ظاهرًا، لا يُنكِره صاحب بَصيرة؛ حتى حفَلَ ذلك العَهْد بنساء عالمات، وعلى رأسهنَّ أمَّهات المؤمنين.

فمِن هذه السطور القليلة، وهذا الأثر النبوي نخرج بأن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يمانع في تعليم المرأة، ولم يوكل لوَلِيِّ أمرها تعليمها؛ بل فتح لها المجال، وجعله تحت ضوابط الإسلام، فجعل لهن يومًا خاصًّا، يجتَمِعْنَ فيه في بيت إحدى الصحابِيَّات، بعيدًا عن مجالس الرجال. فنخرج بذلك بأمرين:

١. إقرار حق المرأة في طلب العلم، واحترام رغبتها في ذلك، وعدم منعها لأي سبَبٍ كان.

٢. مراعاة الضوابط الشرعية في تعَلُّمها، فتعليمها ونُبوغها في العلم لا يكون على حساب شريعة الله؛ إذ لا تتعارض مع أوضاع النِّساء في أي عصر من العصور.

❁ المسالة الخامسة: البطولات النادرة

منذ أن بزَغ نور الإسلام في قلوب الصحابِيَّات، وتغَلْغَل الإيمان في قلوبهنَّ، وأصبح الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- أحبَّ إليهنَّ من المال والنَّفْس والولد، قدَّمْنَ لأنفُسِهنَّ ولنِساء الأمة المحمدية من بعدهنَّ سيرة مُشرِقة، خلَّد ذِكْرَها التاريخ، وكسَرْنَ القواعد والأعراف التي قد تخص الحرب، وحِفظ الأوطان، والجهاد بالرجال، دون النساء.

بل أبلغوا مَن وراءَهُنَّ مِن النِّساء أنَّ ساحات الجهاد والكفاح الديني تتسع للرجال والنِّساء، والكل يحمل المشاعر الدينية، ويستطيع أن يؤدي واجبه دفاعًا عن دينه، ووطنه، وعِرْضه، وكَرامته، ومن تلك النِّساء اللاتي أوصلن تلك الرسالة:

نُسَيبة المازنيَّة أم عُمارة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا[٣٨]؛ إذ قدَّمت لنا في غزوة أحدٍ[٣٩] أروَعَ النماذج للمرأة القوية، التي فاقَتْ بعض الرجال في الثبات القلبي والجسدي، حين تفَرَّق كثير منهم، وكانت يدها من أجرَإِ الأيادي، فلم تُهزَم، ولم يجرفها التيار؛ بل أخذت سيفًا من ساحة

(٣٨) نُسَيْبة بنت كعب بن عمرو بن عوف، أم عُمارة، أسلمت، وحضرت ليلة العَقَبة، وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهدت أُحُدًا، والحُدَيْبية، وخيبر، وعمرة القضية، وحُنَينًا، ويوم اليمامة، وقُطِعت يدَها. انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٤١٢/٨-٤١٥)، وأنساب الأشراف، للبلاذري (٢٥٠/١).

(٣٩) أُحُد: بضم الهمزة والحاء المهملة، وآخره دال مهملة؛ جبل تلقاء المدينة المنورة داخل حرمها، ويُشرِف عليها من الشمال، يُرَى بالعين، وهو من أشهر الجبال. ينظر: معجم ما استعجم، عبد الله بن عبد العزيز البكري (١١٧/١)، ومعجم المعاجم الجغرافية، عاتق بن غيث البلادي (١٩).

المعركة، ودافعت عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ دفاعًا أعجب نبي الأمة صلى الله عليه وسلم، حتى قال ﷺ بعدها: «**مَا الْتَفَتُّ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إِلَّا وَأَنَا أَرَاهَا تُقَاتِلُ دُونِي**»(٤٠).

وكان من خبرها أنها خرجت مع النبي ﷺ في أحد تسقي الظمأى، وتُعالِج الجَرْحى، وكانت بداية المعركة لصالح المسلمين، ثم تبدَّلَتِ الأحوال وتغَيَّرت، ودارت الدائرة على المسلمين، وتحوَّل الأمر للمشركين، وبدأت سِهامهم وسُيوفهم تطعن في المسلمين، فبدأوا يسقطون على أرض المعركة شهيدًا إثْرَ شهيد، وتزلزلت الأقدام، وتفرَّقَ الرجال عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ حتى ما بقِيَ معه إلا القليل، فهنا علمت نُسَيْبة رضي الله عنها أنَّ واجبها قد أتى، فألقت سِقاءها، وانطلقت إلى المعركة، وأحاطت بالنبي ﷺ إحاطة السِّوَار بالمِعْصَم، ودافعت عنه، وجالَدَتْ، حتى رأت ابنها يناضل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وضُرب ابنها أمامها ضربة قاسية، فضمدت جرحه، وقالت: «انهض يا بني، وجالد القوم».

فالتفت إليها المصطفى - صلوات ربي وسلامه عليه - وقال: «**وَمَنْ يُطِيقُ مَا تُطِيقِينَ يَا أُمَّ عُمَارَةَ**»(٤١).

بهذا نرى تميُّز المرأة في بعض المواقف على الرجال، ونرى كيف نقل الرجال بطولتها ومواقفها دون شعور بالحرج، وهذا يدل على أن المجتمع الذي ربَّاه محمد صلى الله عليه وسلم لا يقلل من دور النِّساء، ولا يُحقِّر من بُطولاتِهِنَّ؛ كمثل الواقع لدينا؛ إذ نجد بعض الناس يُخفي إنجازاتها متى كانت، ومنهم مَن يتحَرَّج مِن ذكر ذلك أمام الرجال، وإن كانوا من أهلها، وذَويها، وقَرابتها.

❁ المسألة السادسة: الصحابيات الطبيبات

طُويت صحف التاريخ والسِّيَرِ على كثير من فُضْلَيات النِّساء في العَهْد النَّبَوي، كنَّ قد خرَجْنَ في رُفْقة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لغَزَواته، فكُنَّ يُداوينَ الجَرْحى، ويُعالِجْنَ المرضى، ويَسقينَ الماء، فكان لمساهمتهنَّ في ذلك الأثر البالغ على تميز المجال الطبي في العهد النبوي، ومن تلك النماذج المشرقة:

(٤٠) ينظر: المغازي، محمد بن عُمر بن واقد (٢٧١/١).
(٤١) ينظر: صور من حياة الصحابة، عبد الرحمن رأفت الباشا (٦٨).

أمُّ سِنانٍ الأَسْلَمِيَّة[٤٢]رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تحدِّثنا خبرها، فتقول: لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج إلى خَيْبَرَ[٤٣] جِئْتُه، فقلت: يا رسول الله، أخرُجُ معك في وجهكَ، هذا أخْرُزُ السِّقاء، وأداوي المريض والجريح إن كانت جِراحٌ - ولا تكون - وأبصر الرحل، فقال رسول الله: «**اخْرُجِي عَلَى بَرَكَةِ اللهِ؛ فَإِنَّ لَكَ صَوَاحِبَ قَدْ كَلَّمْنَنِي، وَأَذِنْتُ لَهُنَّ مِنْ قَوْمِكِ، وَمِنْ غَيْرِهِمْ، فَإِنْ شِئْتِ فَمَعَ قَوْمِكِ، وَإِنْ شِئْتِ فَمَعَنَا**». قلت: معكَ، قال: «**فَكُونِي مَعَ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجَتِي**». قالت: فكنتُ معها[٤٤].

والرُّبَيِّعُ بنتُ مُعوِّذ[٤٥]رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كانت تخرُج مع النبي ﷺ تسقي، وتداوي الجَرْحى، فقد أخرج البخاري في "صحيحه" عنها أنها قالت: «كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، نسقي ونداوي الجَرْحى، ونرُدُّ القَتْلى إلى المدينة»[٤٦].

وغيرهنَّ من الصحابيات كثير؛ وبهذا نخلُصُ إلى: أنَّه في هذه المرحلة المبكرة من تكوين المجتمع النبوي لم تُقْصَ النِّساء، ولم يُحَدَّ من مشاركتهنَّ في تكوين لَبِنات المجتمع؛ بل استفاد المجتمع من قدراتهنَّ المتنوعة؛ حتى برَزَ طبيبات في العهد النبوي كُنَّ قدوة لمن بعدهنَّ، واعتمد الفقهاء على إخراج الأحكام والفتاوى من فعلهنَّ.

(٤٢) أمُّ سِنان الأسلمية، من المبايعات. روى عنها: ابن عباس رضي الله عنه، وابنتها ثبيتة بنت حنظلة. ينظر: أسد الغابة، لابن الأثير (٣٣٥/٧)، والإصابة، لابن حجر (٤١١/٨).

(٤٣) خيبر: بلدة معروفة، تبعد عن المدينة مئة وخمسة وستون كيلو متر شمالًا على طريق الشام. ينظر: المعالم الأثيرة، محمد شُرَّاب (١٠٩).

(٤٤) ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢٢٧/٨).

(٤٥) الرُّبَيِّع بنت مُعوِّذ بن عَفْراء الأنصارية، لها صحبة ورواية، غزت مع النبي صلى الله عليه وسلم ، روى عنها أهل المدينة. ينظر: الاستيعاب، لابن عبد البر (١٨٣٧/٤)، وأُسْد الغابة، لابن الأثير (١٠٨/٧).

(٤٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب مداواة النساء الجرحى في الغزو، حديث رقم: (٢٨٨٢).

الخاتمة:

السنة النبوية، وكتب التأريخ - كما تبيَّن - حافلةً بالنماذج الفَذَّة الرائعة التي تدلُّ على تميُّز المرأة في العهد النبوي على الصعيد الاجتماعي، مع تمسكها الشديد بأحكام دينها، والتزامها بأوامر ربها، وسعيها الحثيث للنهوض بتبليغ رسالة ربها، وسنة نبيها، وتحصين مجتمعها، والبلوغ بالجيل الذي يقوم عليه صلاح المجتمع إلى ساحات المجد والشَّرَف في الدنيا والآخرة، ويتأكد ذلك لكلِّ متأملٍ ومُتَدَبِّر، ولعلَّ من أبرز النتائج التي خلُصَ إليها البحث ما يلي:

١) العَهْد النبوي شكَّل فترة زمنية متميزة في تأريخ المرأة؛ حيث أحدث تغَيُّرًا اجتماعيًّا هائلًا في حياتها، تمثل ذلك فيما ورد في شأنها في نصوص الكتاب والسنة، وسُطِر ذلك فيما حَوَتْه كتُبُ السِّيَرِ والطَّبَقات.

٢) بلغَتْ مشاركة المرأة في الأمور الاجتماعية في العَهْد النَّبَوي في أَوْجَها؛ لكن الضعف الناتج عن البعد عمَّا كان عليه المجتمع النبوي انعكس سلبًا على مشاركة المرأة؛ فأصبحت التقاليد والعادات هي المُسيِّرَةَ لشؤون المرأة في المجتمع؛ بدلًا من أحكام الشريعة، وتجاهل المجتمع كيف طبَّق رسول هذه الأمة –صلوات ربي وسلامه عليه- وصحابته –رضوان الله عليهم- نُصوص الشريعة.

٣) شمولية مفهوم معنى العمل في المجال الاجتماعي في ضوء التشريع الإسلامي.

٤) تميز المجال الاجتماعي النسوي في الإسلام تميُّزًا كبيرًا؛ حيث شاركت النِّساء الرِّجال في كل الميادين التي تتناسب مع طبيعتها، وتنسجم مع قدراتها؛ تحت ضوابط الشرع؛ بل وهناك بعض المواقف التي فاقت فيها الرِّجال.

٥) تأريخ المجال الاجتماعي في الإسلام وفي العَهْد النَّبَوي خاصة: تاريخٌ حافل بالنماذج النِّسائية الرائعة.

٦) على المرأة المسلمة أيًّا كانت أن تستوعب الأمانة المُلْقاة على عاتِقِها في تحصين مجتمعها، وأنَّ تبليغ الرسالة وتأدية الأمانة لا يتعارض والالتزام التَّام بأحكام الشريعة الإسلامية.

٧) لا بد من مواجهة المعوقات التي تقف في طريق تميز المرأة الاجتماعي، والتقليل من شأنها، ويتمثل ذلك في:

- نشر الوَعْي بمدى قدرة المرأة على أداء دور فَعَّال رائد في تحصين المجتمع بين جميع أفراده، خاصةً الرِّجالَ.
- التعاون بين مؤسسات المجتمع المسلم في رفع كفاءات النِّساء الاجتماعية تحت ضوابط الشرع القويمة، المُستقاة من الكتاب والسُّنَّة الصحيحة.
- إيجاد العلاقات وتوطيد الصِّلات بين النِّساء الناشطات اجتماعيًّا في كل المجتمعات المسلمة، والاستفادة من خِبراتهنَّ.
- الإسهام في توعية المرأة، وربطها بالهُوِيَّةِ الإسلامية ربطًا وثيقًا، وتحصين الذات المسلمة، هو أمرٌ يقع على كاهل الجميع.

٨) تبصير جميع أفراد المجتمع بأنَّ النماذج النِّسائية التي كانت في العَهْد النَّبَوي ابتداءً من أمَّهات المؤمنين، والصحابِيَّات: تُعتبَرُ قُدْوة مناسبة لكل عصرٍ من العصور، وهي النماذج التي يُحتذَى بها، ويُنتهَج نَهْجُها.

٩) الإيمان الصادق واليقين الراسخ الذي امتلأ به فؤاد المرأة المسلمة في العهد النبوي: أحدث تغييرًا كبيرًا في تفكيرها؛ حتى ترجمته إلى سلوك عملي ناشط.

١٠) أن الضوابط التي أقرَّها الشارع الحكيم كالحِجاب، وغَضِّ البصر، والنَّهْي عن التَّبَرُّج، والتزام آداب المعاملات وغيرها؛ كل ذلك كان لهدف مشاركة اجتماعية آمِنة للمرأة المسلمة.

وتوصي الدراسة بما يلي:

١. توعية النِّساء وتبصيرهنَّ بما عليهنَّ من حقوقٍ تجاه أزواجهنَّ، وأبنائهنَّ، ومجتمعهنَّ.

٢. الاهتمام بنشر الوَعْي الكافي في المجتمع المسلم بأهمية الاقتداء بأمَّهات المؤمنين، والصحابيات التَّقِيَّات، وأنَّهن القُدْوة التي يُقتَدَى بها في كل زمانٍ ومكان.

٣. نحتاج إلى اجتهاد فقهي صحيح؛ لتُزاول المرأة نشاطها الاجتماعي بصورة صحيحة، ومنهج شرعي منضبط، يساندها، ويبلور نصوص الشريعة بما يتفق مع حاجات المجتمع المسلم المعاصر.

٤. غرس المفاهيم الصحيحة في كيفية تفعيل المرأة لدورها الاجتماعي؛ وذلك بجعلها تواكب الحضارة الإسلامية الحقيقية الصحيحة التي واكبتها المرأة في العهد النبوي، حتى انعكس ذلك انعكاسًا إيجابيًّا على حياتها الخاصة والعامة.

هذا؛ والله أعلم وأحكم، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وما كان من صواب فمن الله وحده، وبفضله، وبكَرَمه، ومَنِّه، وأسأله الهداية والرَّشاد، وأن يغفر الزَّلَل، ويعفو عن الخَلَل، وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أنْ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

- **المصادر والمراجع:**

١. أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، جدة، دار التفسير، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
٢. أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٣. أبو الحسن، علي بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير، أُسْدُ الغابة، في معرفة الصحابة، بيروت، دار ابن حزم. ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٤. أبو الخير، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٥. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، وَفَيَات الأعيان، بيروت، دار صادر، ١٩٠٠م.
٦. أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت، دار الكتب العلمية- ١٤٠٥هـ.
٧. أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني، تفسير القرآن، الرياض، دار الوطن، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٨. أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الجامع لشعب الإيمان، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٩. أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.
١٠. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، القاهرة، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١١. أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي، السجستاني، السنن، بيروت، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
١٢. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
١٣. أبو عبد الله، محمد بن سعد البصري البغدادي، الطبقات الكبرى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١٤. أبو عبد الله، محمد بن عمر بن واقد السهمي، المغازي، بيروت، دار الأعلمي، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
١٥. أبو عُمر، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٦. أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م.

١٧. أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، جمل من أنساب الأشراف، بيروت، دار الفكر، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
١٨. عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، مكة المكرمة، دار مكة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
١٩. عبد الرحمن رأفت الباشا، صور من حياة الصحابيات، دار الأدب الإسلامي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٢٠. عبد الله بن عبد العزيز البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، بيروت، عالم الكتب.
٢١. عبد الله عفيفي، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، المدينة المنورة، مكتبة الثقافة، ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م.
٢٢. محمد بن محمد حسن شُرَّاب، المعالم الأثيرة في السنة النبوية، بيروت، دار القلم، ١٤١١هـ.

بناء بنك أسئلة في مادة الرياضيات للصف التاسع الأساسي في ضوء نظرية استجابة الفقرة والتحقق من جودة توظيف برنامج حاسوبي لإدارته

أ.م.د/ توفيق علي عالم
(أستاذ تقنيات التعليم وتربويات الرياضيات المشارك بجامعة صنعاء)
أ/ سوسن حسن أبوهادي
(ماجستير مناهج وطرائق تدريس الرياضيات بوزارة التربية والتعليم)

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى بناء بنك أسئلة في مادة الرياضيات للصف التاسع الأساسي في ضوء نظرية استجابة الفقرة باستخدام النموذج اللوغاريتمي ثلاثي المعلّمة، وكذا التحقق من جودة توظيف برنامج حاسوبي لإدارة فقرات بنك الأسئلة من حيث: التخزين، الاستدعاء، اختيار فقرات منه لتشكيل اختبار جديد.

ولتحقيق الهدف الأول تم تحليل المحتوى وتحديد مخرجات التعلم المستهدفة، ثم تم بناء تجّمع من الفقرات، وتشكيل جدول لتمثيل كل مخرجات التعلم بفقرات اختبارية. حيث تم صياغة ٢١٠ فقرة اختبارية من نوع الاختيار من متعدد موزعة في ستة نماذج متكافئة من حيث المحتوى، تكّون كل منها من ٤٠ فقرة، منها ٦ فقرات مكررة في كل نموذج. وطبق الاختبار على عينة مكونة من ١٢٠٠ طالب وطالبة من طلبة الصف التاسع من التعليم الأساسي موزعين على بعض المناطق التعليمية لأمانة العاصمة صنعاء، والدارسين في العام الدراسي ٢٠١٥/٢٠١٦م، حيث طبق كل نموذج على ٢٠٠ طالب وطالبة من أفراد العينة المختارة عشوائياً بالطريقة العنقودية/ الطبقية. تم تحليل إجابات أفراد العينة بعد التأكد من افتراضات النظرية باستخدام برنامج Bilog-MG3. وقد بينت نتائج التحليل فيما يتعلق بنتائج مطابقة الفقرات أن ٤ فقرات من أصل ٢١٠ فقرة لم تطابق النموذج الثلاثي المعلمة، بينما نتائج المطابقة للأفراد فإن ٤ أفراد من أصل ١٢٠٠ فرد لم يطابق النموذج الثلاثي المعلمة.

ولتحقيق الهدف الثاني للدراسة، تم توظيف برنامج حاسوبي لإدارة بنك الأسئلة مصمم من قبل الباحثين، حيث تم تخزين ٢٠٦ فقرة مع المعلومات الخاصة بها، وبلغة حاسوبية تُعطي المخرجات حسب المطلوب من الاختبار المراد تكوينه. وعند انتقاء فقرات من البنك بمواصفات معينة استجاب البرنامج لذلك وقدم الفقرات التي تحقق الشروط المطلوبة مع المعلومات الخاصة بكل فقرة. كما تم ملاحظة أن الفقرات المنتقاة توزعت على الوحدات الدراسية بشكل يستجيب لرغبة المستخدم، وتبعاً للائحة المواصفات التي بُني عليه الاختبار.

الكلمات المفتاحية: بنوك الأسئلة، نظرية استجابة الفقرة، الرياضيات، الصف التاسع، برنامج حاسوبي.

Abstract:

This study aimed to construct a bank of items in Mathematics for Grade ninth according to Item Response Theory using Three-Parameter Logistic Model, as well as to verify the quality of employing a computer program to manage the paragraphs of the items bank in terms of: storage, recall, and to select items from it to form a new test.

To achieve the first object, the content was analyzed and the target learning outcomes were analyzed, then pool of items was constructed, and a table was formed to represent all learning outcomes with test items. 210 test items were written in the form of multiple-choice questions, and they were distributed into six equivalent test forms, which covered the content math curricula. Each form is made up of 40 items, six of which were repeated in each form. The test was applied to a sample of 1200 students of the 9^{th} grade of primary education distributed in some educational areas of the ministry of Education-Sana'a for the years (2015/ 2016), where each testing form was applied to 200 students of the sample were chosen randomly using stratified/ cluster sampling method. Answers of the study sample were analyzed after the assumptions of the theory was checked using (Bilog-MG3) program. The results of analysis showed that in regard to items matching 4 of 210 items didn't match the Three-Parameter Logistic Model, while in members matching 4 of 1200 members didn't match the model.

To achieve the second object of the study, a computer program was administered to the items bank designed by researchers, where 206 items were stored with their information, and in a computer language that gives the output as required from the test to be formed. When selecting items from the bank with certain specifications, the program responded to this and provided the items that meet the required conditions along with the information for each item. It was also noted that the selected items were distributed to the units of study in a manner that responds to the user's desire, according to the list of specifications on which the test was constructed.

مقدمة:

يمثل التقويم أحد العناصر المهمة في كل عمل هادف، حيث يكون نقطة البدء ويستمر مع مراحل البناء والتنفيذ والمتابعة والتطوير لتحقيق الغايات المنشودة. وكون العملية التعليمية عملية هادفة، فإن التقويم يُعد أحد المكونات الأساسية لمنظومتها المكونة من مجموعة من العناصر التي ترتبط فيما بينها بعلاقات تأثير وتأثر متبادلة. حيث أن التقويم له علاقة كبيرة بمختلف جوانب مكونات المنظومة التعليمية؛ لما يقدمه من تشخيص لجوانب القوة والضعف وبالتالي تقديم تغذية راجعة مناسبة لتعزيز جوانب القوة ومعالجة جوانب القصور –إن وجدت- لتوجيه مسار العملية التعليمية، وزيادة فاعليتها.

لذا فقد نالت حركة التقويم وخاصة الاختبارات التحصيلية اهتماماً بالغاً لدى المشتغلين في الميدان التربوي لبناء اختبارات جيدة تقدم نتائج ومعلومات موضوعية واقعية يمكن اعتمادها في صنع القرارات ورسم السياسات التربوية (عثمان، ٢٠٠٦، ١).

حيث ينبغي أن تتصف هذه الاختبارات بمواصفات جيدة تجعل منها وسيلة مناسبة للتأكد بواسطتها من تحقق الأهداف المرسومة. والاختبار الجيد هو الذي يتمتع بدلالات الصدق والثبات الجيدة، واللذان يعتمدان على خصائص فقراته الاختبارية، لذلك كان لابد من الاهتمام بمعرفة الشروط الواجب توافرها في الفقرات الاختبارية وفقاً لمعايير الاختبار الجيد (حماد، ٢٠١١)، حيث إن جودة الاختبارات نابعة من حصيلة تخطيط مسبق وسليم، ومهارة عالية من وضع فقرات الاختبار (عيد، ٢٠٠٦، ص١٥٥). ثم التأكد من تحقيقها لمواصفات الفقرات الاختبارية الجيدة، أي معايرتها وفقا لنظريات القياس الحديثة وخاصة نظرية استجابة الفقرة.

وبالرغم من الأهمية الكبيرة لإعداد أدوات تقويم فاعلة وهادفة وبطريقة علمية سليمة، وخاصة الاختبارات التحصيلية، للتعرف بواسطتها عن مدى تحقق أهداف التعليم والتعلم المنشودة، إلا أنه مازال هناك قصور في إعداد الاختبارات الجيدة. وفي هذا الصدد يرى (أيكين،٢٠٠٧، ص١١٠) أن عملية التدريس غالباً ما تستأثر بجل اهتمام ووقت المعلمين فلا يعيرون اهتماماً مناسباً لعملية قياس ما إذا كانت الأهداف التعليمية قد تم تحقيقها أو إلى أي درجة تم تحقيقها. كما أوضح (دودين، ٢٠٠٦، ص١٣٤) أنه في غالب الأحيان تُبنى هذه الاختبارات دون الاستناد إلى نظرية أو نموذج متطور في القياس التربوي. حيث ما زال الكثير يعتمد في إعداد الاختبارات التحصيلية على النظرية التقليدية (الكلاسيكية) في القياس والتي تعاني من نقاط ضعف كثيرة.

لذلك فقد أوصت العديد من الدراسات إلى بناء الاختبارات التحصيلية وفق النظريات الحديثة في القياس وخاصة نظرية استجابة الفقرة، ومن تلك الدراسات: (الطراونة، ٢٠١٦)، (العوامي، ٢٠١٣)، (الجبوري، ٢٠١٢). وقد أوضح (بركات، ٢٠١٠، ٤) أن الاختبارات المصممة وفقاً لهذه النظرية تجعل تقدير القدرة عند الفرد يتناسب مع مستوى

القدرة الحقيقي له، بمعنى أن احتمال الإجابة الصحيحة للفرد على فقرات الاختبار يزداد بزيادة مقدار القدرة لديه وليس تبعاً لصعوبة أو سهولة فقرات الاختبار.

وفي البيئة اليمنية ما يزال العديد من المعلمين غير متمكنين من مهارات وأسس إعداد وبناء اختبارات ذات مواصفات جيدة؛ حيث أظهرت نتائج دراسة (الفيشاني،٢٠٠٩)، ودراسة (الشيبة،٢٠٠٧) التي قاما بها لتقويم اختبارات مادة الرياضيات في اليمن أن أسئلة الاختبارات تركز على بعض الوحدات الدراسية وإهمال الوحدات الأخرى، وكذلك تركز على قياس المستويات المعرفية الدنيا لبلوم وخاصة مستويي التذكر والفهم على حساب قياس المستويات العليا (التطبيق، التحليل، التركيب، والتقويم). كما أظهرت نتائج دراسة (الشيبة، ٢٠٠٧) إلى عدم تكافؤ نماذج الاختبارات المطبقة في أعوام مختلفة على طلبة الصف التاسع من مرحلة التعليم الأساسي، والتي تُعد من الاختبارات الموحدة المعدة مركزياً (وزارية) وتطبق على مستوى الجمهورية اليمنية.

ويرى (عمر، فخر، السبيعي، وتركي، ٢٠١٠) المذكور في (الأبرط، ٢٠١٢). أن بنوك الأسئلة تمثل أحد الأساليب المعاصرة في التقويم التربوي، وهي تسهم في تقديم المساعدة إلى الأطراف المسؤولة عن العملية التعليمية لتمكينهم من التقويم المستمر للطلبة، حيث تزودهم بمجموعات من الأسئلة الموضوعية الدقيقة التي سبق معايرتها بدقة والتي يطمئن إلى سلامتها وسهولة تطبيقها، والتي تقيس أهداف تعليمية محددة.

لذلك فإن هناك حاجة إلى وجود أسئلة معدة جيداً ومتيسرة لواضعي الاختبارات من شأنها أن تساعد في قياس موضوعي لتحصيل الطلبة. ولعل في بناء بنوك للأسئلة وفقاً لنظريات القياس الحديثة، والتي تتضمن كماً كبيراً من الأسئلة الموضوعية الجيدة والمتدرجة على تدريج واحد ولها وحدة قياس واحدة يمثل حلاً مناسباً لتلك الحاجة، حيث يمكن استخراج من هذه البنوك مجموعات من الأسئلة لاستخدامها في عمل الاختبارات التي تحقق أهداف القياس المرجوة، وكذلك العمل على تطوير أسئلة بنوك الأسئلة عند توفرها باستمرار.

ولما كانت عملية إدارة بنوك الأسئلة بطريقة سليمة وسلسلة تتصف بالدقة والسهولة والسرعة والأمان لا تقل أهمية عن عملية إنشائها، وحيث أن عملية إدارة بنوك الأسئلة يدوياً تعد عملية معقدة ومرهقة ومكلفة وبطيئة وقد تكون غير دقيقة؛ لذلك فإن إدارة بنوك الاسئلة بطريقة سليمة وسلسلة تتصف بالدقة والسهولة والأمان تتطلب توظيف الطريقة الآلية من خلال استثمار امكانات الحاسوب وتطبيقاته في تصميم برنامج حاسوبي مناسب لإدارة العمليات المختلفة لبنوك الأسئلة: كتخزين فقرات الأسئلة، واستدعائها عند الحاجة، واختيار فقرات منها لتشكيل اختبار ما بمواصفات محددة.

مشكلة الدراسة:

في ضوء ما تم عرضه سابقاً، من أهمية وجود أدوات قياس تتصف بالموضوعية والشمول والدقة، وكذا نتيجة لما أوصت به عدد من الدراسات إلى بناء بنوك أسئلة لجميع المواد الدراسية ومنها مادة الرياضيات، وضرورة تطويرها وبنائها وفق نظريات متعددة ومن تلك الدراسات: (الأبرط، ٢٠١٢)، (النجار، ٢٠٠٦)، و(الفرجات، ٢٠٠٤).

وقد أوصت دراسة (أبو جراد، والمصري، ٢٠١٠) بالبدء في تطبيق التقويم المحوسب بشكل تدريجي لبعض المقررات الدراسية ثم الاستفادة من التجربة في زيادة عدد المقررات الدراسية تدريجياً. كما أوصت بعض الدراسات مثل دراسة (Chuesathuchon & Waugh, 2008) بعمل بنوك أسئلة وخاصة استخدام الاختبارات التكيفية المحوسبة؛ لأنها ستكون وسيلة التقييم في المستقبل. وتأتي هذه الدراسة كخطوة أولى في بناء بنوك أسئلة محوسبة، والتي يمكن أن تطور مستقبلاً لبناء بنوك أسئلة لاختبارات تكيفية محوسبة.

لذا، فإن هناك ضرورة ملحة لبناء بنك أسئلة لمادة الرياضيات للصف التاسع من التعليم الأساسي يوفر فقرات اختبار معدة إعداداً جيداً وفقاً لإحدى نظريات القياس الحديثة (نظرية استجابة الفقرة) يلبي الأغراض المنشودة منه؛ ليكون نواة لبنوك أسئلة لمادة الرياضيات في كل الصفوف الدراسية في التعليم العام، وكذا لحث ذوي الاهتمام بعمل مثل هذه البنوك في مادة الرياضيات وفي المواد الأخرى لتحقق غايتها المنشودة. على أن تتم إدارة عمليات البنك (تخزين فقرات، واستدعائها عند الحاجة، واختيار فقرات منها لتشكيل اختبار بمواصفات معينة ليحقق أهداف مرغوبة) بطريقة تحقق جودة الأداء (دقة، سهولة، سرعة، وأمان)؛ ويمكن تحقيق ذلك بتوظيف برامج حاسوبية مناسبة مصممة لهذا الغرض.

لذلك فإن هذه الدراسة تسعى لبناء بنك أسئلة لمادة الرياضيات للصف التاسع الاساسي، وكذا التحقق من جودة توظيف البرنامج الحاسوبي المصمم خصيصاً من قبل الباحثين لإدارة البنك بطريقة آلية (الكترونية)، بحيث يتيح البرنامج تخزين فقرات أسئلة البنك، واستدعائها، واختيار فقرات بمواصفات محددة لتشكيل اختبار يحقق أهداف منشودة، وذلك بطريقة سليمة وسلسلة وآمنة.

لذلك تتحدد مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس الآتي:

ما طبيعة بنك الأسئلة المحوسب في مادة الرياضيات للصف التاسع الأساسي الذي تم بناؤه في ضوء نظرية استجابة الفقرة؟

وللإجابة عن السؤال الرئيس تم تحديد الأسئلة الفرعية الآتية:

١) هل افتراضات نظرية الاستجابة للفقرة باستخدام النموذج اللوغاريتمي ثلاثي المعّلمة متحققة في البيانات المستمدة من استجابات العينة على فقرات الاختبارات المُعدة؟

٢) ما مدى مطابقة الفقرات المقترحة لتشكيل البنك للنموذج اللوغاريتمي ثلاثي المعّلمة؟

٣) ما الخصائص السيكومترية المتحققة لتجمع الفقرات التي ستشكل البنك؟

٤) ما جودة توظيف البرنامج الحاسوبي في إدارة بنك الأسئلة من حيث التخزين والاسترجاع والاختيار؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في أنها قد تفيد في:

- نشر ثقافة لدى المعلمين والموجهين والقيادات التربوية والمهتمين حول مفهوم بنوك الأسئلة بشكل عام والمحوسبة بشكل خاص وميزاتها التربوية وإجراءات بنائها واستخدامها في عملية القياس والتقويم.

- الاسهام في تحقيق جودة عملية القياس والتقويم التربوي؛ كونها تعد أحد أهم المداخل الرئيسة لتحقيق جودة العملية التعليمية.

- دعم وزارة التربية والتعليم بمجموعة من الفقرات الاختبارية لمادة الرياضيات للصف التاسع من مرحلة التعليم الأساسي، تتصف بالشمولية والموضوعية والدقة اللازمة، والتي يمكن بواسطتها تكوين نماذج اختبارية -عند الحاجة- لقياس قدرات الطلبة في أبعاد مختلفة.

- توفير وقت وجهد معلم رياضيات الصف التاسع الأساسي بتوفير اختبارات تحصيلية جاهزة للمادة من بنك الأسئلة طبقاً لمواصفات وأهداف المقرر الدراسي، بدلاً من إعدادها كل مرة للمقرر نفسه.

- توفير تجربة تقنية تتمثل في توظيف برنامج حاسوبي صمم خصيصاً لإدارة بنوك الأسئلة (التخزين والاسترجاع واختيار فقرات منه)، بحيث تتسم تلك العملية بالدقة/الثقة والسهولة والسرعة والأمان، كخطوة أولى لاستخدام التقويم المحوسب والاختبارات التكيفية المحوسبة مستقبلاً.

هدفا الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

- بناء بنك أسئلة لمادة الرياضيات للصف التاسع الأساسي في ضوء نظرية استجابة الفقرة باستخدام النموذج اللوغاريتمي ثلاثي المعلّمة.
- التعرف على جودة توظيف برنامج حاسوبي لإدارة البنك من حيث التخزين والاستدعاء والاختيار.

حدود الدراسة:

تتمثل حدود هذه الدراسة فيما يلي:

- **الحدود الموضوعية:** محتوى كتاب مادة الرياضيات للصف التاسع من التعليم الأساسي الجزء الأول الطبعة ٢٠١٥/٢٠١٦م، ونظرية استجابة الفقرة باستخدام النموذج اللوغاريتمي ثلاثي المعلّمة، وبنوك الأسئلة المحوسبة.
- **الحدود البشرية والمكانية:** عينة ممثلة من طلبة الصف التاسع من التعليم الأساسي في مدارس أمانة العاصمة.
- **الحدود الزمانية:** الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي ٢٠١٥/ ٢٠١٦م.

مصطلحات الدراسة:

- **نظرية الاستجابة للفقرة Item Response Theory:**

عرف كل من (Hambleton & Swaminathan, 1985) نظرية الاستجابة للفقرة بأنها: نظرية تقوم على افتراض علاقة بين قدرة الفرد (θ)، واحتمالية الإجابة الصحيحة $p_i(\theta)$ على الفقرة الاختبارية، ويرمز لها اختصاراً IRT.

- **ب**

نك الأسئلة Items Bank:

يعرف(Beston, 2000) بنك الأسئلة بأنه: تجمع كبير من فقرات الأسئلة التي صنفت وحفظت في قاعدة بيانات يسهل معها اختيار ما نشاء من هذه الفقرات عند بناء أي اختبار جديد.

ويقصد ببنك الأسئلة في هذه الدراسة: مجموعة من الفقرات الاختبارية في مادة رياضيات الصف التاسع الأساسي تم بنائها وفق جدول المواصفات وتقيس القدرة نفسها، والتي صنفت وحفظت بعد أن تم تدريجها على مقياس عام مشترك وفقاً لخصائصها السيكومترية في قاعدة بيانات البرنامج المحوسب المصمم لهذا الغرض، والذي يتيح إمكانية إضافة أو استبدال فقرات والسحب منها حسب الغرض ووفقا لمواصفات محددة.

- **جودة توظيف برنامج حاسوبي لإدارة بنك الأسئلة:**

هي تجريب واستخدام وتقويم برنامج حاسوبي مصمم من قبل الباحثين لإدارة عمليات بنك الأسئلة المتمثلة في تخزين فقرات بنك الأسئلة المعدة وفق نظرية استجابة الفقرة مع المعلومات الخاصة بكل فقرة، واستدعاء تلك الفقرات أو بعضها عند الحاجة، وكذا انتقاء فقرات منه لتكوين اختبار بمواصفات مطلوبة، مع إمكانية تطوير فقرات البنك وزيادة عددها مستقبلاً. بحيث تتسم تلك العملية (الإدارة) بمواصفات السهولة والسرعة والأمان والدقة في العمليات والنتائج.

الخلفية النظرية:

نظرية الاستجابة للفقرة:

إن أكثر ما يميز العلوم الطبيعية عن العلوم الإنسانية هو ما تتسم به الأولى من التعبير الموضوعي الدقيق عن الظواهر المختلفة التي تدرسها، وذلك من خلال أساليب كمية غاية في الدقة؛ وهذا يرجع بدرجة كبيرة إلى دقة الأدوات التي تعتمد عليها البحوث والدراسات في ميدان العلوم الطبيعية، والتي تخضع في قياسها لقواعد مقننة متفق عليها تتدرج فيها وحداتها تدريجًا معياريًا دقيقًا، وهذا ما يصعب توافره في قياس السمات والظواهر الإنسانية؛ مما كان دافعاً للعلماء في مختلف العلوم الإنسانية إلى محاولة ابتكار طرق وأساليب جديدة في القياس تسترشد بأساليب القياس في العلوم الطبيعية وتسعى لتحقيق الموضوعية بمفهومها العلمي الصحيح (عبدالوهاب، ٢٠١٠).

ويقصد بنظرية الاستجابة للفقرة: أساس نظري جديد في القياس النفسي والتربوي يقوم على افتراض علاقة بين قدرة الفرد واحتمالية الإجابة الصحيحة على الفقرة الاختبارية وفق دالة رياضية محددة، مستندة في ذلك على نظرية الاحتمالات، ولهذه النظرية مجموعة من الفروض لابد من تحققها حتى يمكن استخدامها.

افتراضات نظرية الاستجابة للفقرة:

تستند نماذج نظرية الاستجابة للفقرة أحادية البعد إلى مجموعة من الافتراضات التي ينبغي تحققها في البيانات حتى تتوفر الدقة والموضوعية في النماذج المترتبة من استخدامها، وهذه الافتراضات هي:

١) أحادية البعد Unidimensionality: وهو أهم الافتراضات التي يجب توافرها في جميع نماذج نظرية الاستجابة للفقرة أحادية البعد، وهو يعني وجود عامل أو مكون واحد مسيطر يكمن وراء الأداء في الاختبار وهذا المكون هو القدرة أو السمة التي يسعى الاختبار إلى قياسها (موسى، ٢٠٠٧، ص٦١٦)، أي أن فقرات الاختبار لا تختلف فيما بينها إلا من حيث مستوى الصعوبة فقط (الشافعي،٢٠٠٨، ٨).

٢) الاستقلال الموضعي Local Independence: أي لا تعتمد إجابة الفرد عن أي فقرة من فقرات المقياس على اجابته عن أي فقرة أخرى، أي تستقل الفقرات عن بعضها البعض إحصائياً (Ueno, 2002, 59). وقد أشار كلاً من (Hambleton& Swaminthan,1985) إلى أن الاستقلال الموضعي وأحادية البعد افتراضين متكافئين؛ حيث أشارا إلى أن تحقق الاستقلال الموضعي يشير إلى أن مجموعة الفقرات تقيس سمة واحدة، وأن أحادية البعد يتضمن تحقق افتراض الاستقلال الموضعي.

٣) منحنيات خصائص الفقرة Item Characteristic Curve: المنحنى المميز للفقرة هو عبارة عن دالة رياضية تربط بين احتمال نجاح الفرد في إجابة فقرة اختبارية وبين القدرة التي تقيسها مجموعة الفقرات التي يشتمل عليها الاختبار (أبوعلام، ٢٠٠٥، ص٣٣٨).

٤) عامل السرعة في الإجابة Speededness: تفترض نظرية الاستجابة للفقرة أن استجابة الفرد للفقرات تتوقف على مقدار ما يمتلكه من القدرة أو السمة التي يراد قياسها، وليس لعامل السرعة أي تأثير في هذه الإجابة؛ حيث أنه إذا كان لعامل السرعة تأثير على الأداء فإن هذا يعد تناقضاً مع افتراض أحادية البعد؛ فهذا يعني أن هناك قدرتين على الأقل تؤثران في استجابات الأفراد، ويتم معرفة ما إذا كان عامل السرعة مؤثرًا في إجابة الأفراد أم لا من خلال معرفة عدد الأفراد الذين لم يتمكنوا من إجابة جميع فقرات المقياس في الوقت المتاح (Hambleton& Swaminathan, 1985, p30).

نماذج نظرية الاستجابة للفقرة أحادية البعد:

تتكون نظرية الاستجابة للفقرة IRT من عدة نماذج تسمى نماذج الاستجابة للفقرة Item Response Models، والهدف الأساسي من هذه النماذج هو تحديد العلاقة بين أداء الفرد على الاختبار، والذي يمكن ملاحظته بصورة مباشرة، وبين مجموعة السمات التي تكمن وراء هذا الأداء وتفسره (عبد المعطي، خليفة، وسعد، ٢٠١٠، ص١٦٨).

وتشترط نظرية الاستجابة للفقرة IRT مطابقة البيانات التي تم الحصول عليها من الأفراد مع أحد النماذج، ويعتمد اختيار النموذج المناسب على طبيعة الفقرات وعددها وحجم العينة المستخدمة في تقدير المعالم، إلا أن طبيعة البيانات هي الموجه الأول لاختيار النموذج المناسب، وتنقسم البيانات إلى بيانات ثنائية الاستجابة Dichotomous data (٠، ١)، وبيانات متعددة الاستجابة Polytomous data، كما يوضح الرسم التخطيطي في شكل (١) هذه النماذج:

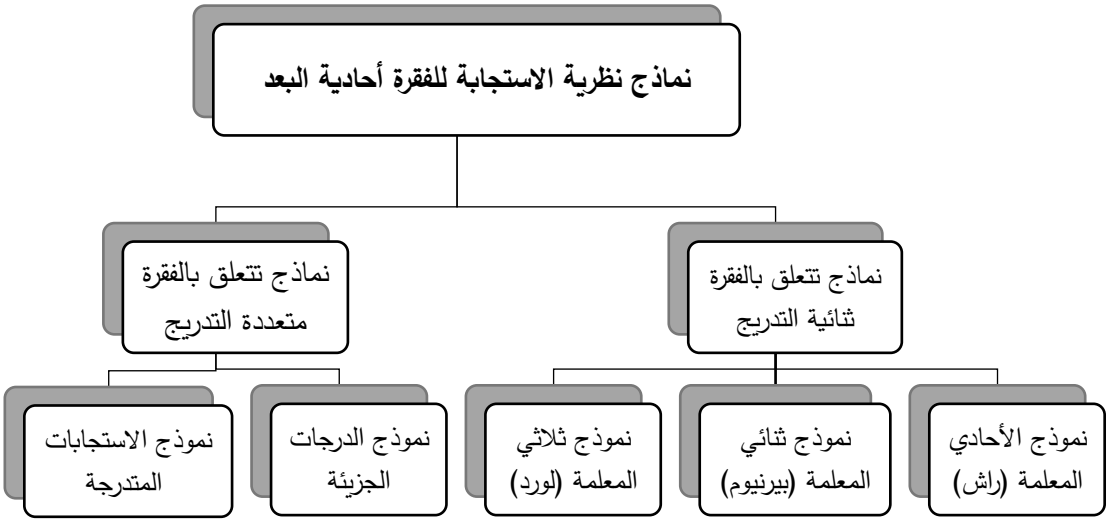

شكل (١): نماذج نظرية الاستجابة للفقرة أحادية البعد

يتبين من شكل (١) أن نماذج نظرية الاستجابة للفقرة أحادية البعد تنقسم من حيث نوع البيانات إلى قسمين هما:

القسم الأول: نماذج الاستجابة للفقرة ثنائية التدريج/ الدرجة: (Dichotomous item Response Models)

تعتمد هذه النماذج على فقرات ثنائية الاستجابة كفقرات الاختيار من متعدد أو فقرات الصواب والخطأ، بحيث تأخذ الفقرة الصحيحة (١) والفقرة الخطأ (صفر) (التقي، ٢٠٠٩، ص١٣)، ومن أهم النماذج ثنائية التدريج:

أولاً: النموذج اللوغاريتمي أحادي الَمْعلمة One-Parameter Logistic Model (1PL)

يعد النموذج الأحادي الَمْعلمة (نموذج راش) أبسط نماذج الاستجابة للفقرة أحادية البعد، وفيه يتم تثبيت قيمة معلمي التمييز (a) والتخمين (c)، أي أن الفقرات لا يمكن الإجابة عليها باستخدام التخمين، ولها نفس إمكانية التمييز (علام، ٢٠١١، ص٦٩٩)، وفي هذه الحالة يكون $(c_i = 0)$ و $(a_i = a)$ لكل الفقرات، ولأن معلم التمييز في هذا النموذج ثابت لكل الفقرات، تتوازى المنحنيات المميزة لها لتساوي ميولها.

ثانياً: النموذج اللوغاريتمي ثنائي المَعْلمة Two-Parameter Logistic Model (2PL):

يعرف هذا النموذج باسم نموذج بيرنبوم، في هذا النموذج يتم تثبيت قيمة معلم التخمين $(c_i = 0)$، ويسمح للفقرات بأن تختلف في كل من معلمي الصعوبة والتمييز (علام، ٢٠٠٥، ص٧١).

ثالثاً: النموذج اللوغاريتمي ثلاثي المَعْلمة Three-Parameter Logistic Model (3PL):

يعرف هذا النموذج باسم نموذج لورد، حيث جاء هذا النموذج للتغلب على بعض أوجه القصور التي قد تظهر عند تطبيق النموذجين أحادي وثنائي المَعْلمة المتمثلة بعامل التخمين حيث أن المفحوصين من ذوي القدرة المنخفضة يحتمل أن تكون نسبة إجابتهم الصحيحة أكبر من الصفر في ظل وجود عامل التخمين في الاختبارات الموضوعية (AL-Owidah, 2007) المشار له في (الطراونة، ٢٠١١، ٢٧).

القسم الثاني: نماذج الاستجابة للفقرة متعددة التدريج: (Polytomous Item Response Model)

وهذه النماذج تتيح للفرد إمكانية الإجابة عن الفقرة عبر عدد من الخطوات قبل أن يصل إلى الإجابة الصحيحة بشكل تام. وبالتالي فإن هذا النوع يتيح لمستخدمي الاختبارات تقييم الفرد بين عدم فهم المشكلة أو فهم جزئي للمشكلة أو فهم تام لها وذلك في حال إنجازه لجميع الخطوات المطلوبة بشكل صحيح (الدعيس، ٢٠١٣، ٢٥)، حيث تكون الإجابة للفقرة متدرجة تبدأ من الصفر وتنتهي بحد أعلى $(m_i - 1)$، حيث يكون عدد الأصناف للاستجابات m_i (التقي، ٢٠٠٩، ص٣١).

وتؤدي دالة معلومات الاختبار دوراً مهماً في نظرية الاستجابة للفقرة، إذ يمكن من خلالها التوصل إلى مستوى الخطأ المعياري في التقدير للاختبار (Hambleton& Swaminathan, 1985)، والذي يرتبط عكسياً مع الجذر التربيعي لدالة المعلومات، كما أن استخدام دالة معلومات الاختبار تمثل وسيلة قوية وفعالة تساعد مصمم الاختبار في تقويم خواص الاختبار وتعديلها بما يتناسب مع أفضل قياس يمكن أن يحققه الاختبار على متصل القدرة، كما أنها تساعد في تقييم مدى الدقة التي يقيس بها الاختبار عند المستويات المختلفة للسمة (علام، ٢٠٠٥، ص١١٧).

بنوك الأسئلة:

إن وجود منظومة متكاملة من أسئلة الاختبارات في مختلف المراحل والمواد الدراسية تمت معايرتها وتقنينها والتوصل إلى دلائل صدقها وثباتها بعد تجريبها والتأكد من قياسها لمختلف مستويات التحصيل، يُعدّ رافداً لا غنى عنه في تكوين قاعدة من البيانات والمعلومات الدقيقة والتي يمكن التعويل عليها والاستفادة من مصداقيتها في رفع مستوى صدق القرار التربوي المرتبط بالمقررات والمناهج الدراسية ومختلف جوانب العملية التعليمية التعلمية (العبد الله، ٢٠٠٩، ٣٤). ومن هنا فقد جذبت فكرة بنوك الأسئلة Items banks في السنوات الأخيرة اهتمام المؤسسات العامة والخاصة في المجال التربوي، وازداد الاهتمام باستخدام بنوك الأسئلة نتيجة للتطور السريع في مجال الحاسبات الآلية وتقنية المعلومات، وظهور النظريات الحديثة في القياس والتقويم النفسي والتربوي مثل نظرية الاستجابة للفقرة Item Response Theory (IRT) ونماذجها المختلفة (خضر، ٢٠٠٤، ص٢١٥).

وقد أشارت العديد من الأدبيات إلى أن بنوك الأسئلة تعتبر من أهم تطبيقات نماذج نظرية الاستجابة للفقرة، إذ ازداد اهتمام مراكز التقويم والقياس التربوي ببنوك الأسئلة خلال العقدين الماضيين، خاصة بعد التطور الذي حققته نماذج نظرية الاستجابة للفقرة في التغلب على جميع الصعوبات والمشكلات (المنهجية، الفنية، والتقنية) التي كانت تحد من الاستفادة من بنوك الأسئلة المعتمدة على نماذج نظرية القياس الكلاسيكية، والتي تعتمد في تحليلها لفقرات البنك على خصائص عينة الأفراد المستخدمة في التحليل (سيف، ٢٠١٣، ٢٨)، فضلاً عن اعتمادها على الدرجة الكلية في التفسير، وتأثر درجة الفرد بمستوى صعوبة الصورة الاختبارية المسحوبة من البنك؛ فتمكن نماذج نظرية الاستجابة للفقرة من تحقيق الموضوعية في القياس من خلال تقدير معلم الفقرة بشكل مستقل عن أفراد العينة وتقدير قدرة الأفراد بشكل مستقل عن مستوى صعوبة الاختبار المطبق، والذي دفع بالكثير من الدول إلى تبني أنظمة بنوك الأسئلة كمكون أساسي من مكونات أنظمتهم التعليمية (الخولي، ٢٠٠٦، ٤٣).

أنواع بنوك الأسئلة:

يوجد نظامان لكيفية التعامل مع بنوك الأسئلة، أوضحهما (العبد الله، ٢٠٠٩، ٣٧)، و(البسيوني، ٢٠١٣، ص٢٦١-٢٦٢) بالتالي:

الأول: هو بنك الأسئلة المفتوح ويستخدم هذا النظام في الولايات المتحدة الأمريكية، والهدف منه هو استخدام الأسئلة في عملية التقويم التكويني (البنائي) وفي التقويم التشخيصي.

الثاني: هو بنك الأسئلة المؤمن (المغلق أو السري) يستخدم هذا النظام في إنجلترا وأستراليا ومصر، حيث يكون الهدف منه استخدام الأسئلة الموضوعية المقننة والمخزونة بالبنك في التقويم النهائي فقط سواء كان في نهاية الفصل الدراسي أو نهاية العام ولذا تُعد أسئلته سرية تماماً.

خصائص بنك الأسئلة المصمم باستخدام نماذج نظرية الاستجابة للفقرة:

تتميز هذه النوعية من بنوك الأسئلة بالعديد من الخصائص، حددها (علام، ٢٠٠٥، ص ص٢٥٢-٢٥٥) بالتالي:

الاقتصاد: ويتمثل ذلك في اقتصاد الوقت والجهد الذي توفره بنوك الأسئلة. سواءً من حيث إعداد الفقرات الاختبارية واستخدامها المتكرر، والتي تظل فاعله لسنوات عديدة؛ نتيجة الفحص المستمر لتلك الفقرات بهدف المحافظة على جودتها ومراجعة خصائصها السيكومترية.

المرونة: إن أهم ما يميز بنوك الأسئلة هو الديناميكية التي تتمتع بها والمتمثلة بإمكانية المراجعة المستمرة لمخزون البنك من الأسئلة للفقرات الاختبارية، فبنك الأسئلة الذي يتم تدريجه باستخدام أحد نماذج نظرية الاستجابة للفقرة يسمح بتكوين اختبارات تناسب أغراضاً محددة، وتقيس مدى واسعاً أو ضيقاً من قدرة الأفراد، كما تغطي منهجاً دراسياً محدداً أو متسعاً.

الاتساق: إن كل فقرة من فقرات البنك تملك خصائص سيكومترية تمكنها من تحديد المكان المناسب على متصل القدرة المشترك وهذا يجعل النظام البنكي على درجة عالية من الاتساق والتماسك وبالتالي يمكن بطريقة مباشرة بناء اختبارات متوازية أو متكافئة وذلك بإجراء تغيير مناسب في بعض المعالم للفقرات.

السرية: حاولت بنوك الأسئلة التغلب على مشكلة سرية الاختبارات أو حتى التقليل منها وذلك عبر طريقتين:

١) احتواء البنك على عدد كبير من الفقرات والتي تغطي نظاماً واسعاً من المنهج الدراسي بحيث يصبح من الصعب على الطالب تذكر إجاباتها جميعاً وهذا ما يدفعه إلى فهم واستيعاب مضمون النطاق بدلاً من حفظه.

٢) بناء صيغ بديلة مختلفة من الاختبارات بحيث تشمل على فقرات تم تعييرها بشكل جيد قبل وضعها بالبنك ولكن ينبغي هنا الحفاظ على سرية صيغة الاختبار الذي سيطبق على فرد معين إلى حين موعد التطبيق.

ويرى الباحثان، أن عملية التحديث الدوري لفقرات البنك وذلك حسب ما تتطلبه الحاجة سواءً بحذف فقرات واستبدالها بفقرات أخرى مكافئة أو بتعديل فقرات أو بإضافة فقرات جديدة، فإن ذلك يدعم ما يتميز به بنك الأسئلة من خصائص، على أن يتم ذلك التحديث من قبل خبراء متخصصون في مناهج المادة الدراسية المعنية بعمل بنك أسئلة لها وكذا متخصصون في القياس والتقويم بهدف الحفاظ على السمة والقدرة التي تقيسها هذه الفقرات وكذلك الخصائص السيكومترية لها والمتمثلة بمعالم الصعوبة والتمييز والتخمين.

بالإضافة للخصائص السابقة، فان بنوك الأسئلة المحوسبة تتسم بالدقة والسهولة والسرعة والأمان في إدارة عملياتها، من حيث التخزين، والاستدعاء، واختيار فقرات لإنشاء اختبار جديد، وتطوير البنك بتعديل بعض الفقرات أو استبدالها أو زيادتها، كما يمكن أيضا إجراء التقويم الكترونياً اذا تم القيام بالإجراءات المناسبة والمطلوبة لذلك.

أهداف إنشاء بنوك الأسئلة:

هناك هدف عام لإنشاء بنك أسئلة يتمثل في تطوير أدوات تقويم التحصيل الدراسي باعتبار التقويم أحد العمليات المهمة لتطوير المنظومة التعليمية. كما توجد أهداف خاصة لبنك الأسئلة، ومنها ما حددها (Chuesathuchon & Waugh, 2008, 106-107)، (عيد، ٢٠٠٦، ص٢١٢)، (الجلبي، ٢٠٠٥، ص٢٤٠)، (خضر، ٢٠٠٤، ص٢٢١) بما يأتي:

– تحقيق الموضوعية في التقويم، وهذا هو الهدف الأساسي لبنوك الأسئلة، ويعتمد تحقيق هذا الهدف على مجموعة من العوامل التي يمكن أن تؤثر على بناء وتكوين بنك الأسئلة مثل فلسفة القياس، ومدى الدقة في صياغة الأسئلة، وتحليلها وتحديد مواصفاتها الإحصائية.

– ضمان جودة الخصائص السيكومترية للأسئلة، وتحسين نوعيتها من حيث الشكل.

– توفير بنك أسئلة مناسب في مادة دراسية معينة، يمكن تستفيد منه المؤسسة التعليمية وتعده نواه لبنوك أسئلة أكثر شمولاً في المادة المحددة والمواد الدراسية الأخرى.

– ضمان استخدام الأسئلة الجيدة أكثر من مرة، وبالتالي ضمان مستوى جيد من الاختبارات بصفة مستمرة.

– سرعة الحصول على فقرات اختبارية عند الحاجة، وبالتالي التخلص من مشكلة سرية الاختبارات سواء عند عمل الأسئلة أو عند التداول أو عند التطبيق.

– تزويد المعلمين بمجموعة من الأسئلة المقننة تحمل أفكاراً جديدة يمكن أن يستعينوا بها أثناء عملية التدريس، أو أثناء عملية التقويم البنائي المستمر لكل جزء من أجزاء المحتوى.

– تدريب المعلمين على عمل أسئلة جديدة مشابهة لأسئلة بنك الأسئلة.

– مساعدة الطالب على التعلم الذاتي وفق سرعته وإمكاناته، والاهتمام بالتعرف على نتائج التعلم لكل طالب على حدة وليس التعرف على الدرجة الكلية لنتائج الاختبار.

– إمكانية بناء اختبارات متعددة تلائم مختلف المواقف التعليمية وأغراض كل اختبار.

تصميم بنوك الأسئلة:

تعددت نماذج تصميم بنوك الأسئلة باختلاف النظرية المستخدمة سواءً كانت وفقاً للنظرية التقليدية أو الحديثة (نظرية الاستجابة للفقرة). وتطورت فيما بعد بأن أصبحت بنوك الأسئلة محوسبة والتي تصمم استناداً إلى نماذج نظرية الاستجابة للفقرة وذلك للتغلب على كثير من أوجه القصور المتعلقة بالنظرية التقليدية من مشكلات تصميم وبناء الاختبارات بصورة دورية (علام، ٢٠٠٧ ب، ص١٦٦). ويوضح شكل (٢) تصميم الباحثان لخطوات بناء بنوك الأسئلة، وهو التصميم المستخدم في الدراسة الحالية:

شكل (٢): الخطوات الأساسية المتبعة في هذه الدراسة لعملية بناء بنك الأسئلة

مراحل بناء بنك الأسئلة:

هناك مجموعة من المراحل والخطوات والأنشطة الهامة التي يجب القيام بها عند بناء بنوك الاسئلة وهي ستة مراحل، حددها (علام، ٢٠١١)، (موسى،٢٠٠٧، ص٦٢٠) بالتالي:

١) مرحلة التخطيط والتنسيق.
٢) مرحلة التدريب والإعداد.
٣) مرحلة تصميم الأسئلة وبنائها.
٤) مرحلة التجريب والتعيير.
٥) مرحلة التصنيف والتخزين.
٦) مرحلة الاستخدام والتقييم للبنك بصورة عملية.

إدارة بنوك الأسئلة:

يقصد بإدارة بنوك الأسئلة، هو إجراء عمليات تخزين فقرات الأسئلة، واستدعائها عند الحاجة، واختيار فقرات منها وفق مواصفات محددة لتشكيل اختبار جديد، وكذا القيام بعمليات تطوير للفقرات المخزنة وإضافة فقرات جديدة، بالإضافة إلى إمكانية تنفيذ طريقة الاختبارات (ورقياً أو إلكترونياً).

ويمكن إدارة بنوك الأسئلة بشكل عام، بثلاثة طرائق رئيسة، هي:

– الطريقة التقليدية: حيث يتم تنفيذ العمليات السابقة جميعها بطريقة يدوية، وهي بالتأكيد طريقة معقدة تتطلب خبرة وجهد ووقت وكلفة مستمرة باستمرار هذه العمليات، إضافة إلى أنها قد لا تكون دقيقة في العمليات والنتائج وأقل أماناً في الحفاظ على السرية.

– الطريقة الآلية، وتتم بتوظيف/ استخدام برامج حاسوبية مناسبة تؤدي العمليات المطلوبة بطريقة آلية، بحيث تتسم بالدقة والسرعة والسهولة والأمان، حتى تحقق جودة في العمليات والنتائج. وتلك البرامج يمكن تصميمها من قبل خبرات تقنية جيدة في ضوء رؤية خبراء في بناء بنوك الأسئلة وفق نظريات محددة، بحيث تحقق عملية الأداء في البرنامج المواصفات المطلوبة، لذا فإن هذه العملية قد تكون مكلفة نوعا ما في مرحلة التصميم، ولكن هذه الكلفة ليست مستمرة عند الاستخدام كما في الطريقة التقليدية. ويمكن أيضا استخدام برامج جاهزة غير مجانية.

– طريقة الدمج: والتي تشمل استخدام الطريقتين الآلية والتقليدية لتنفيذ عمليات إدارة بنك الاسئلة، فمثلاً قد يتم تخزين واستدعاء الأسئلة وانتقاء فقرات معينة بطريقة حاسوبية، بينما يتم تنفيذ الاختبار بالطريقة التقليدية (ورقياً).

الدراسات السابقة:

هناك عدد من الدارسات التي تناولت موضوع بناء بنوك الأسئلة، فيما يلي عرض لبعضها:

- **دراسة (Njiru & Romanoski, 2014)**، والتي هدفت إلى إنشاء بنك أسئلة في الفيزياء من خلال تطوير وتدريج بنك أسئلة في الفيزياء من امتحانات القبول الجامعي Tertiary Entrance Exam (TEE) في غرب استراليا، حيث تم فحص الفقرات من عام ١٩٩٧-٢٠٠٦م باستخدام نموذج راش أحادي المعلم، عرضت الفقرات على مجموعة من الخبراء، تم تحليل البيانات باستخدام برنامج RUMM2010، وقد تم التأكد من ملائمة الفقرات من خلال البواقي وقيمة مربع كآي. توصلت نتائج الدراسة إلى ملائمة ١٧٤ فقرة. وقد أوصى الباحثين المعلمين إلى تصميم اختبارات متنوعة من هذا البنك سواءً من حيث المجال أو الموضوع أو مستوى الصعوبة، وكذلك إمكانية استخدام البنك من قبل المعلمين لتطبيقه على طلابهم لتقييمهم ولأغراض التشخيص.

- **دراسة (الأبرط، ٢٠١٢)**، والتي هدفت إلى اشتقاق معايير لاختبارات مختارة من فقرات بنك أسئلة في مقرر الرياضيات للثانوية العامة في اليمن استناداً إلى تقديرات القدرة حسب نظرية الاستجابة للفقرة. وتكونت عينة الدراسة من ١٢٠٠ طالب وطالبة من طلبة الصف الثالث الثانوي العلمي في محافظة ذمار في الجمهورية اليمنية للعام الدراسي 2011/2010م، وقد تم اختيارها بالطريقة العشوائية الطبقية. تم تحليل إجابات الطلبة عن الفقرات باستخدام البرامج (SPSS, Bilog-MG3) وذلك للحصول على الإحصائيات الخاصة بالفقرات والأفراد، كما تم استخدام البرنامج الحاسوبي (Fast Test 2) لتخزين الفقرات واستدعائها من بنك الاسئلة لتكوين اختبارات. بينت نتائج التحليل ما يلي: تم حذف ٢٦ فقرة لعدم مطابقتها للنموذج من أصل ٢٢٠ فقرة موزعة على أربعة اختبارات، يتكون كل منهما من 60 فقرة، منها عشر فقرات مكررة. ومن أهم ما أوصت به الدراسة: إجراء دراسات حول بناء بنوك الأسئلة وبنظريات متعددة ولمواضيع مختلفة، لبناء اختبارات تتمتع بخصائص جيدة.

- **دراسة (العديلات، ٢٠١٢)**، هدفت إلى بناء بنك أسئلة في الرياضيات لطلبة الصف الرابع وفق نظرية الاستجابة للفقرة (النموذج ثلاثي المعّلم) والنظرية الكلاسيكية في القياس، تكونت عينة الدراسة من ١٢٠٠ طالب وطالبة من طلبة الصف الخامس في الأردن، وطبقت في بداية الفصل الدراسي الأول للعام الدراسي ٢٠١٣/٢٠١٢م.

حللت الباحثة استجابات الطلبة باستخدام برمجية (Bilog-MG3) الخاصة بتحليل البيانات باستخدام النموذج الثلاثي المعّلم في نظرية استجابة الفقرة، كما تم تقدير معالم الفقرات باستخدام النظرية الكلاسيكية. وقد بيّنت نتائج التحليل فيما يتعلق بنتائج المطابقة أن ٢٥ فقرة لم تطابق النموذج الثلاثي المعّلم من أصل (١٠٢) فقرة من نوع الاختيار من متعدد بأربعة بدائل. ووزعت هذه الفقرات في ثلاثة نماذج، تكون كل منها من ٤٢ فقرة، منها ١٢ فقرة مشتركة. كما بينت نتائج التحليل فيما يتعلق بتقدير معالم الفقرات باستخدام النظرية الكلاسيكية في القياس أن متوسط صعوبة الفقرات يساوي ٠,٥٨، كذلك كان متوسط تمييز الفقرات ٠,٥٥. وقد تم بناء قاعدة بيانات لتخزين الفقرات المطابقة للنموذج ثلاثي المعّلم والبالغ عددها ٧٧ فقرة.

- **دراسة (Chuesathuchon & Waugh, 2008)**، والتي هدفت إلى بناء بنك في مادة الرياضيات وإنشاء اختبار تكيفي محوسب، تم كتابة ٢٩٠ فقرة اختيار من متعدد لموضوع المعادلات الرياضية، تم توزيعها على سبعة نماذج تكّون كلاً منها من ٥٠ فقرة منها ١٠ فقرات مشتركة؛ ليتم تدريج صعوبة الفقرات على نفس المقياس. تكونت عينة الدراسة من ٣٠٦٢ طالب من طلبة الصف السادس في تايلند، تم تحليل البيانات بواسطة برنامج (RUMM2010) الخاص بنموذج راش أُحادي البعد. وقد تم تطبيق الفقرات على مرحلتين، في المرحلة الأولى تم تطبيق ٢٥٠ فقرة تم توزيعها على ستة نماذج تكّون كلاً منها من ٥٠ فقرة منها ١٠ فقرات مشتركة، تم تطبيقها على ٢٤٥٢ طالب. وقد أشارت نتائج التحليل إلى حذف ١٧٢ فقرة لعدم ملاءمتها للنموذج بينما تم الاحتفاظ بـ ٧٨ فقرة. أما في المرحلة الثانية فقد تم تطبيق النموذج السابع ٥٠ فقرة منها ١٠ الفقرات المشتركة وطبقت على ٦١٠ طالب، تم حذف ٣٠ فقرة لعدم ملاءمتها للنموذج والاحتفاظ بـ ٢٠ فقرة. تم تخزين الفقرات الملاءمة والمحددة بـ ٩٨ فقرة في بنك الأسئلة، ثم تم إنشاء برنامج حاسوبي للاختبار التكيفي المحوسب حيث تم تجربته على ٤٠٠ طالب من طلبة مدرستين ابتدائيتين في محافظة أوبون راتشاثاني بتايلند. وقد أوصى الباحث في نهاية بحثه إلى عمل بنوك أسئلة واستخدام الاختبارات التكيفية المحوسبة؛ لأنها ستكون وسيلة التقييم في المستقبل.

- **دراسة (عثمان، ٢٠٠٦)**، والتي هدفت إلى بناء بنك أسئلة في مادة الرياضيات للصف الثاني الثانوي العلمي وفق نظرية الاستجابة للفقرة، تكونت عينة الدراسة من ٨٠٠ طالب وطالبة من طلبة الصف الثاني الثانوي العلمي موزعين على مديريات التربية التابعة لوزارة التربية والتعليم في العاصمة الأردنية عمان، للعام الدراسي ٢٠٠٤/٢٠٠٥م، حيث تم تطبيق كل نموذج اختباري على ١٠٠ طالب. اختيرت عينة الدراسة بالطريقة العشوائية الطبقية النسبية. تم تحليل إجابات أفراد الدراسة للنماذج الثمانية باستخدام برنامج (Microcat, Bilog)، كما تم استخدام برنامج (Access) لتخزين الفقرات واستدعائها من بنك الاسئلة لتكوين اختبارات. بينت نتائج التحليل ما

يلي: تم حذف فقرتين لعدم مطابقتها للنموذج من اصل ٢٦٠ فقرة موزعة في ثمانية نماذج متكافئة من حيث المحتوى تكّون كل منها من (٤٠) فقرة، منها ١٠ فقرات مكررة في كل نموذج. وأوصى الباحث بمجموعة من التوصيات أهمها: إثراء بنك الأسئلة المطور بمزيد من الأسئلة، وخصوصاً أسئلة حل المشكلات التي تكون الإجابات عليها بغير نعم أو لا، وبناء بنوك أسئلة في مواد أخرى.

- **دراسة (حرز الله، ٢٠٠٤)** والتي هدفت إلى بناء بنك أسئلة في الرياضيات، والتحقق من فاعليته في انتقاء فقرات اختبار محكّي المرجع في مستوى امتحان الثانوية العامة في الأردن. تكونت عينة الدراسة من ١٥٠٠ طالب من طلبة الصف الثاني الثانوي/ الفرع العلمي للعام الدراسي ٢٠٠١/٢٠٠٢م. اختيرت عينة الدراسة بالطريقة العشوائية الطبقية، بينت نتائج التحليل أن ٣٢ فقرة تم استبعادها حسب النظرية الكلاسيكية مقابل ٢٢ فقرة حسب النموذج الثلاثي المعلمة الخاص بنظرية استجابة الفقرة من إجمالي عدد الفقرات الكلي والبالغ عددها بـ (٢٦٠) فقرة وزعت على ست صور اختبارية متكافئة من حيث المحتوى تكون كل منها من (٥٠) فقرة، منها (١٠) فقرات مشتركة. تم بعد ذلك بناء قاعدة بيانات من خلال برنامج IQUEST حيث تم فيها تخزين الفقرات المطابقة والتي كانت ٢٠٦ فقرة وقد استخدم البرنامج الحاسوبي الذي تمّ بناءه في انتقاء فقرات اختبار محكّي المرجع في مستوى امتحان الثانوية العامة في الأردن، وقد أشارت النتائج إلى أن هذا الاختبار كان شاملاً بشكل يتناسب مع حجم الوحدات الدراسية وأهميتها.

ويلاحظ من عرض الدراسات السابقة ما يأتي:

- أن بناء بنوك الأسئلة اعتمدت أساساً على بناء قاعدة بيانات يتم فيها تخزين الفقرات الاختبارية مع المعلومات الخاصة بها، لتوفير إمكانية انتقاء فقرات اختبارية منها حسب الهدف المطلوب.

- أن الدراسات التي تناولت بناء بنوك الأسئلة قد استخدمت نظرية الاستجابة للفقرة بنماذجها المختلفة بحكم أن بنوك الأسئلة هي تطبيق من تطبيقات هذه النظرية، إلى جانب أن بعض من هذه الدراسات قد قارنت هذه النتائج بنتائج النظرية الكلاسيكية.

- وجود ندرة في الدراسات –حسب علم الباحثين- تتعلق ببناء بنوك الأسئلة في الجمهورية اليمنية في مادة الرياضيات، حيث وجدا دراسة واحدة وهي دراسة (الأبرط، ٢٠١٢).

- كما أن الدراسة الحالية تتميز بتوظيف برنامج حاسوبي لإدارة بنك الاسئلة بطريقة آلية تتسم بالدقة والسهولة والسرعة والأمان، والذي تم تصميمه من قبل الباحثين لهذا الغرض.

منهج الدراسة:

اتبع في هذه الدراسة المنهج الوصفي، حيث يعد المنهج الأنسب لتحقيق أهدافها.

مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من جميع طلبة الصف التاسع من مرحلة التعليم الأساسي بالمدارس الحكومية التابعة لمديريات التربية والتعليم بأمانة العاصمة المقيدين في العام الدراسي ٢٠١٥/٢٠١٦م، والبالغ عددهم حوالي (٣٣٣٥٨) طالباً وطالبة، منهم (١٦٥٠٠) طالباً، و(١٦٨٥٨) طالبة، موزعين على (١١) منطقة تعليمية تشمل (٣١٥) مدرسة.

عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة الرئيسة من (١٢٠٠) طالب وطالبة منهم (٥٩٤) طالباً، (٦٠٦) طالبة من طلبة الصف التاسع من التعليم الأساسي في أمانة العاصمة، قسمت العينة إلى ست مجموعات؛ حسب عدد النماذج الاختبارية حيث تم تحديد حجم العينة والذي يساوي خمسة أضعاف عدد الفقرات الاختبارية، حيث كان عدد الفقرات في النموذج الواحد ٤٠ فقرة وحجم العينة لكل نموذج ٢٠٠ طالب، أُختيرت العينة عشوائياً بالطريقة العنقودية الطبقية، وقد توزعت عينة الدراسة الرئيسة على أربع مناطق تعليمية من مجتمع الدراسة، والجدول (١) يوضح ذلك:

جدول (١): عدد مدارس عينة الدراسة في المناطق التعليمية المختارة

المنطقة التعليمية	عدد المدارس المشمولة في الدراسة			أفراد العينة		
	بنات	بنين	المجموع	بنات	بنين	المجموع
التحرير	١	١	٢	٦٧	٨٧	١٥٤
الوحدة	٣	٣	٦	١١٢	١١٠	٢٢٢
منطقتا السبعين	٧	٤	١١	٤٢٧	٣٩٧	٨٢٤
المجموع	١١	٨	١٩	٦٠٦	٥٩٤	١٢٠٠

يشير جدول (١) إلى عدد المدارس المختارة في المناطق التعليمية المحددة، والتي توزعت فيها عينة الدراسة بالنسبة لكل من البنات والبنين. وقد حرص الباحثان على أن تكون عينة الدراسة ممثلة بشكل مناسب لكلا الجنسين سواءً بشكل إجمالي أو على مستوى

كل منطقة تعليمية مختارة (التحرير، الوحدة، ومنطقتي السبعين)، وذلك بطريقة احصائية[1].

أدوات الدراسة:

استخدمت في هذه الدراسة أداتان رئيستان، هما:

الأداة الأولى: بعد تحليل محتوى الرياضيات المحدد وبناء جدول مواصفات الاختبار، تم بناء مجموعة من فقرات الأسئلة تكونت في صورتها النهائية من (٢١٠) فقرة من نوع الاختيار من متعدد ولكل فقرة أربعة بدائل واحد منها فقط صحيح، حيث وزعت هذه الفقرات على ستة نماذج اختبارية متكافئة تغطي محتوى رياضيات الصف التاسع الأساسي. حيث تكون كل نموذج من ٤٠ فقرة تكرر منها ٦ فقرات كفقرات مشتركة (جذع مشترك)، والتي رُوعي في بنائها المنهجية العلمية في بناء الاختبارات، والخطوات الاتية توضح ذلك:

صدق أداة فقرات الاختبار وثباتها

أولاً: صدق الفقرات

تم التحقق من صدق الاختبارات والمتمثل بفقرات البنك بطريقتين، وذلك كما يلي:

الطريقة الأولى: تم التحقق من صدق المحتوى لأداة الدراسة من خلال أحكام المتخصصين، حيث طلب منهم إبداء أراءهم وملاحظاتهم حول الفقرات، من حيث: مدى تمثيل الفقرات للمحتوى، ووضوح صياغة الفقرات، ومستوى مناسبة لغتها للطلبة، ومعايير كتابة فقرات الاختيار من متعدد. وتبين من عملية التحكيم مناسبة الفقرات وشموليتها للوحدات الدراسية للمادة بشكل عام، باستثناء بعض الفقرات التي تم تعديلها في ضوء الملاحظات. وبذلك أُفترض أن الاختبارات تتمتع بصدق محتوى مناسب.

الطريقة الثانية: تم التحقق من صدق المحك التنبؤي من خلال إيجاد معاملات الارتباط (بيرسون) بين درجة الطالب الكلية الحاصل عليها من خلال الاختبار المعد ودرجته في اختبار مادة الرياضيات في نهاية العام الدراسي نفسه والمعمول من قبل وزارة التربية والتعليم[2]، والذي جرى تطبيقه بعد شهرين من تاريخ تطبيق الاختبارات، وقد تراوحت قيم معاملات الارتباط لبيرسون بين (٠,٤١٦ -٠,٧٢٨)، حيث كانت هذه

[1] وقد تم حساب حجم الطبقة (بنين، بنات) في العينة من خلال المعادلة التي أوضحها (الحمداني، الجاردي، قنديلجي، بني هاني، وأبو زينة، ٢٠٠٦، ص٢٠٣) كما يلي: حجم الطبقة في العينة = (حجم الطبقة ÷ حجم المجتمع) × حجم العينة

[2] تم أخذ درجات الطلبة من موقع الوزارة على الرابط الإلكتروني **http://www.results.edu.ye/validate.aspx**

القيم موجبة وذات دلالة إحصائية، لذا تعتبر مقبولة ومؤشراً على الاتساق الداخلي للفقرات.

ثانياً: ثبات الفقرات

تم التحقق من ثبات الاختبارات باستخدام اختبار "ألفا كرونباخ"، حيث تراوح معامل الثبات للنماذج الاختبارية بين (٠,٧٨٠ -٠,٨٧٦)، وهي تعتبر مؤشرات ثبات جيدة ومناسبة. وكذلك تم حساب معامل الثبات باستخدام برنامج Bilog-MG3 حيث تراوحت قيمه بين (٠,٨٤٨٠ -٠,٩٣٩٨)، وهذه القيم تدل على ثبات مرتفع.

- **الأداة الثانية:** توظيف برنامج حاسوبي ليستجيب لمتطلبات تخزين الفقرات مع المعلومات الخاصة بكل فقرة، وإعادة استدعائها، وانتقاء فقرات منها لتشكيل اختباراً يستجيب لرغبة المستخدم ويحقق الهدف من الاختبار المراد إعداده، وتحقيقاً لهذا الغرض صمم الباحثين برنامجاً حاسوبياً، حيث استخدم في تصميم البرنامج الحاسوبي: برنامج Access لعمل قاعدة بيانات لتخزين فقرات بنك الأسئلة مع جميع المعلومات الخاصة بها، والتي تحتوي الحقول التالية: الوحدة الدراسية، مواضيع الوحدة، نص الفقرة مع البدائل، الإجابة الصحيحة، معالم الصعوبة والتمييز والتخمين، ودالة المعلومات للفقرة، ومستوى القدرة للفقرة والتي تكون دالة معلومات الفقرة عندها أعلى ما يمكن. وكذا استخدمت Visual Basic. NET لعمل الواجهات الخاصة بنظام بنك الأسئلة وربطها بقاعدة البيانات المصممة؛ لاختيار واستدعاء الفقرات منه لتكوين الاختبارات المطلوبة بواسطة هذا البرنامج.

وقد تم عرض البرنامج بعد تصميمه على محكمين من تخصصات الحاسوب وتقنيات التعليم وتربويات الرياضيات، وقد تم تطوير البرنامج وفق الملاحظات التي أبداها بعض المحكمين والمتعلقة في التغذية الراجعة عند استخدام البرنامج للاختبار الكترونياً.

تطبيق الدراسة:

تم تطبيق الدراسة نهاية العام الدراسي ٢٠١٥/٢٠١٦م، على عينة الدراسة في المدارس المحددة سابقاً لكل من البنات والبنين. وبعد جمع البيانات تم تصحيح فقرات الاختبار في كل نموذج اختباري على حدة، حيث أُعطيت درجة واحدة للإجابة الصحيحة للفقرة وصفر إذا كانت الاجابة خطأ. ثم تم إدخال درجات أفراد العينة في الحاسوب بغرض المعالجة الاحصائية المطلوبة، حيث تم استخدام برنامج SPSS لحساب الثبات، واختبار التحليل العاملي، وبرنامج Bilog-MG3 للحصول على الاحصائيات الخاصة بتقديرات معالم الفقرات وتقديرات الأفراد حسب نظرية الاستجابة للفقرة. وبرنامج Excel لإجراء عملية التدريج، وكذلك لحساب دالة معلومات الفقرات والقدرة. إضافة

إلى توظيف البرنامج الحاسوبي المصمم لإدارة فقرات بنك الأسئلة (تخزين، استدعاء، واختيار) والذي تم بناؤه واستخدامه لهذا الغرض.

عرض النتائج ومناقشتها:

أولاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الأول الذي ينص على: هل افتراضات نظرية الاستجابة للفقرة باستخدام النموذج اللوغاريتمي ثلاثي المعّلمة متحققة في البيانات المستمدة من استجابات العينة على فقرات الاختبارات المُعدة؟

للتحقق من نتائج السؤال الأول تم استخدام برنامج SPSS، وذلك للتأكد من تحقق افتراضات نظرية الاستجابة للفقرة باستخدام النموذج الثلاثي المعّلمة، وهي:

١) أحادية البعد: للتحقق من هذا الافتراض تم اجراء اختبار التحليل العاملي _بعد التأكد من الإيفاء بشروط اختبار التحليل العاملي_؛ المتعلقة باستجابات ١٢٠٠ طالب وطالبة عن ٢١٠ فقرة والتي تم توزيعها في ستة نماذج اختبارية، وجدول (٢) يلخص ذلك كما يأتي:

جدول (٢): ملخص لنتائج التحقق من افتراض أحادية البعد[٣]

نماذج الاختبار		العامل الأول	العامل الثاني	العامل الثالث	ناتج قسمة العامل الأول على الثاني	ناتج قسمة العامل الثاني على الثالث
الأول	الجذر الكامن	5.417	1.924	1.773	2.815	1.085
	التباين المفسر	13.542	4.810	4.431		
الثاني	الجذر الكامن	4.853	1.971	1.756	2.462	1.122
	التباين المفسر	12.132	4.927	4.390		
الثالث	الجذر الكامن	7.056	1.650	1.641	4.276	1.005
	التباين المفسر	17.639	4.124	4.101		
الرابع	الجذر الكامن	4.776	1.887	1.717	2.531	1.099
	التباين المفسر	11.941	4.718	4.293		

[٣] يعرض الجدول قيم الجذر الكامن ونسب التباين المفسر للعامل الأول والثاني والثالث وناتج قسمة قيمة الجذر الكامن للعامل الأول على الجذر الكامن للعامل الثاني وناتج قسمة الجذر الكامن للعامل الثاني على الجذر الكامن للعامل الثالث في التوزيعات.

نماذج الاختبار		العامل الأول	العامل الثاني	العامل الثالث	ناتج قسمة العامل الأول على الثاني	ناتج قسمة العامل الثاني على الثالث
الخامس	الجذر الكامن	4.606	2.056	1.999	2.240	1.029
	التباين المفسر	11.514	5.141	4.998		
السادس	الجذر الكامن	5.197	1.972	1.586	2.635	1.243
	التباين المفسر	12.991	4.930	3.965		

نلاحظ من جدول (٢) أن قيم الجذور الكامنة للعامل الأول مرتفعة مقارنة بقيم الجذور الكامنة للعاملين الثاني والثالث، وكذلك نسبة قيم الجذور الكامنة للعامل الأول إلى قيم الجذور الكامنة للعامل الثاني في جميع النماذج تزيد عن مثلي نسبة قيم الجذور الكامنة للعامل الثاني إلى قيم الجذور الكامنة للعامل الثالث؛ لذلك تحقق محك القبول بوجود افتراض أحادي البعد.

٢) افتراض الاستقلال الموضعي: نظراً لأن افتراض أحادية البعد يكافئ افتراض الاستقلال الموضعي، فإنه تم الاكتفاء بالتحقق من افتراض أحادية البعد، للاستدلال على تحقق افتراض الاستقلال الموضعي. حيث رأى (Ueno, 2002)، و (Hambleton& Swaminthan,1985) أن مصطلح الاستقلال الموضعي هو مصطلح مكافئ لمصطلح أحادية البعد. كما تم مراعاة ذلك عند بناء الفقرات من حيث ألا تقدم أي فقرة مفتاح الحل للإجابة عن فقرة أخرى.

٣) افتراض التحرر من السرعة: تم إعطاء الطلبة الوقت الكافي للإجابة عن كل اختبار، بحيث لا يؤثر عامل السرعة في أداء الطلبة، وبذلك تم التأكد أن إخفاق الطلبة في الإجابة عن فقرات الاختبار يعود إلى انخفاض قدراتهم، وليس إلى تأثير عامل السرعة في الإجابة، بالإضافة إلى أنه لم يشتك أي طالب في أثناء التطبيق من ضيق الوقت، وعدم كفايته.

ووضح (يعقوب، ١٩٩٠) المشار إليه في (ملياني، ٢٠١٠، ١٤٥) أن هذا الافتراض نادراً ما يشار إليه لكونه متضمناً في افتراض أحادية البعد؛ لأنه عندما يؤثر عامل السرعة في الأداء على الاختبار يكون هناك سمتان أو قدرتان على الأقل تؤثران في الأداء، هما سرعة الأداء والسمة أو القدرة التي يقيسها الاختبار، وبهذا لا يتوفر فرض أحادية البعد.

٤) **افتراض منحى خصائص الفقرة:** بالنسبة لهذا الافتراض فهو متحقق ضمنياً من خلال إيجاد قيم معالم الفقرات، وهذا الافتراض أكثر ما يتم التركيز عليه عند استخدام النموذج الأحادي المعلمة (نموذج راش).

من المناقشة السابقة يتضح أنه تم التحقق من جميع افتراضات نظرية الاستجابة للفقرة الخاصة بالنموذج الثلاثي المعّلمة لبيانات استجابات العينة على الاختبارات بنماذجها الستة، وعلى ذلك بإمكاننا استخدام هذا النموذج.

ثانياً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني الذي ينص على: ما مدى مطابقة الفقرات المقترحة لتشكيل البنك للنموذج اللوغاريتمي ثلاثي المعّلمة؟

للإجابة عن السؤال الثاني تم استخدام برنامج (Bilog-MG3)، حيث تم تحليل استجابات الطلبة على الاختبارات في النماذج الاختبارية الستة، من حيث:

ملاءمة **الفقرة للنموذج المستخدم:** حيث تكون الفقرة ملائمة للنموذج المستخدم إذا كان مستوى الدلالة الإحصائية للمطابقة من خلال اختبار مربع كأي لها أكبر من ($\alpha = 0.01$)، والجدول (٣) يوضح الفقرات التي تم حذفها مع المعلومات الخاصة بكل فقرة على النحو التالي:

جدول (٣): الفقرات الاختبارية المحذوفة من النماذج الاختبارية

النموذج	الفقرة	الصعوبة(b)	التمييز(a)	التخمين(c)	الدلالة الإحصائية لمربع كأي (χ^2)
١	٢	- ٠,٩٨٦	٣,٠١٥	٠,٣٦٦	٠,٠٠٠٠
٢	٣٤	- 1.052	٢,١٩٨	0.322	0.0003
٥	17	1.445	1.614	0.283	0.0099
٦	1	- 0.759	1.442	0.336	0.0001

يلاحظ من الجدول (٣) أن عدد الفقرات التي تم حذفها من النماذج الاختبارية ٤ فقرات من أصل ٢١٠ فقرة؛ وذلك لعدم ملاءمتها للنموذج الثلاثي المعّلمة أي لعدم ملاءمتها لأسس القياس وفقاً للمحكات الإحصائية الخاصة ببرنامج Bilog-MG3، وقد يرجع سبب عدم ملاءمة هذه الفقرات للنموذج الثلاثي المعّلمة إلى عوامل مختلفة دعت إلى حذفها، مثل: وجود عيب في صياغتها، أو ضعف صدقها في قياس ما تقيسه باقي

الفقرات، أو أنها غير دقيقة وغامضة بالنسبة لأفراد العينة، أو أنها لا يمكنها التمييز بين مستويات المتغير.

ومن الملاحظ في الدراسة الحالية أنه لم تحذف أي فقرة من الفقرات المشتركة بين النماذج أو ما تسمى بفقرات الجذع المشترك، وهذا دليل على مناسبة هذه الفقرات للربط بين النماذج.

(أ) **مطابقة استجابات الأفراد مع توقعات النموذج المستخدم:** بالنسبة للأفراد الذين لم يطابقوا النموذج اللوغاريتمي الثلاثي المعّلمة، وفق نظرية استجابة الفقرة، ففي ضوء تحليل استجابات عينة الدراسة عن الفقرات باستخدام برنامج Bilog-MG3، فقد تم حذف ٤ أفراد من أفراد العينة حيث كانت قيمة الملائمة (FIT PROB) لمربع كأي ($\chi^2 < 0.01$) لجميع الطلبة الذين لم تتطابق بياناتهم مع توقعات النموذج المستخدم، والجدول (٤) يلخص نتائج الحذف على النحو التالي:

جدول (٤): الطلبة الذين لم يطابقوا النموذج الثلاثي المعّلمة في النماذج الاختبارية، والبيانات المحسوبة لها

النموذج	تسلسل الطالب	القدرة	الخطأ المعياري للقدرة	FIT PROB
الثالث	185	0.3969	0.2100	0.002625
الرابع	24	- 0.5068	0.5529	0.009799
الخامس	173	0.3591	0.2873	0.008640
	188	- 0.9710	0.8051	0.008923

ويلاحظ من الجدول (٤) أنه تم حذف استجابات ٤ طلاب من طلبة العينة الكلية، لم تتطابق استجاباتهم مع توقعات النموذج. ويُفسر عدم هذا التطابق إلى قلة جدية بعض الطلبة من خلال اللامبالاة في الإجابة عن فقرات الاختبار، وميلهم إلى الإجابة بشكل عشوائي، ويمكن أن يكون السبب هو ميل بعض الطلبة من ذوي القدرات المتدنية إلى التخمين عن الفقرات، التي قيم معلم الصعوبة يفوق مستوى قدراتهم. وفيما يتعلق بالطلبة ذوي القدرات العالية، فيمكن تفسر سبب حذف البرنامج لاستجاباتهم إلى اخفاقهم في التعامل مع الفقرات التي هي دون مستوى قدراتهم، وهذا ما أشار إلى (Meijer, 1996) الوارد في (حمادنة، ٢٠٠٩) بأن الأفراد ذوي القدرات العالية جداً عادة ما يخفقون في الإجابة عن الفقرات السهلة، وذلك لأنهم يفكرون بأبعد مما تعنيه الفقرة، أو أنهم عادة يميلون إلى تفسير مدلولات الفقرة بأكثر مما تحتمل.

ثالثاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث الذي ينص على: ما الخصائص السيكومترية المتحققة لتجمع الفقرات المشكلة للبنك؟

للإجابة عن السؤال الثالث تم استخدام برنامج Bilog-MG3، حيث تم تحليل استجابات الطلبة على الاختبارات في النماذج الاختبارية الستة، وتم استخراج معاملات الصعوبة والتمييز والتخمين لكل الفقرات في النماذج الستة.

ويوضح الجدول (٥) أصغر وأكبر معالم الصعوبة والتمييز والتخمين للفقرات التي تكونت منها فقرات البنك والمحسوبة باستخدام نظرية الاستجابة للفقرة وفق النموذج ثلاثي المعّلمة المتحققة في كل نموذج اختباري، وكذا المتوسطات الحسابية العامة لكل معلم منها:

جدول (٥): ملخص لمعالم فقرات النماذج الاختبارية الستة والمتوسطات الحسابية لمعالم (الصعوبة، التمييز، والتخمين) المتحققة لكل نموذج منها حسب نظرية الاستجابة للفقرة نموذج ثلاثي المعّلمة التي تكونت منها فقرات البنك بعد حذف الفقرات غير المطابقة

المعاملات / النموذج	الصعوبة			التمييز			التخمين		
	أدنى معامل	أعلى معامل	المتوسط العام	أدنى معامل	أعلى معامل	المتوسط العام	أدنى معامل	أعلى معامل	المتوسط العام
الأول	.270 -	2.637	1.008	1.173	4.401	٩2.88	.091٠	0.495	0.366
الثاني	-.860	2.186	0.958	1.012	3.674	١2.02	0.194	0.463	٣0.32
الثالث	- 1.101	1.443	٩0.47	1.301	4.285	٩2.40	0.163	0.440	0.319
الرابع	- 1.311	1.662	0.660	1.037	2.517	٦1.51	0.219	0.434	0.344
الخامس	- 1.629	2.855	٨0.83	0.677	2.959	1.752	0.208	0.458	0.327
السادس	- 1.099	2.914	٧٠0.8	1.190	3.610	2.064	0.250	0.469	٣0.34

يلاحظ من جدول (٦) أن قيم متوسطات الصعوبة للنماذج الاختبارية المختلفة تراوحت بين (0.479-١,٠٠٨)، وتراوحت قيم متوسطات التمييز بين (1.516 - ٢,٨٨٩)، وتراوحت قيم متوسطات التخمين بين (0.319 -٠,٣٦٦).

وبعد إتمام مطابقة البيانات للنموذج ثلاثي المعّلمة، والحصول على معالم الفقرات المشتركة بين النماذج الاختبارية المختلفة باستخدام برنامج Bilog-MG3، استخدمت الطريقة الخطية في عملية تدريج الفقرات على مقياس عام مشترك. مما يتيح إمكانية أن تكون صعوبة وتمييز الفقرة المختارة من أي نموذج اختباري على نفس المقياس الذي يمثل بنك الأسئلة ككل.

حيث تراوحت القيمة القصوى لدالة المعلومات لفقرات الاختبار بعد التدريج على مقياس عام مشترك موحد بين (0.251 –١٠,٦٩٢) حيث كانت أقل قيمة لأقصى المعلومات (0.251) عند مستوى قدرة يســـــــــــاوي (0.696-) وكانت أعلى قيمة لأقصى المعلومات (١٠,٩٦٢) عند مستوى قدرة يساوي (٠,٧٥٥). وكما هو معروف أن دالة المعلومات تتناسب عكسياً مع الخطأ المعياري لتقدير القدرة عند مستوى معين من القدرة، فكلما ازدادت دالة المعلومات قل الخطأ وازدادت الدقة في القياس.

فقد أوضح كل من (الشافعي، ٢٠٠٨)، و(Reeve, 2002) عندما يكون مدى صعوبة الفقرات مطابقاً لمدى قدرات المفحوصين يكون تمييز هذه الفقرات أعلى ما يمكن، وكذلك يكون التخمين أقل ما يمكن وبالتالي دالة معلومات الفقرة المنتقاة أعلى ما يمكن عند مدى القدرة المستهدف.

ويلاحظ كذلك أن معالم صعوبة الفقرات بعد التدريج حسب النموذج الثلاثي المعّلمة أخذت قيماً ضمن المدى (١,٣٩٠-) و(٢,٤١٩). وأظهرت النتائج أيضا أن معالم الفقرات المقدرة من خلال نظرية الاستجابة للفقرة كانت ضمن القيم المتوقعة لمدى الصعوبة والتمييز والتخمين.

وبشكل عام، فقد تم الخروج بمجموعة من الفقرات الاختبارية التي يتم منها عمل العديد من الصور الاختبارية وحسب الهدف المطلوب، حيث تتيح هذه الصور الاختبارية تشكيل بنك (نواة بنك) أسئلة في الجزء الأول من مادة الرياضيات للصف التاسع الأساسي، مبني وفق نظرية الاستجابة للفقرة، ومكون البنك في صورته النهائية من ٢٠٦ فقرة (بعد حذف الفقرات الأربع غير المطابقة للنموذج) تقيس متغير التحصيل بكافة المستويات التي اعتمد عليها وفقاً لتصنيفات وليم عبيد (١٩٨٨م)، التي بُنيت فقرات البنك على أساسها، وقد طابقت هذه الفقرات النموذج اللوغاريتمي ثلاثي المعّلمة لنظرية استجابة الفقرة، وتتمتع بخصائص سيكومترية مقبولة ضمن المحكات التي أوردتها أدبيات القياس التربوي.

رابعاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الرابع الذي ينص على: ما جودة توظيف البرنامج الحاسوبي المصمم لإدارة بنك الأسئلة من حيث التخزين والاسترجاع واختيار الفقرات؟

للإجابة عن السؤال الرابع تم توظيف البرنامج الحاسوبي المصمم خصيصاً من قبل الباحثين لتحزين فقرات الأسئلة مع المعلومات الخاصة بكل فقرة، حيث تم إنشاء قاعدة البيانات له بواسطة برنامج Access والتي تحتوي على الحقول التالية: الوحدة الدراسية، الموضوع، رقم الفقرة، نص الفقرة مع البدائل، الإجابة الصحيحة، معلمة الصعوبة (b_i)، معلمة التمييز (a_i)، معلمة التخمين (c_i)، ودالة معلومات الفقرة $I(\theta)$، ومستوى القدرة التي تكون دالة معلومات الفقرة عندها أعلى ما يمكن θ_{max}. كذلك استخدم في تصميم وانتاج البرنامج Visual Basic. NET لعمل الواجهات الخاصة بنظام بنك الأسئلة وربطها بقاعدة البيانات المصممة؛ لاختيار واستدعاء الفقرات منه لتكوين الاختبارات المطلوبة بواسطة البرنامج.

وقد تم تجريب البرنامج الحاسوبي لاستدعاء وانتقاء فقرات اختبار يغطي المحتوى المعرفي للجزء الأول من مادة الرياضيات للصف التاسع من التعليم الأساسي الذي يتكون من أربع وحدات دراسية والمدخلات التي قدمت للبرنامج كانت كالتالي: عدد فقرات الاختبار(والتي تم تحديدها حسب النسب الناتجة من خلال جدول المواصفات): ٢٠ فقرة (الوحدة الأولى: ٥ فقرات، الوحدة الثانية: ٧ فقرات، الوحدة الثالثة: ٤ فقرات، الوحدة الرابعة: ٤ فقرات)، مدى صعوبة الفقرات المختارة: (-٣ إلى ٣) لوجيت•، مدى تمييز الفقرات المختارة: (٠,٧ إلى ٥) لوجيت.

وبعد ان تم تزويد البرنامج بهذه المعلومات استجاب لها البرنامج وقدم الفقرات التي تحقق الشروط المطلوبة مع المعلومات الخاصة بكل فقرة. حيث أظهرت النتائج الخاصة بالاختبار المنتج أن صعوبات الفقرات قد توزعت بين الفقرات السهلة والمتوسطة والصعبة حيث تراوحت قيم معلم الصعوبة بين ((0.141-) -1.428)، كذلك تمييز الفقرات تراوح بين (0.859-3.921) وهو تمييز يستجيب لمعيار الفقرة الفاعلة في التمييز بين مستويات القدرة. كما تم ملاحظة أن الفقرات توزعت على الوحدات الدراسية بحسب رغبة المستخدم، بحيث يشمل مستويات الاختبار المعرفي المطلوب.

كذلك أظهرت النتائج أن دالة معلومات الاختبار كانت ٤٤,٠٢٤، وقد تم حساب الخطأ المعياري في القياس من خلال دالة معلومات الاختبار باستخدام المعادلة

• وحدة قياس كل من قدرة الفرد وصعوبة وتمييز الفقرة في نظرية استجابة الفقرة.

$SEE = \frac{1}{\sqrt{I(\theta)}}$ وكانت ٠,١٥١، حيث يشير (Baker, 2001) إلى أنه كلما قل الخطأ المعياري، زاد المقياس دقةً وثباتاً.

كما أن البرنامج يتيح إجراء تطوير لفقرات البنك وإضافة فقرات جديدة بعد معايرتها، اضافة إلى إمكانية استخدام البرنامج لتنفيذ الاختبارات الالكترونية بواسطة الحاسوب مباشرة.

وعليه يتضح من خلال التطبيق العملي للبرنامج المحوسب وكذا رأي المحكمين انه يحقق جودة مناسبة في إدارة عمليات بنوك الاسئلة وفق مواصفات الدقة والسرعة والسهولة والأمان.

ثانياً: الاستنتاجات:

في ضوء نتائج هذه الدراسة ومناقشتها يمكن وضع الاستنتاجات التالية:

- تتمتع فقرات البنك بدرجة عالية من الفعالية، حيث دلت مؤشرات الصعوبة للفقرات الاختبارية أنها متدرجة ((١,٣٩٠-) ← 2.914) لوجيت، وهذا ما جعله مناسباً للغرض الذي صمم من أجله ألا وهو تجهيز فقرات اختبارات تصلح لأن تكون نواة لبنك أسئلة لمحتوى كتاب الرياضيات للصف التاسع من مرحلة التعليم الأساسي في الجمهورية اليمنية.
- تمتع فقرات البنك بدلائل صدق وثبات كافية، وأن استخدام بنوك الأسئلة يمكن أن يكون مناسباً في بناء اختبارات تكيفية تناسب الطلبة من ذوي مستويات القدرات المختلفة.
- تمتع الفقرات والأفراد في هذه الدراسة بنسبة مطابقة عالية، وقد يعود ذلك إلى حسن اختيار النموذج المناسب والمتمثل بالنموذج الثلاثي المعلمة.
- إن إنشاء بنوك أسئلة بطريقة علمية سليمة سوف يسهم في تحسين منظومة العملية التعليمية بشكل عام، ومنظومة المنهاج بشكل خاص.
- يمكن لبنك الأسئلة أن يستخدم في تشخيص نواحي القوة ونواحي القصور في تعليم وتقييم كل طالب دون مقارنته بزملائه، أي استقلاليته عن مجموعة الأفراد الذين يؤدون الاختبار سواء أكانوا بمستوى مرتفع أم منخفض، وهذا ما يميز النظرية الحديثة عن الكلاسيكية.
- استخدام برنامج حاسوبي مناسب لإدارة بنك الاسئلة، يجعل هذه العملية تتصف بالدقة والسرعة والسهولة والأمان، وهي مواصفات مطلوبة لتكتمل قيمة بنك الاسئلة وتحقيق أهميته.

التوصيات:

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية، يمكن تقديم التوصيات التالية:

- دعوة الجهات المعنية إلى تبني فكرة بناء بنوك أسئلة محوسبة (الكترونية) بنوعيها المفتوحة والمغلقة وفق نظرية استجابة الفقرة لكافة المقررات الدراسية في التعليم العام والجامعي، وبصفة خاصة مقررات الرياضيات؛ وذلك لما لها من أهمية كبيرة في تحقيق الدقة والموضوعية والشمول في القياس والتقويم، والتي تعد أحد مداخل تحقيق جودة التعليم.

- استخدام الفقرات التي تم بناؤها وفق نظرية الاستجابة للفقرة في عمل اختبارات مختلفة حسب الغرض والهدف المراد منه، وكذلك إعادة تدريج وتقدير صعوبة الفقرات وفقاً لنماذج أخرى من نظرية القياس.

- إثراء بنك الأسئلة الحالي بمزيد من الأسئلة، وخصوصاً أسئلة حل المشكلات التي تكون الإجابات عليها بغير نعم أو لا، من خلال استخدام النماذج متعددة التدريج مثل نموذج التقدير الجزئي.

- استخدام النظرية الحديثة في القياس في تقديرات قدرة الأفراد عند تحليل بيانات من اختبارات الاختيار من متعدد؛ وذلك لأن تقديرات قدرة الأفراد وفق النظرية الحديثة متحررة ومستقلة عن عينة الفقرات.

- تحليل الاختبارات العامة، ومعادلتها، ووضعها في بنك أسئلة.

- الاستفادة من تكنولوجيا المعلومات، والتقنية الحديثة في تطوير منظومة العملية التعليمية، وخاصة التكنولوجيا المستخدمة في عمليات القياس والتقويم من أجل تحسين جودة التعليم والتعلم.

- البدء في تطبيق التقويم المحوسب بشكل تدريجي (يمكن البدء ببعض المواد الدراسية في بعض صفوف التعليم العام) ثم الاستفادة من التجربة في تطوير متطلبات وآلية التقويم المحوسب ومن ثم زيادة عدد المواد الدراسية بشكل تدريجي.

رابعاً: المقترحات:

يقترح الباحثان إجراء الدراسات التالية:

✓ بناء بنوك أسئلة محوسبة لمادة الرياضيات –والمواد الدراسية الأخرى- نهاية كل حلقة دراسية من التعليم العام، باستخدام نماذج نظرية الاستجابة للفقرة.

✓ بناء بنك أسئلة محوسب للمهارات الرياضية الأساسية في نهاية المرحلة الأساسية باستخدام نماذج نظرية الاستجابة للفقرة.

- ✓ دراسة مقارنة بين نماذج نظرية الاستجابة للفقرة أحادية البعد في بناء الاختبارات وتحليل الفقرات.
- ✓ بناء اختبارات تكيفية محوسبة في الرياضيات باستخدام نماذج نظرية الاستجابة للفقرة.
- ✓ بناء اختبار محكي المرجع لقياس الكفايات الرياضية في نهاية المرحلة الأساسية/ الثانوية أو محتوى مجال معين باستخدام نماذج نظرية الاستجابة للفقرة.

المراجع:

– الأبرط، محمد. (٢٠١٢). اشتقاق معايير لاختبارات مختارة من فقرات بنك أسئلة في مقرر الرياضيات للثانوية العامة في اليمن استناداً إلى تقديرات القدرة حسب نظرية الاستجابة للفقرة. رسالة دكتوراه، جامعة عمان العربية، الأردن.

– أبو جراد، حمدي، والمصري، محمد. (٢٠١٠). مشروع تطوير الجوانب العملية في برنامج بإعداد المعلم بكليات التربية في الجامعات الفلسطينية بمحافظات غزة (دراسة تقويمية لبرامج التقويم المحوسب ومدى مناسبتها لحاجات الطلبة بالجامعات الفلسطينية، مشروع تطوير الجوانب العملية بكليات التربية بالجامعات IPATE- فلسطين.

– أبوعلام، رجاء. (٢٠٠٥). تقويم التعليم (ط.١). عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

– أيكين، ل. (٢٠٠٧). الاختبارات والامتحانات قياس القدرات والأداء (فرج السراج، مترجم). الرياض: شركة العبيكان للأبحاث والتطوير.

– بركات، مايا. (٢٠١٠). أثر تصميمات المعادلة ومتوسط صعوبة الاختبارات وتوزيع القدرة على معادلة درجات الاختبارات متعددة الأبعاد باستخدام نظرية الاستجابة للمفردة. رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، القاهرة.

– البسيوني، محمد. (٢٠١٣). تفريد تعليم الرياضيات (استراتيجيات ودراسات ( )ط.١). القاهرة: دار الفكر العربي

– التقي، أحمد. (٢٠٠٩). النظرية الحديثة في القياس (ط.١). عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

– الجبوري، رشيد. (٢٠١٢). بناء اختبار تحصيلي لمادة الإدارة والإشراف التربوي على وفق نظرية السمات الكامنة لطلبة معاهد إعداد المعلمين. مجلة الأستاذ، العدد ٢٠٣، ١٣٩٢-١٤٢٠.

– الجلبي، سوسن. (٢٠٠٥). أساسيات بناء الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية (ط.١). دمشق: مؤسسة علاء الدين للطباعة والتوزيع.

– حرز الله، علية. (٢٠٠٤). بناء بنك أسئلة في الرياضيات والتحقق من فاعليته في انتقاء فقرات اختبار محكي المرجع في مستوى امتحان شهادة الدراسة الثانوية العامة في الأردن. رسالة دكتوراه، جامعة عمان العربية للدراسات العليا، عمان.

– حماد، شريف. (٢٠١١، ٢٨ أبريل). جودة أسئلة الامتحانات النصفية لبرنامج التربية في جامعة القدس المفتوحة في ضوء معايير جودة الامتحان. ورقة علمية مقدمة إلى اليوم الدراسي "جودة الامتحانات الجامعية" الواقع والمأمول، جامعة القدس المفتوحة، غزة.

– حمادنة، إياد. (٢٠٠٩، يونيو). استخدام نظرية الاستجابة للمفردة في بناء اختبار محكي المرجع في الرياضيات وفق النموذج اللوجستي ثلاثي المعّلم. مجلة العلوم التربوية والنفسية، ١٠(٢)، ٢١٥-٢٣٨.

– الحمداني، موفق، الجاردي، عدنان، قنديلجي، عامر، بني هاني، عبد الرزاق، وأبو زينة، فريد. (٢٠٠٦). مناهج البحث العلمي: الكتاب الأول: أساسيات البحث العلمي (ط.١). عمّان: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع.

– خضر، عادل. (٢٠٠٤). بنوك الأسئلة. في محمد إسماعيل، وأحمد العزيزي (محرر)، تقويم التحصيل الدراسي للطالب الجامعي في ضوء الاتجاهات العالمية المعاصرة (ط.١، ص ص.٢١٢-٢٤٥). مصر: وزارة التعليم العالي.

– الخولي، زياد. (٢٠٠٦). أثر طرق معادلة درجات الاختبار في تدريج مفردات بنك الأسئلة باستخدام نموذج التقدير الجزئي. رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، مصر.

– الدعيس، شوقي. (٢٠١٣م). تقدير الدرجة الحقيقة لاختبار اللغة الإنجليزية لطلبة الصف الثامن أساسي باستخدام النظريتين التقليدية والحديثة في القياس. رسالة دكتوراه منشورة، جامعة القاهرة، مصر.

– دودين، حمزة. (٢٠٠٦). مشكلات الطلبة في اختبارات وطرق علاجها (ط.١). الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.

– سيف، محمد. (٢٠١٣). أثر عدد مفردات فئات المشتركة ومستوى صعوبتها على تدريج مفردات بنك الأسئلة المصمم باستخدام نموذج التقدير الجزئي. رسالة دكتوراه منشورة، جامعة القاهرة، مصر.

– الشافعي، محمد. (٢٠٠٨). تأثير انتهاك افتراضي أحادية البعد واستقلالية المحل في تدرج بنك الأسئلة ودقة معادلة درجات الاختبارات البنكية المسحوبة. بحث مقدم إلى كلية التربية –جامعة الملك فهد-المملكة العربية السعودية.

– الشيبة، ناصر. (٢٠٠٧). تقويم امتحانات مادة الرياضيات لنيل الشهادة الأساسية (الصف التاسع) في الجمهورية اليمنية. رسالة ماجستير، جامعة عدن، عدن.

– الطراونة، صبري. (٢٠١٦، مارس). بناء اختبار محكي المرجع في الإحصاء التحليلي لطلبة الدراسات العليا في كليات العلوم التربوية في الجامعات الأردنية الحكومية باستخدام نظرية استجابة الفقرة. مجلة العلوم التربوية والنفسية، ١٧(١)، ٥١٥-٥٤٢.

– الطراونة، عيسى. (٢٠١١). مقارنة فاعلية طريقة الأرجحية القصوى وطريقة بييز في تقدير معلم القدرة عند استخدام النموذج اللوغاريتمي. رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، مصر.

– العبد الله، زياد. (٢٠٠٩). أثر حجم العينة وعدد المفردات المشتركة على تدريج مفردات بنك الأسئلة باستخدام نموذج التقدير الجزئي. رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، مصر.

– عبد المعطي، السعيد، خليفة، وليد، وسعد، مراد. (٢٠١٠). الاتجاهات الحديثة في القياس النفسي والتقويم التربوي (ط.١). الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

– عبد الوهاب، محمد. (٢٠١٠). استخدام نماذج الاستجابة للمفردة الاختبارية في تدريج مفردات بعض الاختبارات المعرفية. رسالة دكتوراه، جامعة المنيا، مصر.

– عثمان، علام. (٢٠٠٦). بناء بنك أسئلة لمبحث الرياضيات للصف الثاني الثانوي العلمي باستخدام نظرية الاستجابة للفقرة. رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن.

– العديلات، تقى. (٢٠١٢م). بناء بنك أسئلة في الرياضيات لطلبة الصف الرابع وفقاً لنموذج نظرية استجابة الفقرة. رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن.

– علام، صلاح. (٢٠١١). القياس والتقويم التربوي والنفسي: أساسياته وتطبيقاته وتوجهاته المعاصرة (ط.٥). القاهرة: دار الفكر العربي.

– علام، صلاح. (٢٠٠٧ ب). القياس والتقويم التربوي في العملية التدريسية (ط.١)، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

– علام، صلاح. (٢٠٠٥). نماذج الاستجابة للمفردة الاختبارية أحادية البُعد ومتعددة الأبعاد وتطبيقاتها في القياس النفسي والتربوي (ط.١). القاهرة: دار الفكر العربي.

– العوامي، إيمان. (٢٠١٢). الخصائص القياسية لاختبار محكي المرجع في مقرر أساسيات التكامل لطلبة الكليات العلمية في ضوء النظريتين الكلاسيكية والحديثة. رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، صنعاء.

– عيد، غادة. (٢٠٠٦). القياس والتقويم التربوي مع تطبيقات برنامج SPSS (ط.١). الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.

– الفرجات، هشام. (٢٠٠٤). بناء بنك أسئلة لمبحث الكيمياء للصف الثاني الثانوي العلمي. رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الأردن.

– الفيشاني، علي. (٢٠٠٩). تقويم أسئلة المعلم للاختبارات النهائية في مادة الرياضيات للصفين الأول والثاني الثانوي في ذمار في ضوء بعض المعايير. رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، صنعاء.

– ملياني، زياد. (٢٠١٠). مقارنة أثر اختلاف عدد البدائل في اختبار الاختيار من متعدد على صعوبة الفقرة وقدرة الفرد في ضوء كلٍ من النظرية الكلاسيكية ونموذج راش. رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية.

– موسى، فاروق. (٢٠٠٧). القياس النفسي والتربوي للأسوياء وللمعوقين (ط.١)، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

– النجار، نبيل. (٢٠٠٦). بناء بنك أسئلة في مهارات الحاسوب للمرحلة الثانوية في الأردن باستخدام نماذج نظرية استجابة الفقرة "دراسة مقارنة بمعلمة ومعلمتين". رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، الأردن.

– Baker, F. (2001). *The Basics of item response theory* (2nd Ed). Retrieved October 8, 2015 from: www.edres.org/**irt**/baker/final.pdf

– Beston, S. (2000). *The UCIES EFL item banking system*. EFL Validation Manager, UCIES. UK.

– Chuesathuchon, C., & Waugh, R. (2008, 19-21 November). *Item Banking With Rasch Measurement: an Example for Primary Mathematics in Thailand*, International Conference. Sustainability in Higher Education: Directions for Change, Edith Cowan University, Perth Western Australia. Pp104-117 http://ro.ecu.edu.au/ceducom/8

– Hambleton, R., & Swaminathan, H. (1985). *Item Response Theory: Principles and Applications*. Boston, Kluwer, Nijhoff Publishing.

Njiru, J., & Romanoski, J. (2014). Development and Calibration of Physics Items to Create an Item Bank, using the Rasch Measurement Model. *THE INTERNATIONAL JOURNAL OF LEARNING*, VOLUME 14, Australia.

Reeve, B. (2002). *An Introduction to modern measurement theory*, Division of cancer control and population sciences, National Cancer Institute.

Ueno, M. (2002): An Extension of the IRT to a Network Model. *Behaviormetrika*, 29 (1), pp 59-79.

فاعلية تدريس الجغرافية باستراتيجية هرم الأفضلية في التحصيل وتنمية مهارات التفكير ما وراء المعرفة لدى طلاب الصف الرابع الأدبي

م.د/ الحارث شاكر عبد مرزوك

كلية الإمام الأعظم الجامعة ـ العراق

(مستخلص الدراسة)

تهدف الدراسة إلى معرفة فاعلية تدريس الجغرافية باستراتيجية هرم الأفضلية في التحصيل وتنمية مهارات ما وراء المعرفة لدى طلاب الصف الرابع الأدبي ، اعتمد الباحث منهج البحث التجريبي ذا الاختبار القبلي والبعدي ، وبلغت عينة الدراسة (٦٠) طالباً اختيروا عشوائيا من مجتمع الدراسة ، أمّا أداة الدراسة، فقد تمثلت باختبار التحصيل البعدي الذي اعدت فقراته البالغة (٤٠) فقرة اختبارية بعد أن تم استخراج صدق الأداة وثباتها ، ومقياس مهارات ما وراء المعرفة البالغ عدد فقراته (٤٠) فقرة، وبعد الحصول على الدراجات، جاءت النتائج تفوق طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا باستراتيجية هرم الأفضلية على طلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا بالطريقة التقليدية في الاختبارين القبلي والبعدي لمقياس مهارات ما وراء المعرفة ، وكذلك تفوق طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا باستراتيجية هرم الأفضلية على طلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا بالطريقة التقليدية في اختبار التحصيل البعدي. واستنتج الباحث أن التدريس على وفق استراتيجية هرم الأفضلية أكثر فاعلية من التدريس بالطريقة التقليدية في تحصيل موضوعات مادة أسس الجغرافية وتقنياتها ، وأوصى الباحث بضرورة تدريب مدرسي مادة الجغرافية من خلال دورات التعليم المستمر التي تقيمها مديريات التربية على الاستراتيجيات التدريسية الحديثة ومنها طريقة التدريس باستراتيجية المساجلة الحلقية ، واقترح الباحث إجراء دراسات مستقبلية على مواد ومراحل دراسية أخرى.

الكلمات المفتاحية: **(الفاعلية_ استراتيجية هرم الأفضلية _ التحصيل _ مهارات ما وراء المعرفة_ الجغرافية _ طلاب الصف الرابع الأدبي).**

Abstract

The study aimed to determine the effectiveness of teaching geography with the strategy of the pyramid of preference in achievement and development of the skills of the knowledge beyond the fourth grade students، The researchers adopted the method of experimental research with tribal and remote testing, The sample of the study was 60 students randomly selected from the study society. (40) test subjects after the tool's validity and knowledge were extracted, and the scale of knowledge skills (4٠), After cycling, the results were greater than the students of the experimental group who studied the strategy The superiority of the advantage of the control group students who studied in the traditional way in the tribal and remote tests of the scale of knowledge skills, as well as the superiority of the students of the experimental group who studied the strategy of the pyramid of preference to the students of the control group who studied the traditional way in the test of post-achievement and the researchers concluded that to teach according to the strategy of pyramid Preference is more effective than teaching in the traditional way in the collection of subjects of the basics of geography and its techniques. The researchers recommended the necessity of training the teachers of geography through continuing education courses, Recent teaching strategies, including the method of teaching with the strategy of ring balancing, and the researchers proposed future studies on other materials and stages of study.

الفصل الأول

((التعريف بالدراسة))

مشكلة الدراسة: إن تدريس موضوعات مادة الجغرافية بصورة عامة ومادة أسس الجغرافية وتقنياتها خاصة ، ليس مجرد توصيل المعلومات والمعرفة إلى الطلاب فقط ، وليس لرغبات وميول مدرسي المادة غير المرغوب فيها ، إلا أن مدرسي مادة الجغرافية يعقّدون الأمور على طلبتهم حينما يلجؤون إلى طرائق تدريسية مملة تدفعهم فيما بعد إلى استعمال القسر والإجبار لجعل الطلاب يتقدمون في تحصيلهم الدراسي، فالتدني بمستويات التحصيل بشكل عام وعدم الجدية في دراسة وتعلم موضوعات مادة الجغرافية، يعزى إلى تفضيل مدرسي هذه المادة للطرائق التقليدية وذلك لسهولتها، وأن الوضع الراهن لتدريس موضوعات مادة الجغرافية ما زال تقليدياً يعتمد على الحفظ والتلقين والاهتمام بحشو أذهان الطلاب ببعض المعلومات التي سرعان ما يتم نسيانها من الطلاب بعد الامتحان ، حيث أن تدريس موضوعات مادة الجغرافية يتم لجميع طلاب الفصل في وقت واحد وفي طريقة واحدة من دون الاخذ في الاعتبار قدرات كل منهم ورغباته ، كما لا يهتم بمراعاة الفروق الفردية بينهم، وعلى هذا الأساس فإن موضوعات مادة الجغرافية اليوم في أزمة حقيقية وطلاب الصف الرابع الأدبي لا يرون لها معنى أو قيمة ، بل أن بعضهم يراها موضوعات دراسية عاجزة عن الوفاء بوظائفها، فهي في نظرهم موضوعات جغرافية جاءت للحفظ والاستظهار الأمر الذي يعبر عن إهدار لقيمة هذه المادة ، وتخريب لوظائفها، فشكاوى طلاب الصف الرابع الأدبي وأولياء أمورهم تعبر في آرائهم على أن موضوعات مادة الجغرافية مادة صعبة الفهم ما يؤدي إلى انخفاض مستويات التحصيل فيها، ومن ملاحظات الباحث الأولية قبل مدة تطبيق التجربة وفي أثناء وجوده في المدرسة للإعداد للتجربة ولقائه وتواصله مع مدرسي مادة أسس الجغرافية وتقنياتها وبعض طلاب الصف الرابع الأدبي ، لاحظ أن مدرسي المادة يعزون هذه النظرة إلى أن الموضوعات صعبة الفهم، وذلك بسبب عدم اطلاعهم على الاستراتيجيات التدريسية الجديدة وتخوفهم من الخوض فيها لعدم وجود التشجيع من الزملاء والتدريسيين أو الإدارة أو المشرفين ، في كلتا الحالتين فالنتيجة النهائية تسبب ضعف في مستوى تحصيل طلاب الصف الرابع الأدبي ، وبناءً على ما تقدم وفي ضوء الملاحظات الميدانية ، لاحظ الباحث أيضا أن هنالك تقصيراً كبيراً في دور الطلاب لهذه المادة الذي من المفترض أن يكون دورهم ايجابياً أي أن يكونوا مشاركين مشاركة فعلية في خطوات الدرس ، وعلى هذا الأساس جاءت الحاجة إلى تبني استراتيجيات تدريسية حديثة تجعل الطلاب محور العملية التعليمية وتنمي قدراتهم على التفكير والربط والاستنتاج ، ومع ذلك – وعلى حد علم الباحث – لم تتناول أي من الدراسات فاعلية استراتيجية هرم الأفضلية في تدريس موضوعات مادة الجغرافية ، ما دعا الباحث إلى القيام بهذه الدراسة التي عسى ان تؤتي ثمارها المرجوة لرفع أو تحسين مستوى تحصيل

طلاب الصف الرابع الأدبي في موضوعات مادة الجغرافية ، وعليه تبلورت مشكلة الدراسة الحالية بالسؤال الآتي :

س / هل تدريس الجغرافية باستراتيجية هرم الأفضلية له فاعلية في التحصيل وتنمية مهارات ما وراء المعرفة لدى طلاب الصف الرابع الأدبي ؟

أهمية الدراسة التطبيقية :

١- أهمية مادة الجغرافية وتدريسها والنهوض بمتطلباتها ، لما كانت من العلوم التي حوت علوماً شتى ، لينتفع منها الطلاب في معرفة الظواهر الجغرافية وفهمها واستيعابها ، ومعرفة البيئة والنشاط البشري من خلال توظيف المعلومات الموجودة في المقرر الدراسي لهذا الغرض ، وأهمية مادة الجغرافية كونها علماً من العلوم المهمة ذات تماس مباشر مع الانسان ؛ لأنها تدرس ما يدور حوله من ظواهر طبيعية وبشرية وتهتم به.

٢- أهمية استراتيجية هرم الأفضلية كونها استراتيجية حديثة من استراتيجيات التعلم النشط التي يمكن من خلال تجريبها أن تجعل طلاب الصف الرابع الأدبي محوراً للعملية التعليمية ومتفاعلين معها ، وتوصل الطلاب إلى إدراك متكامل للمعلومات الجغرافية المقدمة إليهم .

٣- تناولت الدراسة الحالية طلاب الصف الرابع الادبي ، إذ لا تخفى أهمية هذه المرحلة ودورها في تحديد اتجاهاتهم وتخصصاتهم الدراسية ، إذ تعد الطلاب للانتقال إلى المرحلة الجامعية .

٤- رفد المكتبات التربوية العربية والعراقية بمعلومات بحثية ، لاسيما حول استراتيجية هرم الأفضلية ؛ وذلك لأهمية الدراسات التي سوف تستخدم هذه الاستراتيجية في مادة الجغرافية بصورة عامة في العراق والدول العربية على حد علم الباحث .

٥- أهمية استعمال وتوظيف استراتيجية هرم الأفضلية من مدرسي المادة وذلك لرفع مستوى التحصيل الدراسي لدى طلاب الصف الرابع الأدبي في مادة أسس الجغرافية وتقنياتها ، ورفع مستوى أداء الطلاب ومشاركتهم في الدرس مشاركة ايجابية نشطة فعّالة .

٦- وتنبع أهمية الدراسة الحالية من أهمية إقامة الدورات السريعة لمدرسي مادة الجغرافية بصورة عامة ومدرسي مادة أسس الجغرافية وتقنياتها على وجه الخصوص ، على أن يتعرفوا على خطوات هذه الاستراتيجية الحديثة في التدريس ؛ وذلك لخصائصها الفريدة ومرونتها وسهولة استعمالها وتوظيفها وإمكانية تطبيقها .

٧- قد تفتح هذه الدراسة أفاقاً جديدة في طرائق التدريس واستراتيجياتها التدريسية الحديثة ، والكشف عن مدى فعالية هذه الاستراتيجية ؛ ليتم تعزيز البحوث التجريبية التطبيقية حول إمكانية تجريب هذه الاستراتيجية في تدريس موضوعات مادة الجغرافية .

٨- يأمل الباحث أن تفيد هذه الدراسة إذا خرجت بنتائج ايجابية جيدة الجهات ذات العلاقة بالعملية التربوية في تطوير مناهج وطرائق تدريس المواد الاجتماعية بصورة عامة ومناهج مادة الجغرافية خاصة .

٩- هذه الدراسة حسب علم الباحث – هي الدراسة الأولى في العراق التي يتم فيها توظيف أحدى استراتيجيات التعلم النشط وهي استراتيجية هرم الأفضلية في تدريس موضوعات مادة أسس الجغرافية وتقنياتها .

١٠-أهمية تنمية مهارات ما وراء المعرفة عند الصف الرابع الأدبي خاصة ، حيث تعد المهارات من الموضوعات الجديرة باهتمام الذين لهم شأن في المجال التربوي ، لما لها من دور مهم في تنمية المهارات العقلية في التفكير.

١١-أهمية تعرف واطلاع مدرسي مادة الجغرافية على مقياس مهارات ما وراء المعرفة الذي اعده الباحث في الدراسة الحالية ، لإفادة مدرسي مادة الجغرافية من معرفة ما توصل إليه طلاب الصف الرابع الأدبي لفهم المادة الدراسية ، ومستوياتهم العقلية المعرفية العليا في التفكير.

١٢- ستقدم الدراسة الحالية فقرات لاختبار تحصيلي بعدي من كتاب أسس الجغرافية وتقنياتها التي من المؤمل أن يستفيد منه مدرسو مادة الجغرافية في المرحلة الاعدادية والباحثون في مجال التربية والتعليم عامة ومجال طرائق تدريس الجغرافية خاصة.

هدف الدراسة : تهدف الدراسة الحالية إلى معرفة (فاعلية تدريس الجغرافية باستراتيجية هرم الأفضلية في التحصيل وتنمية مهارات التفكير ما وراء المعرفة لدى طلاب الصف الرابع الأدبي) .

فرضيات الدراسة :

١- لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات الاختبارين القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية التي تدرس مادة أسس الجغرافية وتقنياتها على وفق استراتيجية هرم الأفضلية في مقياس مهارات ما وراء المعرفة .

٢- لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات الاختبارين القبلي والبعدي للمجموعة الضابطة التي تدرس مادة أسس الجغرافية وتقنياتها على وفق استراتيجية هرم الأفضلية في مقياس مهارات ما وراء المعرفة .

٣- لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب الصف الرابع الأدبي طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة أسس الجغرافية وتقنياتها على وفق استراتيجية هرم الأفضلية ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة التقليدية في اختبار التحصيل البعدي .

٤- لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب الصف الرابع الأدبي طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة أسس الجغرافية وتقنياتها على وفق استراتيجية هرم الأفضلية ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة التقليدية في مقياس مهارات ما وراء المعرفة.

حدود الدراسة :الحدود البشرية طلاب الصف الرابع الأدبي ، الحدود المكانية مديرية تربية محافظة بغداد الكرخ الأولى ، الحدود الزمانية العام الدراسي ٢٠١٨ / ٢٠١٩ م ، محددات الدراسة ، تدريس الفصول الثلاثة الأولى لمادة أسس الجغرافية وتقنياتها.

تعريف مصطلحات الدراسة :

الفاعلية عرّفها كل من :

- (الفتلاوي، ٢٠٠٣) بأنها : ((العمل بأقصى الجهود لتحقيق الهدف عن طريق بلوغ المخرجات المرجوة وتقويمها بمعايير البلوغ)) . (الفتلاوي، ٢٠٠٣: ١٩)

- (خماس،٢٠١٨): ((وهي التغيرات المرغوبة التي تحصل نتيجة إجراءات الدراسة التجريبية)) . (خماس،٢٠١٨: ٢٦٦)

- عرَّفها الباحث إجرائياً: قدرة طلاب المجموعة التجريبية على تحقيق النتائج المرغوبة بعد دراسة المادة المحددة التي أعدها الباحث وتحليل نتائج الاختبار التحصيلي الذي سيطبق على الطلاب في نهاية التجربة.

الاستراتيجية عرّفها كل من :

- (زيتون، ٢٠٠١) بأنها : ((مجموعة من الإجراءات المخططة سلفاً والموجهة لتنفيذ التدريس ؛ بغية تحقيق أهداف معينة على وفق ما متوافر من إمكانات)) . (زيتون، ٢٠٠١ : ٥٦)

- (الكبيسي، ٢٠٠٨) أنها : ((تحركات المدرس داخل الصف، وأفعاله التي يقوم بها التي تحدث بشكل منتظم ومتسلسل واستعماله لمهارات التدريس كالحيوية، والنشاط

والحركة داخل الفصل وتغيير طبقات الصوت في أثناء التحدث والإشارات)) .(الكبيسي،٢٠٠٨ : ١١٨)

- عرفها الباحث إجرائيا : ((مجموعة من الإجراءات والأنشطة التي خطط لها واتبعها الباحث في تدريس موضوعات الفصول الثلاثة الأولى لمادة الجغرافية الطبيعية لطلاب الصف الخامس الأدبي (طلاب المجموعة التجريبية) لأجل مساعدتهم على رفع مستوى تحصيلهم الدراسي)) .

استراتيجية هرم الأفضلية عرّفها كل من :

- (أبو سعيدي والحوسنية ، ٢٠١٦): " قيام الطلبة بتحديد النقاط التي ترتبط بشكل أكبر من السؤال الرئيس المطروح عليهم، بمعنى آخر تحديد أفضليه الأفكار بالنسبة للسؤال المطروح عليهم مع تحديد مبررات ذلك" . (أبو سعيدي والحوسنية، ٢٠١٦ : ١٠٤)

- (القصير، ٢٠١٨) : " نشاط تعليمي- تعلمي وهي أحدى استراتيجيات التعلم النشط حيث يقوم الطلبة بشكل جماعي مع زملائهم من الأخرين ، حيث يتم تحديد أفضل الأفكار المرتبطة بالسؤال المطروح وترتيبها بشكل هرمي مع الأكثر ارتباطاً بالسؤال إلى الأقل ". (القصير،٢٠١٨ : ١٣)

- عرّفها الباحث إجرائياً: مجموعة خطوات ومراحل تنفذ على وفق هذه الاستراتيجية في الدرس لتدريس موضوعات مادة الجغرافية الطبيعية لطلاب الصف الخامس الأدبي.

التحصيل الدراسي عرّفه كل من :

- (العقيل ، ٢٠٠٤): " إنه المعرفة والمهارات التي يكتسبها الطلبة نتيجة لدراسة موضوع أو وحدة تعليمية معينة " . (العقيل، ٢٠٠٤: ١١٤)

- (أبو جادو، ٢٠١١): " إجراء منظم لتحديد مقدار ما تعلمهُ الطلبة في موضوع ما في ضوء الأهداف المحددة " . (أبو جادو، ٢٠١١: ١١٤)

- عرّفه الباحث إجرائيا : مقدار ما يكتسبه طلاب عينة البحث من حقائق ومفاهيم ومعلومات ومهارات جغرافية من موضوعات مادة أسس الجغرافية وتقنياتها طيلة مدة التجربة ، يقاس بالدرجات التي يحصلون عليها بعد استجابتهم للاختبار التحصيلي البعدي الذي أعدَّه الباحث، ويطبق على عينة البحث في نهاية التجربة .

مهارات ما وراء المعرفة عرّفها كل من :

- (أبو رياش،٢٠٠٧) : " وعي الطالب بالمهارات التي يستعملها في التعلم والتحكم فيه وتعديل الاتجاه الذي يؤدي إلى بلوغ الأهداف ، وبنمط تفكيره عند القيام

بمهمات محددة ، من ثم استعمال تلك المعرفة في التحكم بما يقوم به من عمل " . (ابو رياش ، ٢٠٠٧ : ٣٨)

- (قطامي،٢٠٠٩): " مهارات عقلية معقدة وتعد من أهم مكونات السلوك الذكي عند الطالب في معالجتها وتنمو مع تقدم العمر ، وتقوم بمهمة السيطرة على جميع نشاطات التفكير العاملة والموجهة لحل مشكلة ما ، واستعمال القدرات أو الموارد المعرفية للطالب بفاعلية في مواجهة متطلبات مهمة التفكير " . (قطامي،٢٠٠٩: ٥٧٨)

- عرّفها الباحث إجرائيا : مجموعة من المهارات التي قد تساعد طلاب الصف الرابع الأدبي على التخطيط ، والمراقبة ، والتقييم لأدائهم المعرفي ، وتوجيه مهارات تفكيرهم المختلفة ، تقاس بالدرجات التي يحصلون عليها من خلال استجاباتهم لفقرات مقياس مهارات ما وراء المعرفة الذي أعدَّه الباحث لهذا الغرض .

الجغرافية عرّفها كل من :

- الرشايدة (٢٠٠٦) " دراسة سطح الأرض كونه سكناً للإنسان وعلاقات التأثير والتأثر بينهما ، أي دراسة العلاقات المتبادلة بين الطبيعة الحية والطبيعة غير الحية". (الرشايدة،٢٠٠٦:٢٤)

- قطاوي (٢٠٠٧) " تهتم بدراسة العلاقة بين الأنسان والبيئة الطبيعية ، وأساليب تفاعلية مع هذه الأرض ، أو البيئة ، وأثار ذلك التفاعل . لذلك تجمع الجغرافية بين الجانبين الطبيعي والبشري". (قطاوي،٢٠٠٧:٢٢)

- عرّفها الباحث إجرائيا : تدريس الموضوعات الواردة في مادة أسس الجغرافية وتقنياتها لتجربة الدراسة الحالية والمتضمنة الفصول الثلاثة الأولى والمقرر تدريسها من وزارة التربية في العراق للعام (٢٠١٨- ٢٠١٩) لطلبة الصف الرابع الأدبي.

الفصل الثاني

((خلفية الدراسة ودراسات سابقة))

أولا - خلفية الدراسة :

أولا - استراتيجية هرم الأفضلية: تعد استراتيجية (هرم الأفضلية) أحدى استراتيجيات التعلم النشط التي تقوم على فكرة قيام الطلبة بتحديد الأفكار وتنظيمها من الأكثر ارتباطا بالسؤال المقدم من المدرس إلى أقلها ارتباطاً، إذ ينظم الطالب الأفكار بشكل هرمي يقدمها المدرس أو يقوم الطلبة بتصميمها بشكل رسم أو بشكل مجسم . ويضع الطلبة الأفكار الأكثر ارتباطاً بالسؤال في قمة الهرم ، ثم الأقل ارتباطا ثم الأكثر بعداً عن السؤال في قاعدة الهرم ، وعلى الطلبة تقديم مبررات عن سبب تنظيماتهم للأفكار في الهرم . (القصسر،٢٠١٨: ١٠)

أهداف استراتيجية هرم الأفضلية: إن الهدف من استخدام استراتيجية هرم الأفضلية هو تدريب الطلبة على العمل مع زملائهم الأخرين وتنمية مهارات التفكير . واتخاذ القرار بتنفيذ هذا النوع من الاستراتيجيات لا يتطلب وقتا محددا ، يمكن للمدرس تنفيذها في أية مدة زمنية يراها مناسبة. (القصير،٢٠١٨: ٣١)

خطوات التدريس باستراتيجية هرم الأفضلية:

الخطوة الأولى - تحضر مستلزمات تنفيذ الاستراتيجية وهي:

مقصات، مواد لاصقة، أوراق A3، صور، بطاقات يكتب عليها الأفكار والشكل الهرمي.

الخطوة الثانية - تقسيم مجموعة ثنائية أو ثلاثية أو رباعية من قبل المدرس طبقا لما يراه مناسباً.

الخطوة الثالثة - تقسيم بطاقات ملونة لكل مجموعة من هذه المجموعات تتضمن البطاقات أفكاراً متنوعة قد تكون جملاً أو رسومات أو بهيئة صور ترتبط بالسؤال الرئسي . كما يمكن للطلبة كتابة أفكار بأنفسهم للإفادة منها لاحقا في بناء هرمهم.

الخطوة الرابعة - يقدم للطلبة شكل الهرم مع السؤال الرئيس الذي يوضع بجانب الهرم ويمكن للطلبة رسم الهرم بأنفسهم أو القيام بعمله بشكل مجسم.

الخطوة الخامسة - يقوم الطلبة بقراءة ما كتب في البطاقات من أفكار ، من ثم يصددون أيها أكثر ارتباطا بالسؤال الرئيس ، ويضعونه في قمة الهرم ، ثم الأقل ارتباطاً وهكذا تستمر عملية تنظيم وترتيب الأفكار حتى يكون محتوى البطاقة الأقل ارتباطاً بالسؤال في قاعدة الهرم، ثم يلصق الطلبة البطاقات بحسب ترتيبهم على الشكل الهرمي المقدم لهم من المدرس.

الخطوة السادسة - يقدم المدرس التغذية الراجعة للطلبة على العمل المنجز من قبلهم مع ضرورة تقديم كل مجموعة تبريرات حول عملية تصنيف الأفكار وتنظيمها في الشكل الهرمي.

الخطوة السابعة - يمكن للطلبة التوسع في الشكل الهرمي من خلال استخدام منظم عظم السمكة لتوضيح محتوى كل بطاقة مقدمة لهم. (بدوي،٢٠١٠: ١٥٩)

ثانيا - مهارات ما وراء المعرفة : ظهر مفهوم ما وراء المعرفة ، ودخل مجال علم النفس المعرفي على يد جون فلافل (Gohn Flavell) ، في منتصف السبعينات، ويعد المفهوم من أكثر موضوعات علم النفس ، مع أنه فكرة ليست جديدة، فقد أشار كل من جميس وجون ديوي إلى العمليات ما وراء المعرفية في عبارات كالأمل الذاتي الشعوري خلال عمليتي التفكير والتعلم، وإذا كان هذا المفهوم حديثاً نسبياً ، ويرجعان جذوره

التأريخية إلى العهد اليوناني القديم حينما أطلق سقراط مقولته "اعرف نفسك بنفسك" . **(العفوم، ٢٠١٢: ٢٠٥)**

أنواع مهارات ما وراء المعرفة:

١- التخطيط Planning: ويقصد به القدرة على اقتراح أهداف الدرس ، وتخصيص الوقت والمصادر واختيار الاستراتيجيات المناسبة للتعلم ، وهو وسيلة للتنظيم بأسلوب منطقي للعناصر الأساسية المرتبطة بموضوع ما ، وبه تنظم الأفكار في تسلسل معقول والتخطيط هو نقطة البدء في أي عمل ، وأصبح التخطيط عملية متطورة تتضمن :

- تحديد هدف أو الاحساس بوجود مشكلة وتحديد طبيعتها.
- اختيار استراتيجية التنفيذ ومهارته.
- ترتيب العمليات أو الخطوات.
- تحديد العقبات والأخطاء المحتملة.
- تحديد أساليب مواجهة الصعوبات والأخطاء.

٢- المراقبة والتحكم Monitoring & Controlling : ويقصد به القدرة على التلخيص ، وكتابة المذكرات ، والتساؤل الذاتي ، وربط المعلومات الجديدة بالمعرفة القديمة ، وتصور التطبيقات الحقيقية ، والاختيار الذاتي. وتتضمن هذه المهارات ما يأتي :

- الإبقاء على الهدف في بؤرة الاهتمام .
- الحفاظ على تسلسل العمليات أو الخطوات.
- معرفة متى تحقق هدفاً فرعياً.
- معرفة متى يجب الانتقال إلى العملية التالية.
- اختيار العملية الملائمة التي تتبع في السياق.
- اكتشاف العقبات والأخطاء.
- معرفة كيفية التغلب على العقبات والتخلص من الأخطاء .

٣- التقييم Assessment : ويقصد به قدرة الطلاب على مراجعة ما تعلموه ، والحكم على مدى إنجازهم الأهداف بكفاءة . وتتضمن هذه المهارة:

- تقييم مدى تحقيق الهدف .
- الحكم على دفة النتائج وكفايتها .
- تقييم مدى ملاءمة الأساليب التي استخدمت .
- تقييم كيفية تناول العقبات والأخطاء .

- تقييم فاعلية الخطة وتنفيذها .

٤- المراجعة Revising : تتضمن هذه المهارة تعديل خطة العمل الموضوعة مسبقًا بخصوص تحقيق الأهداف والاستراتيجيات ومداخل التعلم التي استخدمت وتشمل :

١- تعديل خطة العمل.

٢- ربط الخبرات الجديدة بالسابقة.

توسيع مجال العمل. **.(النجدي، ٢٠٠٥: ٤٩٠)**

ثانيا - دراسات سابقة

لم يجد الباحث دراسات تناولت التدريس باستراتيجية هرم الأفضلية في تخصص طرائق تدريس الجغرافية ، وعليه تعد الدراسة الحالية حسب علم الباحث أول دراسة محلية تناولت هذه الاستراتيجية في البيئة التربوية العراقية في تخصص طرائق تدريس الجغرافية لتجريبها في تدريس موضوعات مادة أسس الجغرافية وتقنياتها لدى طلاب الصف الرابع الأدبي.

الفصل الثالث

((منهج الدراسة وإجراءاتها))

منهج الدراسة : اتبع الباحث منهج البحث التجريبي، وذلك لملاءمته هدف البحث وفرضيته .

التصميم التجريبي: اعتمد الباحث التصميم التجريبي الذي يطلق عليه تصميم المجموعتين المتكافئتين ذي الاختبار البعدي ، والشكل (١) يوضح ذلك .

المجموعة	اختبار قبلي	المتغير المستقل	المتغير التابع	أداة الدراسة
التجريبية	اختبار مقياس مهارات ما وراء المعرفة	استراتيجية هرم الأفضلية	التحصيل والتنمية	اختبار فقرات التحصيل البعدي ومقياس مهارات ما وراء المعرفة
الضابطة		الطريقة التقليدية		

شكل (١)

التصميم التجريبي للدراسة الحالية

مجتمع الدراسة وعينتها: بلغ مجتمع البحث (٠٦) مدرسة إعدادية للبنين وعدد الطلاب فيها (١٠٨٥٥) ، وبموجب كتاب تسهيل المهمة الصادر من المديرية العامة لتربية بغداد / الكرخ الأولى ، تم التعرف على المدارس ، وبطريقة السحب العشوائي ، اختيرت (إعدادية الأماني للبنين) لتمثل عينة الدراسة الحالية ، كأول إجراء من إجراءات اختيار العينة ، وتمت زيارة المدرسة ؛ لأجل معرفة عدد الطلاب وعدد الشُعب ، حيث بلغ عدد طلاب الصف الرابع الأدبي في هذه المدرسة (٦٢) طالباً ، موزعين بين شعبتين تضم الشعبة (أ) ٣١ طالباً والشعبة (ب) ٣١ طالباً ، ولما كانت التجربة الحالية تحتاج إلى أن تكون إحداهما تجريبية والأخرى ضابطة ، اعتمد الباحث طريقة السحب العشوائي ، حيث أُختيرت شعبة (ب) لتمثل المجموعة التجريبية التي سيدرسُ طُلابها مادة أسس الجغرافية وتقنياتها باستراتيجية هرم الأفضلية ، وشعبة (أ) تمثل المجموعة الضابطة التي سيدرسُ طلابها المادة نفسها بالطريقة التقليدية ، بعدها تم استبعاد (٢) من طلاب المجموعتين الراسبين من العام الماضي إحصائياً ؛ حتى لا يكون هناك أثر على التجربة ، مع الإبقاء عليهما ضمن مجموعتيهما حفاظاً على نظام الصف والمدرسة ، والجدول (١) يوضح ذلك .

جدول (١)

عدد طلاب مجموعتي الدراسة التجريبية والضابطة قبل الاستبعاد وبعده

المجموعة	الشعبة	عدد الطلاب قبل الاستبعاد	عدد الراسبين	عدد طلاب المجموعتين بعد الاستبعاد
التجريبية	ب	٣١	١	٣٠
الضابطة	أ	٣١	١	٣٠
المجموع الكلي		٦٢	٢	٦٠

تكافؤ مجموعتي الدراسة : العمر الزمني محسوبا بالشهور ، اختبار مستوى الذكاء ، درجات مادة الجغرافية للعام الماضي ، ، وأظهرت نتائج التحليل الاحصائي عدم وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين المجموعتين ، لذا فإن المجموعتين متكافئتان .

ضبط المتغيرات الدخيلة : تأريخ إجراء التجربة ، الحوادث المصاحبة ، الترك والانقطاع ، النضج اختيار أفراد العينة ، أثر الإجراءات التجريبية ، سرية التجربة ، التدريس ، بناية المدرسة ، الوسائل التعليمية ، توزيع الحصص الدراسية .

مستلزمات الدراسة الحالية : بعد تحقيق تكافؤ المجموعتين ، والتحقق من المتغيرات الدخيلة . كان لزاماً على الباحث ان يحدد مستلزمات دراسته ، إذ تعد مستلزمات الدراسة من الضروريات الأساسية التي يحتاجها الباحث قبل تطبيق التجربة ، وشملت مستلزمات الدراسة وفقاً للآتي :

١. تحديد موضوعات المادة: اعتمد الباحث على مفردات موضوعات الفصول الثلاثة الأولى من كتاب أسس الجغرافية وتقنياتها المقرر تدريسه لطلبة الصف الرابع الأدبي .

٢ ـ صياغة الأهداف السلوكية : بلغ مجموع الأهداف السلوكية بصيغتها الأولية (١٤٤) هدفاً سلوكياً ، موزعة على المستويات الثلاثة من تصنيف بلوم ، ثم بعد ذلك تم عرضها على مجموعة من الخبراء المتخصصين في مجال طرائق تدريس الاجتماعيات ، ذلك لبيان رأيهم في مدى استيفائها لمحتوى المادة ، وصحة تصنيفها إلى المستويات الثلاثة ، وسلامة اشتقاقها وصياغتها وتغطيتها للأهداف العامة ، وفي ضوء ملاحظاتهم ومقترحاتهم عُدل قسم من الأهداف ، وأعيدت صياغة أهداف أخرى ، واعتمدت نسبة اتفاق (٨٠%) فأكثر معياراً لصلاحية كل هدف من هذه الأهداف ، حتى اتخذت صيغتها النهائية بعد التعديل (١٤٤) هدفاً سلوكياً.

٥.إعداد الخطط التدريسية : لجأ الباحث إلى وضع خطط يومية إنموذجية لتدريس موضوعات مادة أسس الجغرافية وتقنياتها لطلاب المجموعة التجريبية على وفق استراتيجية هرم الأفضلية وعددها (١٨) خطة تدريسية ، و(١٨) خطة أخرى للمجموعة الضابطة التي يدرس طلابها على وفق الطريقة التقليدية ، والموضوعات المقرر تدريسها خلال مدة التجربة من الكتاب نفسه المقرر لطلبة الصف الرابع الأدبي على أساس محتوى المادة والأهداف السلوكية ، وعرضت نماذج من الخطط على مجموعة من المتخصصين في مجال طرائق تدريس الاجتماعيات ، للإفادة من آرائهم ومقترحاتهم واعُتمدت نسبة اتفاق (٨٠%) قوة للحكم على صلاحية الخطط التدريسية .

أداتا الدراسة :

أولاً ـ فقرات اختبار التحصيل البعدي :

١ـ تحديد الهدف من الاختبار : إن هدف هذا الاختبار هو قياس تحصيل طلاب المجموعتين التجريبية والضابطة بعد الانتهاء من التجربة لمعرفة فاعلية استراتيجية هرم الأفضلية في تحصيل موضوعات مادة الجغرافية لدى طلاب الصف الرابع الأدبي.

٢ـ تحديد مستويات المجال المعرفي لتصنيف بلوم التي يقيسها الاختبار : بعد الاستئناس بآراء المتخصصين بالقياس والتقويم وبطرائق تدريس الاجتماعيات ، ارتأى الباحث أن يشمل الاختبار التحصيلي قياس المستويات الثلاثة الأولى من تصنيف

بلـــــــوم (Bloom) للمجال المعرفي وهـــي (معرفة ، فهم ، تطبيق) ، وذلك لملاءمتها طبيعة طلاب الصف الرابع الأدبي ولموضوعات مادة أسس الجغرافية وتقنياتها .

٣- إعداد جدول المواصفات (الخريطة الاختبارية) : حددت بالآتي :

أ ـ **تحديد نسبة أهمية الفصول وأهمية مستويات الأهداف** : لكي تغطي الأسئلة الاختبارية موضوعات المادة ، ومستوياتها الأهداف السلوكية المحددة تبعاً لأهميتها ، ينبغي إعداد خريطة اختبارية تتضمن نسبة أهمية كل موضوع أو فصل ونسبة أهمية كل مستوى من مستويات الأهداف موزعة على كل خانة من خانات الخريطة ، التي توزع من خلال ضرب نسبة أهمية الموضوع على نسبة أهميـــــــــة المستوى مقسوماً على (١٠٠) ، وقد اعتمد الباحث في تحديـــــــد أهميـــــــة الفصـــــول (الموضوعات) على عدد الصفحات وهو أسلوب معتمد في كثير من الدراسات ، وبذلك كانت نسبة أهمية الفصول كما هو موضح في الجدول (٢) الخريطة الاختبارية .

جدول (٢)

الخريطة الاختبارية لنسبة أهمية الفصول وأهمية مستويات الأهداف

الفصل	عدد الصفحات	مستويات الأهداف			المجموع
		معرفة	فهم	تطبيق	
الاول	٥١	٤٤	٣٧	١٧	٩٨
الثاني	١١	٢٠	١٦	٨	٤٤
الثالث	١٢	٢٢	١٨	١٠	٥٠

ب ـ تحديد عدد فقرات الاختبار وتوزيعها على نسب الخريطة الاختبارية : وجد الباحث من المناسب أن يكون عدد فقرات الاختبار التحصيلي (٤٠) ، كي يتلاءم والوقت المخصص للإجابة ، ويغطي مساحة مناسبة من الموضوعات والأهداف ، وقد تم توزيع عدد فقرات الاختبار التحصيلي على الموضوعات والأهداف بحسب نسبة أهميتها . كما موضح في الجـــــــدول (٣) .

جدول (٣)

الخريطة الاختبارية لعدد فقرات الاختبار التحصيلي

الفصل	عدد الصفحات	عدد الفقرات الاختبارية			عدد الفقرات الكلي	عدد الفقرات الكلي
		معرفة ٥٠%	فهم ٣٠%	تطبيق ٢٠ %		
الاول	٣٠	١٠	٦	٤	٢٠	(٤٠) اختبار موضوعي ومقالي ومطابق ومزاوجة
الثاني	٢٠	٥	٣	٢	١٠	
الثالث	٢٠	٥	٣	٢	١٠	

٤- إعداد الفقرات وتعليمات الإجابة :اعتمد الباحث فقرات الاختبار التحصيلي البالغ عددها (٤٠) فقرة بصيغته الأولية من نوع الاختيار من متعدد وعددها (٣٠) فقرة ، وأسئلة مقالية وعددها(٥) فقرات ، وأسئلة المطابقة والمزاوجة وعددها (٥) فقرات ، وببدائل أربعة للإجابة ، بديل واحد صحيح والأخرى خاطئة ، وقد رُعيت في ذلك شروط صياغة أسئلة الاختيار من متعدد عند إعداد الفقرات من حيث صيغة السؤال والتركيب اللغوي لها ، مع مراعاة البدائل الأربعة لكل فقرة من فقرات الاختبار ، كما أعدت تعليمات الإجابة عن الاختبار التي تضمنت حث الطلاب على الجدية والدقة في الإجابة وعلى كيفية الإجابة .

٥- معايير تصحيح الاختبار : أعدَّ الباحث إجابة نموذجية لمفتاح تصحيح فقرات الاختبار التحصيلي ، إذ أعطيت درجة(واحدة) للإجابة الصحيحة ، و(صفر) للإجابة غير الصحيحة لفقرات الاختيار من متعدد ، وعوملت الفقرة المتروكة من دون إجابة والفقرة المجاب عليها بأكثر من إجابة غير صحيحة معاملة الفقرة غير الصحيحة . أي فيها كلام غير المطلوب في الإجابة ، وكذلك الأسئلة الأخرى ، وبذلك تراوحت الدرجـــــة الكليـــة لتلك الفقـــــرات من (٤٠) كحد أعلى ، إلى (صفر) كحد أدنى ، إذ صححت فقرات الاختبار التحصيلي من الباحث نفسه .

٦- وضوح التعليمات وفهم العبارات : بغية التثبت من وضوح تعليمات الاختبار ، ومدى فهم فقراتهُ وعباراتهُ ، تم تطبيق الاختبار على (٤٠) طالباً ، تم اختيارهم عشوائياً من طلاب الصف الرابع الأدبي في مدرسة (إعدادية الوثبة للبنين) وطلب الباحث منهم الإجابة عن الاختبار ؛ لأجل تحديد جوانب الغموض أو عدم الفهم لبعض الفقرات ، وأتضح من خلال هذا التطبيق ، أن التعليمات واضحة والفقرات مفهومة ، وأن متوسط

الوقت التقريبي للإجابة حوالي (٣٢) دقيقة ، وهذا الوقت يمثل المدى بين أول طالب ، وآخر طالب في الإجابة عن الاختبار .

٧- **التحليل الإحصائي لفقرات الاختبار :** لحساب الخصائص السيكومترية للفقرات طُبق الاختبار على عينة مكونة من (١٠٠) طالب تم اختيارهم عشوائياً من طلاب الصف الرابع الأدبي في مدرسة (الوثبة وحطين) ، وقد اختيرت هاتان المدرستان عشوائياً ، وبعد تطبيق الاختبار على هذه العينة وتصحيح الإجابات وحساب الدرجات لكل فقرة وكل طالب ، رتب طلاب العينة من أعلى درجة كلية إلى أقل درجة كلية ، ثم قام الباحث بحساب الخصائص السيكومترية للفقرات وهي كالآتي :

١- **معامل صعوبة الفقرة :** عند حساب معامل الصعوبة لكل فقرة من فقرات الاختبار ، وجد أنها تتراوح بين (٠,٣٣ – ٠,٦٥) ، فكانت معاملات الصعوبة مقبولة .

٢- **معامل تمييز الفقرات :** رتب الباحث درجات طلاب عينة تحليل الفقرات البالغ حجمها (١٠٠) طالب من أعلى درجة إلى أقل درجة ، وحددت المجموعتان العليا والدنيا بنسبة ٥٠% في كل مجموعة واستخدمت معادلة تمييز الفقرات ذات الإجابة الثنائيـــــــة (صح ، خطأ) ، فكانت جميع معاملات تمييز الفقرات مقبولة ، وقد تم حساب القوة التمييزية لكل فقرة من فقرات الاختبار ، وكانت النتائج تتراوح بين (٠,٣٥- ٠,٦٠) .

٣- **فعالية البدائل الخاطئة:** ينبغي أن تكون البدائل الخاطئة من أسئلة الاختيار من متعددة جذابة للمجيبين ، ولاسيما للمجموعة الدنيا ، كذلك ينبغي أن تكون نتيجة معادلة التمييز في كل بديل خاطئ سالبة ، وعند استخدام معادلة التمييز مع البدائل الخاطئة لكل فقرة ، أتضح أن جميعها جذابة للمجيب من ذوي المستوى الواطئ ، إذ اختارها أكثر من ذوي المستوى العالي .

٤- الخصائص السيكومترية للاختبار :

أولاً - صدق الاختبار :

أ - الصدق الظاهري : عُرض الاختبار بصورته الأولية على مجموعة من الخبراء المتخصصين في مجال طرائق تدريس الاجتماعيات والمتخصصين في مجال القياس والتقويم ، واعتُمدت الفقرات التي حصلت على نسبة اتفاق (٨٠%) أو أكثر معياراً للفقرة المقبولة .

ب- صدق المحتوى : تم التحقق من ذلك من خلال إعداد جدول المواصفات؛ لضمان تمثيل الفقرات لمحتوى المادة الدراسية والأهداف السلوكية ، وعليه يعد الاختبار صادقاً من حيث المحتوى .

ثانيا - ثبات الاختبار : تم التحقق من الثبات بمعادلة " الفا كرونباخ " ، فكان معامل الثبات (٠,٨٦) هو معامل ثبات جيد ؛ لأن معامل تفسيره المشترك الذي هو ربع معامل الثبات يساوي حوالي ٧٠% .

ثانيا : مقياس مهارات ما وراء المعرفة :

١- إعداد فقرات المقياس : حدَّد الباحث الهدف من المقياس وهو قياس مهارات ما وراء المعرفة لدى طلاب الصف الرابع الأدبي ، أعدَّ الباحث المقياس بالاعتماد على الأدبيات الخاصة في بناء مقياس مهارات التفكير ، والدراسات السابقة التي تناولت مهارات ما وراء المعرفة، واستشارة بعض الخبراء في القياس والتقويم وطرائق تدريس الاجتماعيات .

٢ - صياغة فقرات المقياس :أعدَّ الباحث مقياساً لمهارات ما وراء المعرفة ستكون من (٤٠) فقرة على وفق مقياس ليكرت (Likert) الخماسي ، وقد وضعت أمام كل فقرة خمسة بدائل هي (عال جداً ، عال ، متوسط ، قليل ، قليل جداً) بصيغته الأولية بما يغطي المواقف التي تشير إلى تنمية مهارات ما وراء المعرفة ، ولأجل التوصل إلى مقياس دقيق لمهارات ما وراء المعرفة عند الطلاب ، اعتُمد عدد من الأسس في صياغة فقرات المقياس التي حددتها الأدبيات وهي:

١- أن تكون كل فقرة من فقرات المقياس ذات فكرة محددة و واضحة .

٢- أن تُصاغ بعبارات سليمة ومفهومة .

٣- أن تكون كل فقرة ذات علاقة مباشرة بمهارات ما وراء المعرفة .

٣ - إعداد تعليمات المقياس وورقة الإجابة **:**

أ- **تعليمات الإجابة :** أعدَّ الباحث التعليمات الخاصة بالإجابة عن فقرات المقياس بحيث تتناسب ومستوى الطلاب بالشكل الذي يجعلها واضحة ، وتضمنت الغرض من المقياس وطريقة الإجابة عن فقراته مع انموذج لحلها، وفكرة عن الهدف من المقياس ، وأن هذه الفقرات تعبر عن وجهة نظر الطلاب وليس لها علاقة بنجاحهم أو رسوبهم ، والتأكيد على ضرورة قراءة الملاحظات عن كيفية الإجابة وبيان أن وقت الإجابة ليس محددا ، ومن حق أي طالب أن يستفسر بشأن أية فقرة يجدها غير واضحة ، والتأكد من عدم التأشير بعلامتين على الفقرة الواحدة ، فضلاً عن ذلك تأكيد الباحث على الطلاب بأن تكون إجاباتهم مستقلة ، ولا يعتمد الطالب على إجابات زميله ، وبيان ضرورة أن يكون لكل واحدة منهم رأي مستقل بإجابته .

ب- صدق المقياس : اعتمد الباحث للتحقق من صدق مقياس مهارات ما وراء المعرفة على الصدق الظاهري ، عرض الباحث المقياس بصيغته الأولية على مجموعة من الخبراء في مجال طرائق تدريس الاجتماعيات والقياس والتقويم ؛ وذلك للتأكد من

سلامة صياغة الفقرات وشمولها ومدى وضوحها ، ومدى تمثيل الفقرات للمجال المراد قياسه ، وتعديل ما يجب من الفقرات سواء بالحذف أم بالإضافة أم بالتغيير ، وقد أبدى الخبراء ملاحظاتهم على فقرات المقياس، واستعمل الباحث مربع (كاي) كوسيلة إحصائية لاستخراج نسبة الموافقين وغير الموافقين ، و بهذا فإن الفقرات البالغة (٤٠) فقرة قد حازت على اتفاق الخبراء بنسبة (٨٣ %) وبهذا يكون قد تحقق الصدق الظاهري للمقياس ،

ج- التحليل الإحصائي للفقرات : يكشف التحليل الإحصائي للفقرات بعض الخصائص السيكومترية للفقرات التي يتم التحقق منها خلال التحليل الإحصائي لها وهي خاصيتان تميز الفقرات ومعاملات صدقها لذلك ارتأى الباحث أن تكون عينة التحليل الإحصائي (١٠٠) طالب وهي العينة نفسها التي طبق عليها اختبار التحصيل في معرفة معاملات القوة التميزية ، وبعد أن طُبق المقياس على طلاب عينة التحليل الإحصائي حسبت الدرجات لكل طالب ولكل فقرة من فقرات المقياس ، وتم ترتيبها من أعلى إلى أدنى درجة .

د- علاقة الفقرة بالمجال الذي تنتمي إليه : لقد تم استخراج علاقة الفقرة بالمجال الذي تنتمي اليه عن طريق استعمال معامل ارتباط بيرسون بين درجات طلاب العينة الاستطلاعية (عينة التحليل الإحصائي) وتراوحت معاملات الارتباط بين الفقرات والدرجة الكلية في مجال التخطيط (٠،٢٦- ٠،٥٢) ، وفي مجال المراقبة والتحكم (٠،٣٠ -٠،٤٧) ، وفي مجال التقييم (٠،٢٧- ٠،٤٨) . وقد أظهرت النتائج أن جميع فقرات المقياس مقبولة .

ه- القوة التميزية للفقرات : لغرض التعرف على القوة التمييزية لفقرات مقياس مهارات ما وراء المعرفة رتُبت درجات عينة تحليل الفقرات تنازليا من الأعلى إلى الأدنى ، ثم أخذت درجات (٥٠) عليا ودرجات (٥٠) دنيا ، وقد بلغ عدد الطلاب في كلا المجموعتين (٦٠ طالباً)، وعند استعمال الاختبار التائي (t.test) لعينتين مستقلتين، اتضح أن الفقرات جميعها كانت مميزة ؛ لأن قيمتها التائية المحسوبة أكبر من القيمة التائية الجدولية والبالغة (٢) وبدرجة حرية (٥٨) ومستوى دلالة (٠،٠٥) .

و - ثبات المقياس : وجدت طرائق عدة لحساب الثبات وقد اختار الباحث طريقة إعادة الاختبار ، كونها أسهل الطرائق للحصول على درجات متكررة للمجموعة نفسها من الأفراد ولقياس السمة نفسها ، لذا اعتمد الباحث على درجات عينة التحليل الإحصائي نفسها ، لذا طبق المقياس مرة ثانية بعد مرور (٢٤) يوما وبعد الانتهاء من التطبيق حسب الثبات بحساب درجات هذه العينة مع درجاتها في التطبيق الأول وباستعمال معامل ارتباط بيرسون ، بين درجات التطبيقين ، بلغ الارتباط (٠,٨٢) وهو معامل ثبات جيد .

ز - وصف المقياس بصيغته النهائية :تألف مقياس مهارات ما وراء المعرفة في بصيغتـــــــه النهائية من (٤٠) فقرة ، وكل فقرة لها خمسة بدائل بإعطاء الدرجة(٥)

للبديل الأول ، والدرجة (٤) للبديل الثاني، والدرجة (٣) للبديل الثالث، والدرجـــــة (٢) للبديل الرابع ، والدرجـــــة(١) للبديل الخامس ، وتكون الإجابة بحسب البديل الذي يختاره المستجيب وتحسب الدرجة الكلية للمقياس عن طريق جمع الدرجات التي يحصل عليها الطالب عن كل بديل يختاره من كل فقرة من فقرات المقياس .

إجراءات تطبيق التجربة :

قام الباحث بتطبيق تجربته على مجموعتي الدراسة متبعاً الإجراءات الآتية :

١- تدريس المجموعتين (التجريبية والضابطة) من الباحث نفسه .

٢- تدريس الفصول الثلاثة الأولى من كتاب أسس الجغرافية وتقنياتها لكلا المجموعتين.

٣- تم استعمال الوسائل التعليمية نفسها لكلا المجموعتين ، واستعمال استراتيجية هرم الافضلية للمجموعة التجريبية .

٤- طُبــق الاختبار التحصيلـــي على طلاب مجموعتي الدراسة في وقت واحد وهو الدرس الأول الساعة الثامنة والنصف صباحاً ، بعد الاتفاق مع مدير المدرسة بما يخص وقت الامتحان (الاختبار) ، بعد أن أخبر الباحث طلاب المجموعتين بموعد الاختبار قبل أسبوع من إجرائه ؛ وذلك ليتحقق التكافؤ بين طلاب عينة الدراسة الحالية في الاستعداد والتهيؤ للاختبار .

٥- طُبــق مقياس مهارات ما وراء المعرفة على طلاب مجموعتي الدراسة في وقت واحد وهو الدرس الأول الساعة الثامنة والنصف صباحاً بعد الاتفاق مع مدير المدرسة بما يخص وقت الاختبار ، بعد أن أخبر الباحث طلاب المجموعتين بموعد الاختبار بعد انتهاء اختبار التحصيل البعدي .

الوسائل الإحصائية :تم استعمال برنامج (spss) للعلوم الاجتماعية لاستخراج نتائج الدراسة والإجراءات.

الفصـــل الرابع

((عرض نتائج الدراسة وتفسيرها و الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات))

أولا - عرض نتائج الدراسة وتفسيرها :

١ - نتائج الفرضية الأولى للاختبارين القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية وتفسيرها: نصت الفرضية الاولى بأنه لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات الاختبارين القبلي والبعدي لطلاب المجموعة التجريبية مادة أسس الجغرافية وتقنياتها على وفق استراتيجية هرم الأفضلية في مقياس مهارات ما وراء المعرفة ، ولغرض التحقق من صحة الفرضية الأولى ، تم احتساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لدرجات طلاب المجموعة التجريبية في الاختبارين القبلي والبعدي ، وقد بلغ المتوسط الحسابي لدرجات طلاب المجموعة التجريبية في الاختبار القبلي (١٥,٣٣) وبانحراف معياري (١,٤٠٦) ، في حين بلغ المتوسط الحسابي في الاختبار البعدي (٢١,٤١٥) وبانحراف معياري (٢,١٣٨) ، واستعمل الباحث الاختبار التائي لعينتين مترابطتين كوسيلة احصائية لاستخراج النتائج ، إذ بلغت القيمة التائية المحسوبة (٤,٠٩) في حين بلغت القيمة التائية الجدولية (٢) وبدرجة حرية (٢٩) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ، واتضح أن القيمة التائية المحسوبة أعلى من القيمة التائية الجدولية ، ما يشير إلى وجود فرق ذي دلالة احصائية بين الاختبارين القبلي والبعدي لصالح الاختبار البعدي ، وهذا يشير إلى ان التدريس باستراتيجية هرم الأفضلية ذو تأثير على طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا مادة أسس الجغرافية وتقنياتها وجدول (٤) يوضح ذلك.

جدول(٤)

القيم الإحصائية للمجموعة التجريبية على مقياس مهارات ما وراء المعرفة في الاختبارين القبلي والبعدي

نوع الاختبار	المجموعة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		الدلالة الاحصائية عند مستوى (٠,٠٥)
						المحسوبة	الجدولية	
قبلي	التجريبية	٣٠	١٥,٣٣	١,٤٠٦	٢٩	٤,٠٩	٢	دالة لصالح الاختبار البعدي
بعدي			٢١,٤١٥	٢,١٣٨				

ويمكن ان يفسر الباحث السبب في ذلك التحسن هو المرونة في استعمال استراتيجية هرم الأفضلية، و الذي أدى إلى تنمية مهارات ما وراء المعرفة عند طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا مادة أسس الجغرافية وتقنياتها ، ولما تحتويه هذه الاستراتيجية من أساليب وطرائق وتقنيات تدريسية حديثة متنوعة، فضلا عن تهيئة البيئة الملائمة الخالية من الخوف والارتباك و شعور الطلاب بالراحة في أثناء الدرس، ما أدى إلى زيادة الانتباه والحوار والمناقشة لدى الطلاب والتفاعل، واقبالهم على الدرس لما شاهدوه داخل غرفة الصف من عرض ممتع وشيق .

٢ ـ نتائج الفرضية الثانية للاختبارين القبلي والبعدي للمجموعة الضابطة وتفسيرها : نصت الفرضية الثانية بأنه لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات الاختبارين القبلي والبعدي لطلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون مادة أسس الجغرافية وتقنياتها على وفق استراتيجية هرم الأفضلية في مقياس مهارات ما وراء المعرفة ، ولغرض التحقق من صحة الفرضية الثانية ، تم احتساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لدرجات طلاب المجموعة الضابطة في الاختبارين القبلي والبعدي ، وقد بلغ المتوسط الحسابي لدرجات طلاب المجموعة الضابطة في الاختبار القبلي (١٤,١١) وبانحراف معياري (٢,٠١٨) ، في حين بلغ المتوسط الحسابي الاختبار البعدي (١٤,٠١) بانحراف معياري (٢,٠١٣) ، واستعمل الباحث الاختبار التائي لعينتين مترابطتين كوسيلة احصائية لاستخراج النتائج ، حيث بلغت القيمة التائية المحسوبة (١,٣٢١) ، في حين بلغت القيمة التائية الجدولية (٢) بدرجة حرية (٢٩) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ، واتضح أن القيمة التائية المحسوبة أقل من القيمة التائية الجدولية ، ما يشير إلى عدم وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين الاختبارين القبلي والبعدي لطلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا مادة أسس الجغرافية وتقنياتها بالطريقة التقليدية ، أي أنه ليس هنالك تأثير واضح ، وجدول (٥) يبين ذلك.

جدول(٥)

القيم الإحصائية للمجموعة الضابطة على مقياس مهارات ما وراء المعرفة في الاختبارين القبلي والبعدي

نوع الاختبار	المجموعة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		الدلالة الاحصائية عند مستوى (٠,٠٥)
						المحسوبة	الجدولية	
قبلي	الضابطة	٣٠	١٤,١١	٢,٠١٨	٢٩	٤,٠٩	٢	غير دال
بعدي			١٤,٠١	٢,٠١٣	٢٩	١,٣٢١	٢	

ويمكن ان تعزى هذه النتيجة إلى قلة استعمال الاستراتيجيات التدريسية الحديثة التي وظُفت للمجموعة التجريبية فقط ، وكان الاعتماد في تدريس طلاب المجموعة الضابطة وفقاً للطريقة التقليدية من دون توظيف هذه الاستراتيجيات التدريسية الحديثة، وقلة إفادتهم من المميزات الحديثة التي تتمتع بها استراتيجية هرم الأفضلية ، والاعتماد على الطريقة التقليدية في التدريس .

٣ ـ نتائج الفرضية الثالثة لاختبار فقرات اختبار التحصيل البعدي : بغية التعرف على فرضية الدراسة الثالثة التي تنص لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب الصف الرابع الأدبي طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة أسس الجغرافية وتقنياتها على وفق استراتيجية هرم الأفضلية و متوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة التقليدية في اختبار التحصيل البعدي ، وبعد تطبيق فقرات اختبار التحصيل البعدي وتصحيح إجابات طلاب مجموعتي الدراسة والحصول على الدرجات ، تم حساب المتوسط الحسابي لدرجات طلاب المجموعتين التجريبية والضابطة ، فكان متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية (٩٥, ٢١) درجة ، بانحراف معياري (٢٢، ٣) ، في حين بلغ متوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة (٤٧، ١٨) درجة ، بانحراف معياري (٠١، ٢) ، ولمعرفة دلالة الفرق الاحصائي بين متوسط درجات المجموعتين استعمل الباحث الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين كوسيلة احصائية لإظهار نتائج الدراسة الحالية ، و الجدول (٦) يوضح ذلك .

جدول (٦)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية المحسوبة والجدولية لدرجات طلاب المجموعتين (التجريبية والضابطة) في اختبار فقرات التحصيل البعدي

المجموعة	حجم العينة N	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		الدلالة الاحصائية عند مستوى(٠,٠٥)
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٠	٢١,٩٥	٣,٢٢	٥٨	٣,٠٤	٢	دالة احصائياً
الضابطة	٣٠	١٨,٤٧	٢,٠١				

يشير جدول (٦) إلى وجود فرق دال احصائياً بين متوسط درجات الاختبار التحصيلي لطلاب المجموعتين التجريبية والضابطة ، والتفوق في الدرجات كان من نصيب طلاب المجموعة التجريبية ، حيث بلغت القيمة التائية المحسوبة (٣,٠٤) ، وهي أكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (٢) عند مستوى دلالة (٠,٠٥)

ودرجة حرية (٥٨) ، ما يدل على أن استراتيجية هرم الأفضلية كان لها أثر إيجابي في مستوى تحصيل طلاب الصف الرابع الأدبي في تدريس موضوعات مادة أسس الجغرافية وتقنياتها ، وعلى أساس هذه النتيجة ترفض الفرضية الصفرية وتقبل الفرضية البديلة ، ويمكن أن يفسر الباحث هذه النتيجة على أن استراتيجية هرم الأفضلية هي استراتيجية جديدة على طلاب الصف الرابع الأدبي الذين خضعوا للتجربة ، وقد ظهر ذلك واضحاً لديهم في نتائج الاختبار التحصيلي البعدي الذي كانت نتائجه لصالح المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة ، وأن التدريس باستراتيجية هرم الأفضلية خلق جواً من الألفة والتعاون بين الطلاب ، وأدى إلى تعزيز الثقة الإيجابية ، والتخلص من الجوانب السلبية لديهم ، ما كان لهُ أثر في زيادة تحصيلهم في موضوعات مادة أسس الجغرافية وتقنياتها، وأن تدريس طلاب الصف الرابع الأدبي على وفق استراتيجية هرم الأفضلية أدى إلى المشاركة الفعّالة لطلاب الصف الرابع الأدبي وتفاعلهم مع موضوعات المادة ومدرسهم ، وأدى الى فهم المعلومات وترسيخها في أذهانهم، من ثم زيادة شعورهم بأهمية موضوعات المادة الدراسية من خلال تفرعاتها ، وهذا كان لهُ أثر في زيادة تحصيل الطلاب، وأن تدريس موضوعات أسس الجغرافية وتقنياتها على وفق خطوات متتابعة ولغة سهلة كان لها أثر واضح في فهم المادة الدراسية و استيعابها من طلاب المجموعة التجريبية ؛ لأنها كانت تأخذ أسلوب التتبع للموضوع ، وركزت التدريس باستراتيجية هرم الأفضلية لدى طلاب المجموعة التجريبية على المناقشة الفردية والجماعية، ما وفرت نظاماً لتحسين التفكير وتطويرهُ من ناحية ، و تقديم أسئلة المتابعة من ناحية أخرى، ما أتاح لطلاب المجموعة التجريبية تجاوز ردود أفعالهم الأولية، من ثم زادت تحصيلهم الدراسي.

٤ ـ عرض نتائج الفرضية الصفرية الرابعة (مقياس مهارات ما وراء المعرفة) وتفسيرها: نصت الفرضية الصفرية الثانية بأنه لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب الصف الرابع الأدبي طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة أسس الجغرافية وتقنياتها على وفق استراتيجية هرم الأفضلية ، ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة التقليدية في مقياس مهارات ما وراء المعرفة ، ولأجل التحقق من صحة الفرضية ، تم تطبيق مقياس مهارات ما وراء المعرفة ملحق (١٩) على مجموعتي البحث ، وبعد احتساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لدرجات مجموعتي البحث ملحق (٢١) ، أتضح أنَّ المتوسط الحسابي لدرجات طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا مادة تأريخ أوربا وأمريكا الحديث والمعاصر على وفق استراتيجية الرحلات المعرفية الألكترونية بلغ (٢٥,٦٦) بانحراف معياري (١٧,٨٥) ، في حين بلغ المتوسط الحسابي لدرجات طلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا المادة نفسها على وفق الطريقة التقليدية (٢٢,٩٩) بانحراف معياري (١٤,٧٩) ، ولأجل معرفة الفروق الإحصائية بين درجات

مجموعتي البحث التجريبية والضابطة في مقياس مهارات ما وراء المعرفة البعدي ، استعمل الباحث الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين كوسيلة إحصائية لاستخراج النتائج، تبين أن القيمة التائية الجدولية البالغة (٢) أصغر من القيمة التائية المحسوبة البالغة (٣,٠٦) وبدرجة حرية (٥٨) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ، وهذا يدل أن هناك فرقاً ذا دلالة إحصائية في القيمة التائية والفرق هو تفوق درجات (طلاب المجموعة التجريبية) الذين درسوا مادة التأريخ باستراتيجية الرحلات المعرفية الألكترونية في مقياس مهارات ما وراء المعرفة على درجات (طلاب المجموعة الضابطة) الذين درسوا المادة نفسها بالطريقة التقليدية كما مبين في الجدول (٧) .

جدول (٧)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية المحسوبة والجدولية لدرجات طلاب المجموعتين (التجريبية والضابطة) في مقياس مهارات ما وراء المعرفة البعدي

المجموعة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		الدلالة الاحصائية عند مستوى (٠,٠٥)
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٠	٥٨,٦٦	١٧,٨٥	٥٨	٣,٠٦	٢	دالة لصالح المجموعة التجريبية
الضابطة	٣٠	٢٢,٩٩	١٤,٧٩				

ويمكن للباحث أن يفسر نتائج الفرضية الرابعة الخاصة بمقياس مهارات ما وراء المعرفة لما قدمته استراتيجية هرم الأفضلية من إيضاح للمعلومات ، وتوكيد للأفكار، واستنتاج العلاقات بين الأفكار المألوفة وغير المألوفة ، وتبيان العلاقات بين الجزء والكل، وتسلسل المعلومات والأحداث، إذ أن هذه الاستراتيجية لا تزود الطلاب بالمعرفة فحسب ، بل تعلمهم كيف يحصلون عليها من مصادر حديثة متنوعة ، ما تنمي لديهم مهارات التفكير العليا، ويساعدهم على التخطيط لما يقومون به من إجراءات بهدف الحصول على المعرفة، ومكنتهم أيضاً من مراقبة ما تم التخطيط لأجله ، بهدف إصدار قرار أو تقويم مناسب للقضايا التي تواجههم، من ثم تزيد من مهاراتهم في استعمال أدوات فوق معرفية للتعلم فتساعد على تعزيز ثقتهم بأنفسهم وتقديرها ، فهي تساعد على التنظيم الهرمي للمعرفة ، ما يجعل الطالب أكثر قدرة على استعمال المعلومات الموجودة لديه، لذا تعد أكثر فهماً للموضوع، وبذلك ساعدت الطلاب على تشكيل رسم تخطيطي للموضوع أو الفكرة الرئيسة، بينما الطريقة التقليدية المستعملة في تدريس المجموعة

الضابطة، قد ركزت على المادة العلمية، وكيفية إيصال المعلومة من دون التركيز على جوانب أخرى تساعد على زيادة فعالية الطلاب وتنمية قدراتهم العقلية، وتغذيهم بمهارات ما وراء المعرفة.

استنتاجات الدراسة الحالية:

١- أن التدريس على وفق استراتيجية هرم الأفضلية أكثر فاعلية من التدريس بالطريقة التقليدية في تحصيل موضوعات مادة أسس الجغرافية وتقنياتها، تبعاً لما جاءت بها نتائج الدراسة الحالية على وفق المعادلة الإحصائية التي بين الفرق، والتي تُساعد على ترتيب محتوى الموضوعات الدراسية لمادة الجغرافية بشكلٍ سهّل على الطلاب الربط والفهم بين موضوعاتها.

٢- لاحظ الباحث ان هناك انسجاما بين استراتيجية هرم الأفضلية مع الاتجاهات التربوية الحديثة و المعاصرة التي تجعل الطالب محور العملية التعليمية التعلمية ، ومركزها الأساس ، و التي تتطلب جهداً ، ومهارة من مدرسي مادة الجغرافية في المرحلة المتوسطة ، من خلال عرض الموضوعات الدراسية بشكل يتناسب وعقل الطالب في هذه المرحلة العمرية ، أكثر ما تتطلبها الطريقة التقليدية المعتمدة على الحفظ والتلقين ، وهذا يزيد من تحصيل الطلاب .

٣- لاحظ الباحث ان هناك حاجة ماسة عند طلاب الصف الرابع الأدبي في استخدام استراتيجيات تدريسية حديثة ، منها استراتيجيا التعلم النشط في تدريس موضوعات مادة الجغرافية بصورة عامة و موضوعات مادة أسس الجغرافية وتقنياتها خاصة ، ومنها استراتيجية هرم الأفضلية التي تُعد أحدى استراتيجيات التعلم النشط ، وان التدريس على وفقها يمكن ان يُطور من عمل مدرس المادة ونشاطه في الصف الدراسي ، وذلك من خلال تهيئة الوسائل التعليمية منها السبورة ، والخرائط ، والصور ، والملصقات ، وغيرها وكيفية تقديمها بشكل متسلسل يتناسب مع وقت الدرس .

٤- يُساعد التدريس باستراتيجية هرم الأفضلية على تنظيم أفكار الطلاب في سياقات منظمة بنائية ، أي جعل الطلاب يفكرون في كيفية ربط الأسئلة مع موضوع الدرس ، فضلاً عن معلوماتهم السابقة في مخططاتهم العقلية التي تساعد على تدريب عقل الطلاب على المعرفة والفهم والتطبيق .

توصيات الدراسة الحالية:

١- ضرورة تدريب مدرسي مادة الجغرافية من خلال الدورات التي تقيمها مديريات التربية على الاستراتيجيات والنماذج والطرائق التدريسية الحديثة ، منها طريقة التدريس باستراتيجية هرم الأفضلية، لغرض استعمالها في تدريس الموضوعات الجغرافية .

٢- توجيه مُدرسي مادة الجغرافية من المُشرفين التربويين وذوي التخصص وكل من له علاقة في مجال التربية والتعليم لتنظيم وترتيب محتوى مادة الجغرافية على وفق

استراتيجية هرم الأفضلية بشكل يتناسب مع الخطة اليومية و المستوى العقلي للطلاب بصورة عامة وطلاب الصف الرابع الأدبي على نحو خاص ، الذين يدرسون مادة أسس الجغرافية وتقنياتها .

٣- التأكيد على المديرية العامة للمناهج على تطوير مناهج الجغرافية على وفق استراتيجيات التعلم النشط ومنها استراتيجية هرم الأفضلية، أي تنظيم محتوى المنهج وترتيبه ترتيباً متسلسلاً مترابطاً بشكل يُسهل على طلاب المرحلة المتوسطة الربط بين موضوعات المادة والأسئلة التي تعد في نهاية كل فصل ، ما يزيد استيعاب الطُلاب للمعلومات المقدمة لهم .

٤- وضع مشرفين متخصصين في مجال طرائق التدريس من وزارة التربية والمديريات التابعة لها ، بحيث يشرفون على مدرسي مادة الجغرافية في المرحلة المتوسطة من خلال استخدامهم وتوظيفهم للاستراتيجيات والنماذج والطرائق التدريسية الحديثة ، مع بيان المعوقات التي تحول دون استعمالها وتوظيفها، وما تحتاجه ، لغرض تفعيل استعمالها وإنجاحها.

٥- ضرورة الاهتمام بوقت الحصة الدراسية ؛ لأن جميع الطرائق التدريسية الحديثة تحتاج إلى تنظيم الوقت واستغلاله لمصلحة الدرس ، منها طريقة التدريس باستراتيجية هرم الأفضلية التي يعتمد نجاحها على توافر الوقت اللازم و مراعاة ذلك من المدرس .

مقترحات الدراسة الحالية :

١ــ إجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية على مراحل ومواد دراسية أخرى .

٣ــ إجراء دراسة تُبين فاعلية التدريس باستراتيجية هرم الأفضلية مع استراتيجيات تدريسية .

٤ــ إجراء دراسة لمعرفة فاعلية استراتيجية هرم الأفضلية في تنمية مهارات التفكير الجغرافي .

مصادر الدراسة :

- أبو جادو، صالح محمود علي (٢٠١١): **علم النفس التربوي**، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن.
- أبو رياش ، حسين محمد (٢٠٠٧) : **التعلم المعرفي** ، ط١ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن.
- أبو سعيدي، عبد الله بن خميس وهدى بنت علي الحوسنيه (٢٠١٦): **استراتيجيات التعلم النشط ١٨٠ استراتيجية** ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.
- بدوي، مضان مسعد(٢٠١٠): **التعلم النشط** ، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة.
- خماس، نغم فلاح:(٢٠١٨) : فاعلية استعمال التعليم المتمايز في تحصيل ماده التاريخ لدى طالبات الصف الخامس الأدبي، بحث منشور، **مجلة كليه التربية الاساسية للعلوم الانسانية**، جامعة بابل، العدد ٣٧١،.
- الرشايدة ، محمد صبيح : (٢٠٠٦) : **الكفايات التعليمية لقراءة الخريطة والاستقصاء في الدراسات الاجتماعية** ، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .
- زيتون، حسن حسين: تصميم التدريس رؤيه منظوميه، عالم الكتب، القاهرة ٢٠٠١.
- العفون ، نادية حسين يونس (٢٠١٢) : **الاتجاهات الحديثة في تدريس التفكير**، دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن .
- العقيل، إبراهيم (٢٠٠٤): **الشامل في تدريب المعلمين التفكير والابداع**، ط١، مؤسسة رياض نجد للتربية والتعليم، دار الوراق.
- فاضل، نور حسن، وعبد الهادي، شيماء حسن:(٢٠١٧) : فاعلية استراتيجية هرم الأولية في تحصيل مادة الجغرافية لدى طلاب الصف الخامس الأدبي، **بحث منشور**، العدد ٤٢، مجله كليه التربية للعلوم الانسانية، جامعه بابل .
- الفتلاوي، سهيلة محسن كاظم:(٢٠٠٣) : **الكفايات التدريسية المفهوم التدريس الأداء**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،.
- القصير فريال علي حمزه:(٢٠١٨) : فاعليه استراتيجية هرم الأفضلية في تحصيل ماده علم الأحياء ومهارات التفكير الاستدلالي لدى طالبات الصف الرابع العلمي، **رسالة ماجستير**، جامعه القادسية، كليه التربية.

- قطامي، يوسف (٢٠٠٩) : **النظرية المعرفية في التعلم** ، ط١ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .
- قطاوي ، محمد إبراهيم ، (٢٠٠٧) ، **طرق تدريس الدراسات الاجتماعية** ، دار الفكر ، عمان ، الأردن .
- الكبيسي، عبد الواحد حميد: (٢٠٠٨) : **طرق تدريس الرياضيات اساليبة** ، أمثلة ومناقشات مكتب المجتمع العربي عمان.
- النجدي، احمد، ومنى عبد الهادي، و علي الرائد (٢٠٠٥) : **إتجاهات حديثة في لتعليم العلوم في ضوء المعايير العالمية وتنمية التفكير والنظرية البنائية**، ط١، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر.

((ملحق اختبار التحصيل البعدي))

ثلاثون فقرة فقط

١- الاستعمال الحقيقي لـ GIS يبدأ وينتهي

أ- بمستويات متداخلة ب- بالعالم الحقيقي جـ - بأطر وملفات د- بالسيطرة على البيانات

٢- أول خطوة في تطوير نظام المعلومات الجغرافية تتمثل في :

أ- انتاج قاعدة معلومات ب- إخراج البيانات جـ - إعداد الخرائط د- تنسيق المعلومات.

٣- تستخدم نظم المعلومات الخطية في :

أ- نقاط المواقع الجغرافية ب- تحديد حدود المضلعات جـ- مجموعة من الأحداثيات د- تمثيل المناطق.

٤ – الخلية هي أصغر وحدة :

أ- مربعة الشكل ب- يمكن تمثيلها على الخريطة جـ - تحفظ على الشاشة د- تمثل الشكل الحقيقي.

٥ – تتيح لنا نظم المعلومات الجغرافية :

أ- حفظ المعلومات ب- إعطاء صورة صحيحة عن الظاهرة جـ- صور مرئية د- تحديد المصادر.

٦- إن جغرافية المناخ لم تقتصر على :

أ- الحرارة والرطوبة ب- الأحوال المناخية السطحية جـ- ظواهر السطح د- التضاريس

٧ – الجغرافية الحياتية حقل من حقول :

أ- جغرافية المناخ ب – علم أشكال سطح الأرض جـ - الجغرافية الطبيعية د- الإجهاد الجزئي

٨-أول من حاول عمل الخرائط :

أ- البابليون ب- الآشوريون جـ - المصريون د- الصينيون

٩-كان الدافع الأساس إلى الاهتمام بالخرائط هو :

أ- تحديد الموقع ب- تقدير الضرائب وحصر الأراضي جـ - اتساع رقعة الأمبراطورية د- التعرف على الطرق

١٠-مقياس الرسم هو :

أ- دقة الاستخدام ب- رسم الخرائط جـ- النسبة بين البعد على الخريطة وما يقابلها في الطبيعة د- الرسم المستخدم

١١--يمكن تصنيف الخرائط إلى خرائط :

أ- تفصيلية وطوبوغرافية ب- الطقس والمناخ جـ - عامة وموضوعية د – النبات.

١٢- يقصد بالتصوير الجوي :

أ- التصوير من على المنصات ب- الصورة الأفقية جـ - الصور الشديدة الميلان د- التصوير التقليدي

١٣- التفسير البصري يعتمد على :

أ- تحليل الصور ب- تفسير الصور الجوية جـ- أسس عدة د- التصنيف

١٤- إن الجغرافية الحياتية تهتم بدراسة :

أ- التضاريس ب- الحركة جـ - التغيير د- الكائنات الحية

١٥ – استخدم الجغرافيون في دراستهم لجغرافية السكان :

أ- التقنيات الإحصائية ب- الظواهر الجغرافية جـ- الدراسات السياسية د- المنهج الجغرافي

١٦- تدرس جغرافية الاستيطان :

أ – ظاهرة السكان كظاهرة غير ثابتة ب – التنبؤ والتخطيط جـ- أصل المستوطنات د- حجم نمو السكان

١٧ – جغرافية السياحة تهتم بدراسة :

أ- تركيب الدولة واقاليمها ب- موقع الصناعة جـ النشاطات الاقتصادية د- الجوانب المتصلة بحركة الناس

١٨ – استمد حقل جغرافية الريف اطاره من :

أ- العلاقة ب- التطور جـ- المدن د- التطبيقات العملية

١٩ – إن الجغرافية الزراعية تدرس تركيب الزراعة على :

أ- مظهر الارض ب- مشكلات استعمالات الأرض جـ - خصائصها الذاتية د- الصفة الطبيعية

٢٠- خرائط السطح والتضاريس هي من نوع الخرائط التي توضح :

أ- الظاهرات المناخية ب- الصخور المكونة للمنطقة جـ أشكال السطح د- توزيع الاجناس

٢١- من أجزاء نظم المعلومات هي :

أ- المعلومات ب- إدارة البيانات جـ - المخرجات د- الأساليب

٢٢- يتم تحليل الصور الجوية وتفسيرها اما:

أ- بالشكل الأفقي ب- بشكل مباشر جـ- بتجانس المقياس د- حسب درجة ميلان المحور

٢٣- يمكن أن نصنف أنظمة الاستشعار عن بعد إلى :

أ- نوعين ب- اربعة انواع جـ- خمسة انواع د- ستة انواع

٢٤- الأجهزة الفضائية تستخدم في :

أ- امتصاص الأشعة تحت الحمراء ب- مقدار الأشعة المنعكسة جـ- تحديد موارد سطح الأرض د- تصنيف أنظمة الاستشعار

٢٥- من خصائص جغرافية التربة :

أ- التباين المكاني ب- تهتم بتأثيرات الانسان والزراعة فيها جـ- البحث في حقل الجغرافية د- الظواهر المناخية المتعددة

٢٦- يعد الاستيطان الريفي فرعا" من فروع جغرافية

أ- المدن ب- الصناعة جـ السياحة د- الاستيطان

٢٧- الدافع وراء اهتمام الجغرافي بجغرافية المدن هو :

أ- الخدمات ب- الوحدات جـ - اكتظاظ المدن بالسكان د- الاتجاه

٢٨- تزداد اهمية دراسات الجغرافية السياسية مع زيادة :

أ- الأغراض التطبيقية ب- إعداد السكان في العالم جـ- خطوط النقل د- خصائص الانتاج

٢٩ - الخريطة الرقمية هي التي ترسم بواسطة :

أ- الوسائل التقليدية ب- جهاز الحاسوب جـ- خطوط الطول د- دوائر العرض

٣٠- من عناصر الخريطة الأساسية :

أ- رموز الخريطة ب- ألوان الخريطة جـ - خطوط الطول د- تسلسل الخريطة

((فقرات الأسئلة المقالية))

خمس فقرات فقط

١ - ما المقصود بدراسة موضوعات مادة أسس الجغرافية وتقنياتها ؟ وما موضوعاتها ؟

٢ - لماذا اهتم معظم الجغرافيين بدراسة جغرافية المدن أكثر من غيرها من الدراسات ؟

٣ - ما الأجهزة التي يتم فيها التصوير الجوي ، وما فائدة دراستها في مادة الجغرافية ؟

٤ ـ لماذا ندرس المناخ؟ وما علاقة تلك الدراسة بدراسة موضوعات المادة الدراسية ؟ وما فائدتها ؟

٥ ـ ما المقصود بالخرائط الجغرافية؟ وما الخرائط التي تستخدم عادة في الجغرافية؟

((فقرات أسئلة المطابقة والمزاوجة))

خمس فقرات فقط:

١ ـ تعد واحدة من عناصر الخرائط الجغرافية	**إعطاء صور**
٢ـ نظم المعلومات الجغرافية	**المناخ**
٣ ـ تعود دراسة الجغرافية الطبيعية الى	**دوائر العرض**
٤ ـ النشاطات الاقتصادية للبلدان تتمثل	**الجغرافيون**
٥ ــ التقنيات الإحصائية استعملها	**الجغرافية السياحية**

شعرية التناص في اعتذاريات النابغة الذبياني

أ/ محمد علي صالح قايد القبلاني

طالب دكتوراه بقسم اللغة العربية، كلية اللغات، جامعة صنعاء

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى رصد مظاهر التناص في الاعتذاريات الشعرية للنابغة الذبياني، ثم تحليل مظاهر تلك التداخلات بين النصوص داخلياً وخارجياً، عبر الاستعانة بالشعرية في الكشف عن بنية هذا التداخل ووظيفته التي اكسبت النص شعريته الخاصة .

وقد توصل البحث إلى النتائج الآتية :

- تعددت مصادر التناص في اعتذارات النابغة؛ داخلياً وخارجياً، وتنوع التناص الخارجي بين التناص الشعري، والموروث الثقافي ، بما يخدم مقصدية الشاعر الرامية للحصول على العفو.

- لم تقتصر شعرية التناص في حدود الشعرية النصية، بل امتدت لتشمل الشعرية التأثيرية.

الكلمات المفتاحية : الشعرية ، التناص ، الاعتذاريات ، النابغة .

Poetics of Intertextuality in Al-Thebyani's Apologies

Abstract

This paper aims at identifying the intertextuality aspects in Al-Thebyani's poetic apologies. Based on poeticism, these aspects have been internally and externally analyzed to identify the structure of intertextuality and its function, making text of a special poeticism. The following findings were reached:

- There are many sources for intertextuality in Al-Thebyani's apologies internally and externally in that the external intertextuality is varied between poetic intertextuality and cultural heritage which helps the poet show his intention of seeking for forgiveness.
- The poeticism of intertextuality is not limited to the textual poeticism only but it extends to the effective one.

التمهيد :

التناص المصطلح والمفهوم .

ظهر مصطلح التناص على يد الناقدة الفرنسية (جوليا كريستيفا - Julia Kristeva)[١] ، التي ترى أن((النصوص الشعرية تتم صناعتها عبر امتصاص ، وفي الآن نفسه عبر هدم النصوص الأخرى للفضاء المتداخل نصياً ، ويمكن التعبير عن ذلك بأنها ترابطات متناظرة ذات طابع خطابي))[٢] ، و جعلت التناص أحد مميزات النص الأساسية [٣] ، وهذا ينبع من الاستعانة بدلالات وأبنية تصويرية خارج النص ، والاستناد على مبدأ الانزياح ، واستدعاء الماضي ، بوصفه مرجعاً أساسياً لبناء الفضاء النصي[٤] ، وهي بهذا قد استفادت ممن سبقها من النقاد وبالأخص من أبحاث باختين (١٩٢٨م) ، الذي توقف عند التناص تحت ما أسماه (الحوارية)[٥] ، لتستمر بعد ذلك عملية تطوير التناص بعد (كريستيفا) على أيدي الدارسين[٦].

(١) ينظر: سامح الرواشدة ، فضاءات الشعرية دراسة في ديوان أمل دنقل ، المركز القومي ، أربد ، الأردن ، ١٩٩٩م ، ٤٥.

(٢) جوليا كريسطيفا، علم النص ، ترجمة : فريد الزاهي ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط٢/ ١٩٩٧م، ٧٩.

(٣) ينظر : مشتاق عباس معن ، شعرية التناص (قراءة في شعرية كرستيفا السلبية)، مجلة علامات، النادي الأدبي والثقافي بجدة، ع/ ٣٧ ، مج / ١٠ ، سبتمبر ٢٠٠٠م ، ٤٣١.

(٤) ينظر : سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي النص والسياق ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب، ط٢/ ٢٠٠١م ٥ .الطيب بوترعة شعرية التناص في شعر الجواهري، أطروحة دكتوراه ، جامعة وهران ، الجزائر، ٢٠٠٧م ، ٢ .

(٥) ينظر : ميخائيل باختين ، الخطاب الروائي ، ترجمة : محمد برادة ، دار الفكر ، القاهرة ، ط١/ ١٩٨٧م، ١٥.

(٦) ممن كان له إسهام في تطوير وتوسيع مفهوم التناص (رولان بارت) الذي يرى أن التناص نسيج مما لا حصر له من منابع ثقافية متعددة . ينظر : نظرية النص ، رولان بارت ، ترجمة : منجي الشملي ، وزميليه ، مجلة حوليات الجامعة التونسية ، جامعة تونس ، ع/ ٢٧ ، ١٩٨٨م ، ٨١. وقد تطور مفهوم التناص كذلك على يد (جرار جينيت) ؛ تحت مصطلح التعاليات النصية ، أو التعالي النصي ، وهو كل ما يجعل نصا يتعالق مع نصوص أخرى بشكل مباشر أو ضمني . ينظر : انفتاح النص الروائي النص والسياق، ٩٦.

وبهذا ؛ يعد التناص من أهم الآليات التي يمكن الإفادة منها في مجال الشعرية ، وترجع أهمية ذلك في توسيع منهج الشعرية للكشف عن خصائص النص ، فلم يعد تحليل النص الأدبي نظاماً مغلقاً ؛ بل منفتحاً على ما هو خارج النص[١] .

والذي يهمنا في بحثنا هو رصد مظاهر التناص بأشكالها المتنوعة في اعتذاريات النابغة الذبياني ، على مستوى التداخل النصي الداخلي ، والخارجي ، والكشف عن العوامل التي أسهمت في تكوين هذا التداخل ، وصولاً إلى إظهار مكامن شعرية هذا التداخل من خلال ما ينتجه هذا التداخل من دلالات إيحائية ، يستنبطها القارئ في إطار تأويل مبني على العلاقة بين المتناص والمتناص معه ، للكشف عن مقصدية المعتذر، و مدى فاعلية ذلك في إثراء شعرية النص .

شعرية التناص الداخلى

يقصد بالتناص الداخلي : تداخل نصوص صاحب النص فيما بينها[٢] . ففي اعتذاريات النابغة يتجلى التناص الداخلى عبر آليتين : الاستدعاء المتمثل باستحضار حرفي لمقتبس من نص الآخر ، والانزياح المتمثل بتغيير البنى التركيبية للمتناص معه عن مواقعها ، وهو بهذا يعيد ما أنتجه بقالب إبداعي له خصوصيته الشعرية .

يتجلى هذا التناص في مطلع قصائده الاعتذارية ، وفي مضمون الاعتذار في تلك الاعتذاريات .

أولاً : تناصية المطلع :

يتجلى التناص في المطلع في تصوير الطلل ، وقد ظهر هذا في مطالع الاعتذاريات الآتية :

يقول النابغة في مطلع الاعتذاريه : الدالية (المعلقة) :

يا دارَ مَيَّةَ بِالعَلياءِ فَالسَنَدِ أَقوَت وَطالَ عَلَيها سالِفُ الأَبَدِ[١]

(١) ينظر : شعرية التناص في شعر الجواهري ، ٩٤.

(٢) ينظر : محمد مفتاح مفاهيم موسعة لنظرية شعرية (اللغة – الموسيقى – الحركة) ، ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١/ ٢٠١٠م ، ج/٣ ، ١٠٠.

(١) ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢/، ١٤. الأواري : محابس الخيل ومرابطها . النُّوي : حاجز من تراب حول الخباء ؛ لئلا يدخله السيل . المظلومة : الأرض التي لم تمطر فجاءها السيل فملأها . الجَلد: الأرض الصلبة . ردت عليه أقاصيه : أي ردت الأَمَةُ على النُوي

وَقَفتُ فيها أُصَيلاناً أُسائِلُها عَيَّت جَواباً وَما بِالرَبعِ مِن أَحَدِ

إِلّا الأَوارِيَّ لَأياً ما أُبَيِّنُها وَالنُؤيَ كَالحَوضِ بِالمَظلومَةِ الجَلَدِ

رَدَّت عَلَيهِ أَقاصيهِ وَلَبَّدَهُ ضَربُ الوَليدَةِ بِالمِسحاةِ في الثَأَدِ

خَلَّت سَبيلَ أَتِيٍّ كانَ يَحبِسُهُ وَرَفَّعَتهُ إِلى السَجفَينِ فَالنَضَدِ

أَمسَت خَلاءً وَأَمسى أَهلُها اِحتَمَلوا أَخنى عَلَيها الَّذي أَخنى عَلى لُبَدِ

فَعَدِّ عَمّا تَرى إِذ لا اِرتِجاعَ لَهُ وَاِنمِ القُتودَ عَلى عَيرانَةٍ أُجُدِ

مَقذوفَةٍ بِدَخيسِ النَحضِ بازِلُها لَهُ صَريفٌ صَريفُ القَعوِ بِالمَسَدِ

ما تباعد من ترابه ؛ لأن لا يصل إليها الماء . الوليدة : الأَمَة الشابة . الثَّأَد : المكان الندي . الأَتِي : سيل يأتي من بلد إلى بلد ، والأَتي : مجرى الماء .السجفان : ستران رقيقان يكونان في مقدم البيت . أخنى عليها: أفسد عليها الدهر . لُبد: آخر نسور لقمان بن عاد . القُتُود : عيدان الرَّحال . العيرانة : ناقة تشبه العير في القوة والنشاط . الأُجُد : المُوثَّقة الخَلْق .

ويقول في مطلع اعتذاريته العينية :

عَفا ذو حُسىً مِن فَرتَنى فَالفَوارِعُ فَجَنبا أَريكٍ فَالتِلاعُ الدَوافِعُ[٢]

فَمُجتَمَعُ الأَشراجِ غَيَّرَ رَسمَها مَصايِفُ مَرَّت بَعدَنا وَمَرابِعُ

تَوَهَّمتُ آياتٍ لَها فَعَرَفتُها لِستَّةِ أَعوامٍ وَذا العامُ سابِعُ

رَمادٌ كَكُحلِ العَينِ لَأياً أُبينُهُ وَنُؤيٌ كَجَذمِ الحَوضِ أَثلَمُ خاشِعُ

كَأَنَّ مَجَرَّ الرامِساتِ ذُبولَها عَلَيهِ حَصيرٌ نَمَّقَتهُ الصَوانِعُ

عَلى ظَهرِ مِبْناةٍ جَديدٍ سُيورُها يَطوفُ بِها وَسْطَ اللَطيمَةِ بائِعُ

فَكَفكَفتُ مِني عَبرَةً فَرَدَدتُها عَلى النَحرِ مِنها مُستَهِلٌّ وَدامِعُ

عَلى حينَ عاتَبتُ المَشيبَ عَلى الصِبا وَقُلتُ أَلَمّا أَصحُ وَالشَيبُ وازِعُ

(٢) ديوان النابغة ، ٣٠ . عفا : دَرَس وامحت آثاره . ذو حُسىً : موضع في ديار بني مرة . من فرتنى : منازل ، الفوارع : مواضع مرتفعة . أريك : موضع . مجتمع الأشراج : مسايل في الأرض صلبة تدفع إلى الأودية . مصايف مرت بعدنا ومرابع : رياح الصيف ومطر الربيع . لأياً أبينه : أي لقلته وتغيره لا يعرف إلا بعد بط . النؤي : حاجز الماء . الرامسات : الرياح . المُبناة : النِّطع ؛ وسميت بذلك لأنها كانت تتخذ قباباً والقبة البناء . اَلطيمة : سوق الطيب .

ويقول في مطلع اعتذاريته اللامية :

أَمِن ظَلّامَةَ الدِمَنُ البَوالي بِمُرفَضِّ الحُبَيِّ إلى وُعالِ[1]

فَأَمواهِ الدَنا فَعُوَيرِضاتٍ دَوارِسَ بَعدَ أَحياءٍ حِلالِ

تَأَبَّدَ لا تَرى إِلّا صُواراً بِمَرقومٍ عَلَيهِ العَهدُ خالِ

تَعاوَرَها السَواري وَالغَوادي وَما تُذري الرِياحُ مِنَ الرِمالِ

أَثيثٌ نَبتُهُ جَعدٌ ثَراهُ بِهِ عوذُ المَطافِلِ وَالمَتالي

يُكَشِّفنَ آلأَلاءَ مُزَيَّناتٍ بِغابِ رُدَينَةَ السُحمِ الطِوالِ

كَأَنَّ كُشوحَهُنَّ مُبَطَّناتٌ إلى فَوقِ الكُعوبِ بُرودُ خالِ

فَلَمّا أن رَأَيتُ الدارَ قَفراً وَخالَفَ بالُ أَهلِ الدارِ بالي

نَهَضتُ إلى عُذافِرَةٍ صَموتٍ مُذَكَّرَةٍ تَجِلُّ عَنِ الكَلالِ

(١) ديوان النابغة ، ١٤٩.الحّبي ووعال : موضعان . فأمواه الدَّنا فعويرضات : موضعان . تأبد : توحش . الصوار : قطيع البقر . بمرقوم : أي برسم . تعاور: تعاقب . جعد ثراه : أي ترابه نَدٍ .العوذ : الحديثات لنِّتاج . المطافل : التي معها أولادها . المتالي : هي التي لا تتبعها أولادها . يكشفن الألاء : يكشفن الشجر بقرونها . الألاء : شجر . العذافرة :الناقة الشديدة . الصموت : التي لا ترغو .

فجميع هذه المطالع الطللية تتناص فيما بينها من حيث تصوير الذات الواقفة على الديار ، والديار الموقوف عليها ، فإذا صورت الديار بصورة متقاربة بحيث تبدو مقفرة تحولت بعد الأنس والنعيم إلى وحشة وبؤس ، فإنها قد صورت الذات الواقفة بذات حزينة متحسرة على النعيم المفقود ، ومحملة بألم المعاناة من الحاضر المعيش ، وبهذا فكلتا الصورتين تجتمعان في تصوير التحول الذي طرأ على كل من الديار والواقف عليها من الحال التي كانت عليها إلى حال نقيض ، فالتحول في صورة الذات ناجم عن تحول علاقة الشاعر (المعتذر) بالمعتذر إليه (النعمان) ، حيث تحولت تلك العلاقة من علاقة انسجام إلى علاقة انفصام ، كتحول تلك الديار من حال إلى حال ، من حال الأنس إلى حال الإقفار .

ومع ما في هذه المطالع الطللية من تقارب في التصوير فإن لكل مطلع من تلك المطالع شعريته الخاصة النابعة من اختلاف تجربة الذات من اعتذارية إلى أخرى ، واختلاف موقف الذات أمام تلك الأطلال ؛ فموقف الذات في الدالية (المعلقة) موقف يعكس – مع ما تعانيه الذات من صراع - قوتها وصلابتها أمام هذه التغيرات الحاصلة للديار ولأهل تلك الديار ، انطلاقاً من إيمانها أن تغيرات الحياة تتطلب مقاومة كل عائق من أجل البقاء : (فَعَدِّ عَمّا تَرى إِذ لا اِرتِجاعَ لَهُ وَاِنمِ القُتودَ عَلى عَيرانَةٍ أُجُدِ) ومن هذا الإيحاء تنبع شعرية هذا الطلل بوصفه معادلاً رمزياً لمعاناة الذات من تحول موقف النعمان تجاه ذلك ، وهنا تكمن وظيفته في تذكير المعتذر إليه (النعمان) بتقلبات الحياة فلا يغتر بها ، فكل ملك معرض للفناء والزوال ، كحال تغير تلك الديار .

أما موقف الذات في الاعتذارية : (العينية) فيتجلى في قول الشاعر :(فَكَفكَفتُ مِني عَبرَةً فَرَدَدتُها عَلى النَحرِ مِنها مُستَهِلٌّ وَدامِعُ)، فهو موقف يوحي بضعف الذات وحزنها على ما آلت إليه تلك الديار ، وفي هذا إيحاء بتحسر الذات ، وحزنها على تغير موقف المعتذر إليه النابع من تصديق الوشاة الذين طمسوا كل ما هو جميل بين المعتذر والمعتذر إليه ، حتى أن الذات توهمت معرفة هذا التغير ، وكادت لا تصدقه ، كتوهم الشخص أمام الديار المقفرة التي لا تكاد تعرف للتغير الكبير الناجم من تحولات الطبيعة ، وهو ما يثير في نفس المعتذر إليه مراجعة الموقف ، والرجوع عن هذا التغير السلبي في شخصيته التي كانت تعرف بالكرم والجود ، كما كانت تعرف تلك الديار بالنعيم والأنس .

أما المطلع الطللي في اعتذاريته (اللامية) ، فتبدو فيها الذات متمسكة بالعلاقة القائمة بينها وبين المعتذر إليه ، فالذات لا تطيق العيش في أي ديار مقفرة منعدمة من الأنس ؛ بل تريد العيش بديار الأنس التي لا توجد إلا في ديار المعتذر إليه (الملك) ، وفي هذا دلالة على تمسك الذات بدوام العيش المتصل بالمعتذر إليه ، مهما حاول الوشاة قطع عرى التواصل وإبعاد المعتذر من ديار المعتذر إليه (ديار الأنس) ، إلى ديار مقفرة موحشة .

وإذا كان كل ما في هذه المطالع الطللية من دلالات وإيحاءات متعددة تصب في تأكيد براءة الذات المعتذرة ، التي تمثل القاسم المشترك للتناص بين مطالع تلك الاعتذاريات ، فإن شعرية ذلك التناص تكمن في ذلك التعدد الإيحائي الذي جعل لكل مطلع شعرية خاصة .

ثانياً : التناص الداخلي في بنية الغرض الاعتذاري :

يتمثل التداخل النصي في مضمون اعتذاريات النابغة بتماثل بعض القوالب التركيبية الموحدة ، وهذا ناجم من اعتقاد المبدع بأنها قد صيغت صياغة إبداعية متناهية ، بحيث لا يمكنه مخالفة تلك التراكيب، من ذلك (أَتاني أَبَيتَ اللَعنَ أَنَّكَ لُمتَني) ، و(حَلَفتُ فَلَم أَترُك لِنَفسِكَ ريبَةً) ، وهذا الاستدعاء يتجلى في الشطر الأول من كل بيت في النصين الآتيين :

أولاً : يقول في البائية :

أَتاني أَبَيتَ اللَعنَ أَنَّكَ لُمتَني وتلك التي أُهتَمُّ مِنها وَأَنصِبُ[1]

فَبِتُّ كَأَنَّ العائِداتِ فَرَشنَني هَراساً بِهِ يُعلى فِراشي وَيُقشَبُ

حَلَفتُ فَلَم أَترُك لِنَفسِكَ رَيبَةً وَلَيسَ وَراءَ اللَهِ لِلمَرءِ مَذهَبُ

فَلا تَتَرُكَنّي بِالوَعيدِ كَأَنَّني إِلى الناسِ مَطلِيٌّ بِهِ القارُ أَجرَبُ

ثانياً يقول في العينية :

وَعيدُ أَبي قابوسَ في غَيرِ كُنهِهِ أَتاني وَدوني راكِسٌ فَالضَواجِعُ[2]

فَبِتُّ كَأَنّي ساوَرَتني ضَئيلَةٌ مِنَ الرُقشِ في أَنيابِها السُمُّ ناقِعُ

(١) ديوان النابغة الذبياني ، ٧٢.

(٢) المصدر نفسه : ٣٢.

يُسَهَّدُ مِن لَيلِ التَمامِ سَليمُها لِحَلي النِساءِ في يَدَيهِ قَعاقِعُ

تَنـاذَرَها الراقونَ مِن سوءِ سُمِّها تُطَلِّقُهُ طَوراً وَطَوراً تُراجِعُ

أَتاني أَبَيتَ اللَعنَ أَنَّكَ لُمتَني وَتِلكَ الَّتي تَستَكُّ مِنها المَسامِعُ

حَلَفتُ فَلَم أَترُك لِنَفسِكَ ريبَةً وَهَل يَأثَمَن ذو أُمَّةٍ وَهوَ طائِعُ

حيث يلاحظ تماثل النصين السابقين باستخدام تراكيب معينة ، (وتِلكَ الَّتي ، فبتُ ، الوعيد) ، ويتجلى أيضاً التناص التصويري لمعاناة المعتذر ليلة سماعه وعيد الملك ، في قوله (فَبِتُّ كَأَنَّ العائِداتِ فَرَشنَني... ، فَبِتُّ كَأَنّي ساوَرَتني ضَئيلَةٌ ...)، ومع هذا التداخل بين النصين فإن لكل نص شعريته الخاصة التي تميزه عن غيره ؛ ما يشير إلى قدرة الشاعر على صياغة كل نص صياغة محكمة ؛ فعند حديثه عن الوعيد قدمه في سياق النص الثاني في قوله : (وَعيدُ أَبي قابوسَ في ...) ؛ إذ جعله في صدر التركيب ، مع أن الكلمة في النص الأول أتت في نهاية التركيب (فلا تتركاني بالوعيد)، وهذا الاختلاف والتغيير في البنية التركيبية ، يعود إلى اختلاف الباعث النفسي عند الشاعر ؛ فعندما كان الباعث لوماً واللوم أخف من الوعيد أخر الوعيد، لكنه عندما كان الباعث وعيداً صادراً من ملك إذا قال فعل ، فإن ذلك الباعث يصبح مسيطراً على ذهن الشاعر ؛ فكان أول ما ذكره ، وجعله يستطرد في تصوير معاناته الليلية ؛ حيث امتد هذا التصوير من بداية البيت الثاني إلى نهاية البيت الرابع ، بخلاف الإيجاز في تصوير معاناته في النص الأول في سياق اللوم . ومن الفوراق بين النصين إن الشاعر في النص الأول بدأ مخاطبة المعتذر إليه في بداية النص عبر تحية الملوك : (أتاني أبيت اللعن أنك لمتني ...) . أما في النص الثاني فقد أخر تحيته للمعتذر إليه لما في المقام من مهابة ورهبة ووعد ووعيد ، ومن الملاحظ أن الشاعر قد أكمل بعد هذه التحية تصوير حاله التي تختلف بين البيتين ؛ ففي النص الأول :

أتاني أَبَيتَ اللَعنَ أَنَّكَ لُمتَني وتلك التي أُهتَمُّ مِنها وَأَنصِبُ[١]

أما في النص الثاني :

أَتاني أَبَيتَ اللَعنَ أَنَّكَ لُمتَني وَتِلكَ الَّتي تَستَكُّ مِنها المَسامِعُ[٢]

فيبدو أثر فاعلية التصوير وقوته في النص الثاني (وَتِلكَ الَّتي تَستَكُّ مِنها المَسامِعُ) ، وهي صورة تجسد مدى فزع الشاعر وخوفه عند سماع وعيد الملك(المعتذر إليه) ؛ بخلاف الصورة (وتلك التي أُهتَمُّ مِنها وَأَنصِبُ) التي أتت قريبة من التقريرة ، ومن هذا الاختلاف في التصوير تنبع شعريتهما التي تتمثل في مناسبة كل تصوير في سياقه النصي . ومن مظاهر التناص في النصين أسلوب القسم الذي ترجع أهميته في إقناع المعتذر إليه ، ويكمن هذا في قول الشاعر: (حَلَفتُ فَلَم أَترُك لِنَفسِكَ رَيبَةً) ، لكنه عمل على إكساب كل تركيب جماله الفني ؛ حيث أكمل البيت في النص الأول بقوله : (وَلَيسَ وَراءَ اللَهِ لِلمَرءِ مَذهَبُ) وهو ما شكل امتدادا لأسلوب الإقناع المبني على الحجاج ، فيما أكمل البيت الآخر:(وَهَل يَأثَمَن ذو أُمَّةٍ وَهوَ طائِعُ) ؛ فحمل البيت بعداً إقناعياً حجاجياً متمثلاً بالقسم ، وبعداً تأثيرياً متمثلاً بالأسلوب الاستفهامي الدال على التعجب ، وهذا ما تناسب مع الشعور النفسي في كل نص .

شعرية التناص الخارجي:

يقصد بالتناص الخارجي تفاعل النص مع نصوص أخرى متنوعة سابقة أو معاصرة ، باستثناء نصوص صاحب النص[٣] .

وقد تنوعت مظاهر التناص الخارجي في اعتذاريات النابغة ما بين تناص شعري ، وآخر مع الموروث الثقافي المتمثل بالأمثال والشخصيات القصصية لما لذلك من فاعلية تأثيرية تخلق للنص شعريته .

(١) ديوان النابغة : ٧٢.
(٢) المصدر نفسه ، ٣٢.
(٣) ينظر : مفاهيم موسعة لنظرية شعرية ، ج٣/ ٩٤.

التناص الشعري:

عمد النابغة إلى استدعاء ما سبقه من نصوص شعرية اعتذارية ، من ذلك قوله :

عَلى حينَ عاتَبتُ المَشيبَ عَلى الصِبا وَقُلتُ أَلَمّا أَصحُ وَالشَيبُ وازِعُ[1]

وَقَد حالَ هَمٌّ دونَ ذَلِكَ شاغِلٌ مَكانَ الشِغافِ تَبتَغيهِ الأَصابِعُ

وَعيدُ أَبي قابوسَ في غَيرِ كُنهِهِ أَتاني وَدوني راكِسٌ فَالضَواجِعُ

فَبِتُّ كَأَنّي ساوَرَتني ضَئيلَةٌ مِنَ الرُقشِ في أَنيابِها السُمُّ ناقِعُ

يُسَهَّدُ مِن لَيلِ التَمامِ سَليمُها لِحُلي النِساءِ في يَدَيهِ قَعاقِعُ

تَنادَرَها الراقونَ مِن سوءِ سُمِّها تُطَلِّقُهُ طَوراً وَطَوراً تُراجِعُ

مَقالَةُ أَن قَد قُلتَ سَوفَ أَنالُهُ وَذَلِكَ مِن تِلقاءِ مِثلِكَ رائِعُ

أَتاني أَبَيتَ اللَعنَ أَنَّكَ لُمتَني وَتِلكَ الَّتي تَستَكُّ مِنها المَسامِعُ

(١) ديوان النابغة ، ٣٢.

ففي هذه الأبيات لجأ النابغة إلى تصوير همه وسرد معاناته تجاه ما ألصق به من ذنب ، مستحضراً في رسم هذه الصورة ما قاله عدي بن زيد العبادي ؛حيث يقول :

طالَ ذا اللَّيلُ علينا فاعتَكَر وكأَنّي ناذرُ الصُّبحِ سَمَر[٢]

مِن نَجِيّ الهَمّ عندي ثاوِياً بينَ ما أُعلِنُ منهُ وأُسِرْ

وكأَنَّ اللَّيلَ فيه مِثْلُهُ وَلَقِدْماً ظُنَّ باللَّيلِ القِصَرْ

لَم أُغَمِّض طولَهُ حتَّى انقَضَى أَتَمَنَّى لَو أَرَى الصُّبحَ جَشَرْ

شَئِزٌ جَنبِي كأَنّي مُهدأٌ جَعَلَ القَينُ على الدَّفِّ إبَر

غيرَ ما عِشقٍ ولَكِن طارِقٌ خَلَسَ النَّومَ وأَجداني السَّهَر

إذ أتاني نَبَأٌ من مُنعِمٍ لَم أَخُنهُ والَّذي أَعطَى الخَبَر

قِيلَ حتَّى جاءَني مَصدَقُهُ ولقد يُلفَى معَ الصَّفوِ الكَدَر

ارتكز استدعاء النابغة على لفظ (الهم) ، وهو اللفظ الذي بنيت عليه الصورة المركبة عند الشاعرين ، وهذا التداخل ناجم عن الاتفاق في تصوير معاناة الهم بسبب الوعد والوعيد في كلا النصين ، إلا أن النابغة قد استفاد من استدعائه لاعتذارية عدي ، ولم يقف النابغة عند حدود ما قاله عدي؛ بل عمل على بعض التغييرات ؛ كي يكسب صورته طابعاً خاصاً، ويتجلى هذا على مستوى البنية التركيبية ، و آلية التصوير ؛ فعلى مستوى البنية ؛ جاء لفظ (الهم) مضافاً إليه عند عدي (من نَجِيّ الهم) ، الذي يقترب من

(٢) ديوان عدي بن زيد العبادي ، تحقيق : محمد جبارة المعيبد ، شركة دار الجمهورية ، بغداد ، ١٩٦٥م ، ٥٩.

المباشرة . أما عند النابغة فقد جاء فاعلاً (وقد حال هم) ، وبهذا الإسناد جعل الهم مجسداً عبر الصورة الاستعارية التي لها أثرها في تحريك مشاعر المتلقي ، و الكشف عن شدة معاناة الذات الشاعرة.

وبالعودة إلى سياق لفظ (الهم) في سياقه التصويري عند الشاعرين ، نجد أن عدياً قد بدأ بذكر الهم وما تسبب منه من معاناة ، وأخر المسبب لهذا الهم وهو نبأ تهديد الملك له :(إذ أتاني نَبَأٌ من مُنعِمٍ) ، وهو بهذا قد غيب المعتذر إليه ، مقدماً معاناته (النتيجة) الناجمة عن التهديد، على المسبب لهذا الهم الذي جاء متأخراً ومنفصلاً بعد ذكر المعاناة ، وهو النبأ؛ في حين أن النابغة قد استحضر ما قاله عدي ، في ذكر السبب والمسبب لتلك الهموم والمعاناة ، لكن بطريقة مخالفة ؛ إذ بدأ النابغة بذكر الهم ، ثم انتقل مباشرة إلى ذكر سبب هذا الهم النابع من وعيد الملك: (وَعيدُ أَبي قابوسَ في غَيرِ كُنهِهِ أَتاني وَدوني راكِسٌ فَالضَواجِعُ) ، ومن ثم يكون قد وصل المسبب بالسبب، محدداً مكان الهم الداخلي في الذات الشاعرة وتصوير وقعه عليه :(مَكانَ الشِغافِ تَبتَغيهِ الأَصابِعُ) ، ثم حدد الحيز المكاني (أَتاني وَدوني راكِسٌ فَالضَواجِعُ) ، وهو بهذا يصور فعل الهم من الداخل إلى الخارج موثقاً ذلك الحدث الجلل في لحظته زماناً ومكاناً وسبباً ؛ حرصاً على نقل مشاعره الخائفة ومعاناته بتصوير مفصل ، عبر أداة الربط الفاء (فبت كأني) التي تفيد الترتيب والتعقيب لذكر الوعيد وما أعقبه من أثر نفسي زاد من معاناة الشاعر . ومما زاد من تعميق لحظة الحدث وأثره الفاعل في النفس تلك الجملة الاعتراضية (في غير كنهه) التي تفيد الاحتراس ، للدلالة على إثبات الوعد والوعيد لذات المعتذر إليه؛ كون الشاعر واثقاً من نفسه ، من عدم صدور فعل منه يتوجب عليه صدور هذا الوعيد ، وهو ما يقود المتلقي إلى إدراك تلك المعاناة التي لحقت بالشاعر وهو لم يجن ذنباً ، وهذا مما يوسع من دلالة الصورة التي تعكس صورة الرهبة والخوف من المعتذر إليه ، دالة على هيبته في نفس المعتذر في حال براءته ؛ فكيف لو كان مذنباً؟!.

ومن مظاهر التداخل أن الليل هو الحيز الزماني في تصوير معاناة الهم عند الشاعرين ، ومع استدعاء النابغة لذلك فإنه لم يجار عدياً من حيث تصوير الليل ؛ فعدي قد لجأ إلى الاستطراد في وصف هذا الليل الطويل: (طالَ ذا اللَّيلُ علينا فاعتَكَر ... ، وكأَنَّ اللَّيلَ فيه مِثْلُهُ ... ، لَم أُغَمِّض طولَهُ حتَّى انقَضَى ...) ، حتى أنه بدأ بوصف الليل بالطول قبل أن يذكر ما في هذا الليل من معاناة وهم إلا في البيت الثاني ، ثم يعود مرة أخرى في البيت الثالث ليعيد ذلك الوصف لليله الطويل الذي يتمنى أن يزول عنه ، وهذا يجعل المتلقي يدرك أن انقضاء الليل عند الشاعر هو الحل لزوال هذا الهم والمعاناة ، لكن النابغة قد جعل الليل مرتكزاً لوصف معاناته فلم يصف الليل وإنما وصف ما جرى فيه من معاناة قد لا تنتهي ولا تفارقه ؛ فبدأ بقوله : (فَبِتُّ كَأَنّي ساوَرَتني ضَئيلَةٌ ...) مستطرداً في وصف صورة الحية وما ينجم عنها من آلام ، لما في ذلك من أثر في تعميق معاناة الشاعر المتسببة من ذلك الوعيد الذي بلغ أثره في نفس الشاعر كأثر شعور الشخص

الملدوغ الذي لا ينام طوال الليل ، والجامع بين المشبه والمشبه به هي صفة الخائف المهموم ، وهذا بخلاف الصورة عند عدي الذي بدأ بوصف معاناته وسهره طوال الليل ، بطريقة تقريرية (لَم أُغَمِّض طولَهُ حتَّى انقَضَى ...) ، ثم لجأ بعد ذلك إلى تصوير معاناته بطريقة تصويرية ؛إذ يشبه حاله بحال الطفل العليل الذي تضرب أمه بيدها عليه رويداً لينام (شَئِزٌ جَنبِي كأَنِّي مُهدأُ) .

ومن صور التداخل في النصين السابقين : نفي العشق عند الشاعرين ، يقول النابغة :

عَلى حينَ عاتَبتُ المَشيبَ عَلى الصِبا وَقُلتُ أَلَمّا أَصحُ وَالشَيبُ وازِعُ(١)

ويقول عدي بن زيد العبادي :

غيرَ ما عِشقٍ ولَكِن طارِقٌ خَلَسَ النَّومَ وأَجداني السَّهَر(٢)

فالملاحظ أن النابغة قد استحضر ما قاله عدي ؛ فنفى عن نفسه العشق بسبب التقدم في السن ، وقد جاء قوله هذا في ختام لوحة الطلل وجعله رابطاً وتمهيداً للانتقال إلى غرضه الأساس وهو الاعتذار للملك النعمان ، و هذا التنصل من التغزل والعشق يوحي باعتذار الشاعر من الذنب الذي أُتُّهم به من قبل الوشاة المتمثل بتغزل المعتذر بزوجة المعتذر إليه ، وهو ما سبب توتر العلاقة بين الطرفين ، وبهذا استطاع الشاعر أن يبرر نفسه بطريقة غير مباشرة ؛ إذ أكد ذلك بمبرر عقلي ؛ وهو الكِبر في السن ؛ الأمر الذي يكذب ما قاله الوشاة .

وهذا النفي للعشق والتغزل في قول النابغة قد مثل مرتكزاً فنياً ودلالياً ، تمثل في جعل نصه من بدايته إلى نهايته بنية واحدة تصب في تنصله من الذنب ؛ فهمومه في لوحة الطلل المتمثلة بالخراب والدمار لم يكن المعتذر سبباً في ذلك ، وفي هذا رمز إلى تغير الحياة بعد توتر العلاقة بينه وبين النعمان (المعتذر إليه) التي لم يتسبب هو في تغيرها ودمارها لوقاره وكبر سنه ، وإنما السبب في تحطيم تلك العلاقة ناتج من أقوال الوشاة .

أما نفي عدي عن نفسه العشق بعد ذكر معاناته طوال الليل من أجل دفع التوهم عند المتلقي ؛ حتى لا يفهم أن تلك المعاناة هي معاناة عاشق لتماثل تلك المعاناة النفسية في حال العاشق وحال الخائف من التهديد ، وهذا ما جعل كل نص يحتفظ بشعريته الخاصة.

(١) ديوان النابغة ، ٣٢.

(٢) ديوان عدي ، ٥٩.

شعرية التناص مع الموروث الثقافي :

تنوعت أشكال الموروث الثقافي التي انفتحت عليها اعتذاريات النابغة ، ما بين أمثال ، وشخصيات قصصية ، وهو ما يمكن عرضه على النحو الآتي:

- **شعرية التناص مع الأمثال :**

كان للأمثال حضور في اعتذاريات النابغة من ذلك قوله:

أَمسَت خَلاءً وَأَمسى أَهلُها احتَمَلوا أَخنى عَلَيها الَّذي أَخنى عَلى لُبَدِ[1]

يشير قول الشاعر : (على لبد) إلى المثل (أَتَى أَبَدٌ عَلَى لُبَدٍ)[2] ، الذي يضرب في تقضي الأوقات وإن طالت ، ولجوء الشاعر إلى استدعائه في داليته الاعتذارية و تحديداً في لوحة الطلل إيحاء بتذكير الملك النعمان (المعتذر إليه) من طرف خفي إلى أمور مهمة لا يباشره بها، تهيئة لاعتذاره ؛ منها: تنبيه الملك إلى أن كل شيء له نهاية ، ولا يبقى إلا ذكر الجميل وهذا من باب أخذ العظة والعبرة مما مضى في سالف الأيام ، وفي هذا إيحاء كذلك بمرعاة النابغة لجميل النعمان وصنيعه ، وأنه لا يقابله بالخيانة كما زعم الوشاة ، وعلى النعمان أن يحرص على مراعاة الجميل في إصدار العفو عنه؛ لأن المعتذر قد عايش المعتذر إليه ردحاً من الزمن كمعايشة (لبد) للقمان ، وهو ما يوحي بأن تفريط المعتذر إليه بالمعتذر لهو مؤشر على انتهاء حياة الملك ؛ لأن المعتذر والمعتذر إليه متلازمان كملازمة (لبد) للقمان ، وهو ما يوحي بعمق العلاقة بين الطرفين في الماضي ، والرغبة في إعادة تلك العلاقة إلى سابق عهدها ؛ كي تدوم حياة الطرفين ، فضلاً عن تنبيه المعتذر إليه إلى استخدام الحكمة كما كان يستخدمها لقمان، ولا يتعجل في إصدار الوعد والوعيد .

(١) ديوان النابغة ، ١٦.

(٢) ينظر : محمود بن عمر الزمخشري ، المستقصى في أمثال العرب ، دارالكتب العلمية ط٢/ ١٩٨٧م ، ١/ ٣٦ .

وعندما انتقل الشاعر إلى التصريح باعتذاره لجأ مرة أخرى إلى استدعاء مثل آخر ؛ في قوله :

وَالمُؤمِنِ العائِذاتِ الطَيرِ تَمسَحُها رُكبانُ مَكَّةَ بَينَ الغَيلِ وَالسَعَدِ[1]

ما قُلتُ مِن سَيِّئٍ مِمّا أَتَيتَ بِهِ إِذاً فَلا رَفَعَت سَوطي إِلَيَّ يَدي

ففي قوله : (وَالمُؤمِنِ العائِذاتِ الطَيرِ تَمسَحُها رُكبانُ مَكَّةَ ...) تداخل مع أكثر من مكون ثقافي : ففيه استدعاء للمثل(آمَنُ مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ)[2] ، واستدعاء لطقس ديني يتمثل في حرمة المكان ومن حل فيه من كائنات منها حمام مكة ، والشاعر، وقد عمد الشاعر لتوظيف المثل في سياق قسمه دون اللجوء إلى صيغة قسم أخرى لها عظمتها في تأكيد براءته ؛ لأنه محكوم بحالة نفسية خائفة تواقة للأمان والعفو كحال تلك الحمام الآمنة ؛ وبهذا يصبح الحمام معادلاً موضوعياً للذات المعتذرة التي هي بحاجة ماسة إلى تفضل الآخر المعتذر إليه بالعفو الذي يشبه المسح على حمام مكة التي يزيد فعل المسح من إشعارها بمزيد من الأمان على أمانها المعتاد ، وفي سياق التناص هنا يتجلى عدم توظيف المثل بنصه ؛ بل عمل على تغير تراكيبه لدمجه في صورة طقسية أضاف إليها دلالة جديدة مشتقة من تجربة المعاناة ؛ فحمام مكة في العرف هي آمنة غير خائفة ، لكن الشاعر صورها ، وهي تزداد أماناً بمسح الركبان عليها ، وفي هذا دلالة على أن الذات آمنة ؛لأنها لم ترتكب ذنباً ، وإنما تطلب مزيداً من الأمان كحمام مكة جراء ما صدر من وشاية سببت الوعيد .

وفي اعتذارية أخرى يقول فيها :

لَكَلَّفتَني ذَنبَ اِمرِئٍ وَتَرَكتَهُ كَذي العُرِّ يُكوى غَيرُهُ وَهوَ راتِعُ[3]

(١) المصدر نفسه ، ٢٥.

(٢) أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ، مجمع الأمثال ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة ، بيروت ، ١/ ٨٧.

(٣) ديوان النابغة ، ٣٧.

فالشاعر وظف مضمون المثل : (أخذني بأطير غيري)[٤] ، وفي هذا التناص دلالة على تبرئة الشاعر لذاته من الذنب ، و إشعار للمعتذر إليه لتدارك الأمر ؛ حتى لا يقع في دائرة الظلم ، لتحميل الشاعر ذنباً وهو بريء منه ، وعلاوة على ذلك قام الشاعر بتعديل لبنية المثل المتداول ، بحيث أصبح جزءاً من بنية البيت الذي أدرجه في بنية جواب القسم ؛ وهو بهذا التوظيف قد ولد صورة جامعة لحال الملك عندما ينفذ وعيده في حق النابغة المعتذر البريء من الذنب بحال من يعاقب بريئاً وهو عالم ببراءته وعالم بصاحب الذنب الحقيقي ، ولم يكتف الشاعر بفحوى المثل الذي يلمح إلى وقوع الملك في الظلم عندما يترك الوشاة أصحاب الذنب ويعاقب البريء ؛ بل راح يعمق دلالة هذا المثل بتوليد صورة نابعة من مضمون المثل، مستمدة من البيئة ، إذ صور الظلم الواقع على البريء بكل وضوح بحال الجمل الذي يكوى وهو صحيح غير سقيم ، ويترك الجمل العليل فلا يكوى ، وهو ما يوحي بحال الشاعر البريء ، وحال الوشاة المذنبين الذين يتركون بلا عقاب بدلالة (راتع)، وفي هذه الصورة إلماح للملك(المعتذر إليه) أن لا يُفْرِح الوشاة بما يطلبونه، وهم المذنبون ؛ لأنه بذلك يقع في الظلم المسخر من قبل الوشاة وهو ما لا يليق بحاكم من صفاته العدل .

وفي القصيدة نفسها يعيد استحضار هذا المثل بصيغة مختلفة ، في قوله :

أَتوعِدُ عَبداً لَم يَخُنكَ أَمانَةً وَتَترُكُ عَبداً ظالِماً وَهوَ ظالِعُ[١]

فمع ما في استحضار الشاعر المثل السابق في هذا البيت، فإن الفرق يكمن في أن الأول جاء في سياق جواب القسم الذي يحاجج به عقل من اتصف بالعدل على ظلمه للمعتذر ، والاستحضار الآخر جاء في سياق بنائي يدل على استنكار وتعجب من فعل الملك بحق المخلص الأمين وترك الواشي الظالم ، وفي هذا السياق يخاطب مشاعر المعتذر إليه بطريقة استعطافية يرمى منها تخفيف حدة حدة انفعال الملك جراء سماع حدة المحاججة في أسلوب القسم في البيت السالف، ويزيد في تأكيد ذلك الدلالة الزمنية ؛ ففي التوظيف الأول تأكيد على تحقق ظلم الملك في الزمن الماضي (لكلفتني ذنب امرئ وتركته) ، بينما في الثاني ليس فيه ما يدل على تحقق الظلم من قبل المعتذر إليه ؛ لأن الأسلوب بني على دلالة المستقبل عبر الفعل المضارع (توعد ، تترك) ، فضلاً عن صياغته بأسلوب إنشائي لا يحتمل الصدق أو الكذب ، وبهذا الاختلاف في التوظيف للمثل تتعمق شعرية التناص في قصائد اعتذاريات النابغة .

(٤) مجمع الأمثال ، ١/ ٧٨. الأطير : الذنب .

(١) ديوان النابغة ، ٣٨.

شعرية التناص مع الشخصيات التاريخية والقصص .

ومن مظاهر التناص مع الموروث الثقافي استدعاء الشخصيات القصصية ، وهذا الاستدعاء يمثل ركيزة أساسية في إثراء شعرية الاعتذار عند النابغة ، ومن مظاهر ذلك التناص استحضار النابغة في إحدى اعتذارياته شخصية (سليمان) – عليه السلام – وهذا في قوله:

وَلا أَرى فاعِلاً في الناسِ يُشبِهُهُ وَلا أُحاشي مِنَ الأَقوامِ مِن أَحَدِ (١)

إِلّا سُلَيمانَ إِذ قالَ الإِلَهُ لَهُ قُم في البَرِيَّةِ فَاحدُدها عَنِ الفَنَدِ

بالغ الشاعر في مدح المعتذر إليه بالقوة والسلطان ، في البيت الأول ، ولكي يكون لهذه المبالغة قابيلة في نفسية المعتذر إليه ، لجأ إلى الاستثناء الذي استحضر فيه شخصية النبي سليمان ، وهذا يزيد في تعظيم قوة المعتذر إليه وسطوته المطلقة ، وفي هذا إلماح إلى أن هذه المشابهة بين شخصية المعتذر إليه ، وشخصية النبي سليمان-عليه السلام- ، متحققة إذا تحقق العفو عن المعتذر ؛ لأن العفو أكبر برهان على علو مكانة المعتذر إليه و حكمته ؛ لأنه عفو عن قدرة .

ثم يعود النابغة مرة أخرى في الاعتذارية نفسها إلى استحضار قصة (زرقاء اليمامة) ، مشيراً إلى ما عرفت به (فتاة الحي) يقول :

احكُم كَحُكمِ فَتاةِ الحَيِّ إِذ نَظَرَت إِلى حَمامِ شِراعٍ وارِدِ الثَمَدِ (٢)

يَحُفُّهُ جانِبا نيقٍ وَتُتبِعُهُ مِثلَ الزُجاجَةِ لَم تُكحَل مِنَ الرَمَدِ

قالَت أَلا لَيتَما هَذا الحَمامُ لَنا إِلى حَمامَتِنا وَنِصفُهُ فَقَدِ

فَحَسَّبوهُ فَأَلفَوهُ كَما حَسَبَت تِسعاً وَتِسعينَ لَم تَنقُص وَلَم تَزِدِ

---

(١) ديوان النابغة ، ٢٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢٣.

فَكَمَّلَت مِئَةً فيها حَمامَتُها وَأَسرَعَت حِسبَةً في ذَلِكَ العَدَدِ

وفحوى قصة زرقاء اليمامة أنها ((نظرت إلى سِرْبٍ من حمام طائر فيه ست وستون حمامة وعندها حمامة واحدة فقالت :

لَيْتَ الْحَمَامَ لِيَهْ ... إلَى حَمَامَتِيَهْ

وَنِصْفَهُ قَدِيَهْ ... تَمَّ الْحَمَامُ مِيَهْ))[1]

فالشاعر استحضر قصة زرقاء اليمامة وصاغها بطريقته الخاصة ؛ حيث أضاف إلى القصة دلالات جديدة متناسبة مع الموقف الذي يعيشه، فالنابغة ((لما أراد مَدْحَ هذه الحكيمة الحاسبة بسُرْعَة إصابتها شدَّد الأمر وضَيَّقه ليكون أحسنَ له إذا أصاب فجعله حَزْراً لطير إذ كان الطير أخفَّ ما يتحرك ثم جعله حماما إذ كان الحمام أسرعَ الطير ثم كثر العدد إذ كانت المسابقة مقرونة بها وذلك أن الحمام يشتدُّ طيرانها عند المسابقة المنافسة ثم ذكر أنها طارت بين نِيقَيْنِ لأن الحمام إذا كان في مَضِيق من الهواء كان أسرعَ طيرانا منه إذا اتسع عليه الفضاء ثم جعله واردَ الماء لأن الحمام إذا ورد الماء أعانه الحرصُ على الماء على سرعة الطيران))[2]، وبهذا تتجلى قدرة النابغة على استثمار هذه القصة بوصفها وسيلة رمزية لإذكاء شعرية اعتذاره ؛ إذ لجأ إلى قصة متداولة في الثقافة تمجد شخصية تحظى بتقدير من ينتمي إلى هذه الثقافة ، ومن ثم فهي تمتلك سلطة ، فقول الشاعر (احكم كحكم فتاة الحي إذ حكمت)، فيه حرص منه على سمعة المعتذر إليه الذي يريد له كل خير في حاضره وفي مستقبله ، وهنا يصبح فعل الأمر شفرة تنطوي على دلالة مضمرة تدل على أن الملك النعمان المعتذر إليه غير عادل في الحكم المتمثل بوعيد المعتذر ، وعليه أن يعيد النظر في أمره حتى يصبح مثلاً متداولاً في الحكم كزرقاء اليمامة .

وبالعودة إلى استطراد النابغة في استحضار تفاصيل القصة ووصف حركة الحمام التي تنم عن إدراكه لدقة التفاصيل في حياة الحمام ، فإن في هذا إشارة من طرفي خفي للمعتذر إليه الذي عرف المعتذر طوال حياته بأن عليه أن يدرك تلك المعرفة للمعتذر كمعرفة زرقاء لحمامتها ، وفي هذا حجة على المعتذر إليه في إغفاله هذا الجانب أثناء الحكم ، وكان بإمكانه أن يساعده على تمييز البريء من المذنب ؛ وبهذا يمتد التوالد

(١) مجمع الأمثال ، ١/ ٢٢٢.

(٢) مجمع الأمثال ، ١/ ٢٢٢ .

الدلالي للقصة ؛ لتصبح معادلاً موضوعياً لذاته البريئة بين تلك الحمام وتمييزها راجع إلى نظرة الملك الثاقبة ؛ لأنه قد عرفه وعايشه كمعايشة زرقاء لحمامتها .

وهكذا عمل الشاعر على صياغة قصة (زقاء اليمامة) التي كانت تتمتع بحكم صائب ونظرة ثاقبة ، ولهذا الاستدعاء دلالته الخاصة ، التي تتجلى في رغبة المعتذر في البحث عن حكم سديد في أمره ، و يود صدوره من المعتذر إليه الذي عليه أثناء حكمه الاعتماد على قدراته الشخصية التي يتمتع بها ، وعدم السماع من الآخرين ، كحكم فتاة الحي التي اعتمدت على قدراتها فكانت مصيبة في حكمها ؛ حتى أصبحت رمزاً لذلك ، وفي هذا الاستدعاء قدرة تجعل المعتذر إليه يسترجع بنظرة دقيقة عمق العلاقة الطويلة التي دامت بين الطرفين ؛ فيها خبر أخلاق الشاعر الذي لم يحصل منه ما يغير صفو تلك العلاقة فيما بينهما ، وهذا الاستدعاء بمجمله يكشف عن الذات البريئة التي لا تريد إلا العفو المتحقق من حكم صائب سديد ، الأمر الذي جعل هذا الاستدعاء يمثل صوتاً إضافياً في اعتذاريات النابغة له أثره في مؤازرة الذات المعتذرة ومناصرتها تنصلاً من الذنب ، وحصولاً على العفو، وفي حسن هذا التوظيف الرامز ؛ ما يعمق شعرية التناص مع الشخصيات القصصية فنياً ، وجمالياً .

وفي الختام فإن البحث قد خلص إلى أهم النتائج الآتية :

- مثل التناص في اعتذاريات النابغة أهم مرتكزات شعريتها.
- تعددت مصادر التناص داخلياً مع نصوص الشاعر وخارجياً مع نصوص اعتذارية سابقة لغيره ، ومع الموروث الثقافي المتمثل بالأمثال والقصص ، أسهمت في الكشف عن ثقافة الشاعر ودور الموقف في اختيار ما يتناسب مع مقصديته الرامية للحصول على العفو .
- لم تقتصر فاعلية التناص تحليلاً في حدود الشعرية النصية ، بل امتدت لتشمل الشعرية التأثرية ؛ ما أكسب نصوص تلك الاعتذاريات شعريتها الخاصة فنياً وجمالياً .

مصادر البحث ومراجعه:

(١) أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة ، بيروت .
(٢) جوليا كريسطيفا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط٢/ ١٩٩٧م .
(٣) ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢/.
(٤) ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق : محمد جبارة المعيبد، شركة دار الجمهورية ، بغداد ، ١٩٦٥م ، ٥٩.
(٥) رولان بارت ، النص، ترجمة: منجي الشملي ، وزميليه ، مجلة حوليات الجامعة التونسية ، جامعة تونس ، ع/ ٢٧ ، ١٩٨٨م .
(٦) سامح الرواشدة ، فضاءات الشعرية دراسة في ديوان أمل دنقل ، المركز القومي ، أربد ، الأردن ، ١٩٩٩م .
(٧) سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي النص والسياق ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط٢/ ٢٠٠١م .
(٨) الطيب بوترعة شعرية التناص في شعر الجواهري ، ، أطروحة دكتوراه ، جامعة وهران ، الجزائر، ٢٠٠٧م.
(٩) محمد مفتاح مفاهيم موسعة لنظرية شعرية (اللغة – الموسيقى – الحركة) ، ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١/ ٢٠١٠م .
(١٠) محمود بن عمر الزمخشري ، المستقصى في أمثال العرب ، دارالكتب العلمية ط٢/ ١٩٨٧م ، ١/ ٣٦.
(١١) مشتاق عباس معن ، شعرية التناص (قراءة في شعرية كرستيفا السلبية) ، مجلة علامات ، النادي الأدبي والثقافي بجدة ، ع/ ٣٧ ، مج / ١٠ ، سبتمبر ٢٠٠٠م.
(١٢) ميخائيل باختين ، الخطاب الروائي، ترجمة : محمد برادة، دار الفكر، القاهرة، ط١/ ١٩٨٧م ، ١٥.